الجامعـــــــة الإســـلاميـة – غـزة
شئون البحث العلمي والدراسات العليا
كـليـــــــــــــــــــة الآداب
ماجستيـــــــــر تاريـــــــــــخ

The Islamic University–Gaza
Research and Postgraduate Affairs
Faculty of Arts
Master of History

أسباب النصر والتمكين للدولة الموحدية في عهد المنصور يعقوب بن يوسف الموحدي (595-580هـ)=(1199-1184م)

The Reasons for Victory and Empowerment of Al-Muwahidi State In the Era of Al-Mansour Yacoub Ibn Yusuf Al-Muwahidi (580-595 AH)

إِعدَادُ البَاحِثِ

محمد جمال محمود الهوبي

إِشرَافُ

الأستاذ الدُكتُور

خالد يونس الخالدي

قُدمَ هَذا البحثُ اِستِكمَالاً لِمُتَطلباتِ الحُصولِ عَلى دَرَجَةِ الْمَاجِستِيرِ
فِي التَّاريخِ الإِسْلامِيّ بِكُليةِ الآدَابِ فِي الْجَامِعَةِ الإِسلامِيةِ بِغَزة

أغسطس/2017م – ذو الحجة/1438هـ

إقـــــرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

أسباب النصر والتمكين للدولة الموحدية في عهد المنصور يعقوب بن يوسف الموحدي (580-595هـ)

The Reasons for Victory and Empowerment of Al-Muwahidi State In the Era of Al-Mansour Yacoub Ibn Yusuf Al-Muwahidi (580-595 AH)

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل الآخرين لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

I understand the nature of plagiarism، and I am aware of the University's policy on this.

The work provided in this thesis، unless otherwise referenced، is the researcher's own work، and has not been submitted by others elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name:	محمد جمال محمود الهوبي	اسم الطالب:
Signature:		التوقيع:
Date:	2017/07/16م	التاريخ:

بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الإسلامية غزة
The Islamic University of Gaza

عمادة البحث العلمي والدراسات العليا هاتف داخلي 1150

الرقم: ج س غ/35/ Ref:

التاريخ2017/09/12م Date:

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة عمادة البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحث/ **محمد جمال محمود الهوبى** لنيل درجة الماجستير في **كلية الآداب/ قسم التاريخ**، وموضوعها:

أسباب النصر والتمكين للدولة الموحدية في عهد المنصور يعقوب بن يوسف الموحدي (580- 595هـ)

وبعد المناقشة العلنية التي تمت اليوم الثلاثاء 18 ذو الحجة 1438هـ، الموافق 2017/9/12م الساعة الحادية عشر صباحاً، في قاعة مؤتمرات مبنى القدس، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

أ.د. خالد يونس الخالدي	مشرفاً و رئيساً	.....
د. غسان محمود وشاح	مناقشاً داخلياً	.....
د. حسن ابراهيم المسحال	مناقشاً خارجياً	.....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحث درجة الماجستير في **كلية الآداب/**قسم **التاريخ**.

واللجنة إذ تمنحه هذه الدرجة فإنها توصيه بتقوى الله ولزوم طاعته وأن يسخر علمه في خدمة دينه ووطنه.

والله ولي التوفيق ،،،

عميد البحث العلمي والدراسات العليا

أ.د. مازن اسماعيل هنية

ملخص الرسالة

جاءت هذه الدراسة بعنوان: أسباب النصر والتمكين للدولة الموحدية في عهد المنصور يعقوب بن يوسف الموحدي (580-595هـ)، وهي توضح حجم النجاح الإسلامي الذي حققه المنصور في دولته رغم ما أحاط بها من أخطار داخلية وخارجية، فمهدت للدراسة بالحديث عن نشأة الدعوة الموحدية، ونجاحها في إقامة الدولة وتوطيد أركانها، ثم قمت بتعريف عام عن المنصور وصفاته الشخصية، والظروف العامة في المغرب والأندلس التي سبقت توليه الحكم كجزء مهم للدراسة.

فبدأت حديثي عن مكونات المنصور الشخصية وحياته العملية وأحواله الصالحة، التي أهلته ليضَّلع بمهمة تجديد حركة الإصلاح الديني عبر العلماء، وإحياء تعاليم الإسلام الصحيحة بالكتاب والسنة، ثم القضاء على أهل البدع والمناهج الضالة والأفكار الفاسدة، التي وقفت حاجز أمام عجلة التغيير والإصلاح.

ثم تطرقت إلى آثار عجلة التجديد أولاً على المستوى الإداري من خلال اختيار البطانة الصالحة، ومواصلة الرقابة على أجهزة الدولة والرعية ومتابعتها، وتحقيق العدل، ثانياً على المستوى الحضاري من خلال بناء الدولة ومؤسساتها وتشييد معالم الإسلام وتطوير الاقتصاد، ثالثاً على المستوى السياسي من خلال معالجة أزمات الدولة كاحتواء أعداء، ومناصرة أشقاء، وتحقيق أمن، عبر إدارة سليمة أدت لتحسين السلطان وتفخيمه، أوصلت الدولة إلى عصرها الذهبي.

وانتهت الدراسة إلى النجاحات العسكرية، فذكرت دور الأمن الداخلي في الحفاظ على الاستقرار من خلال تحصين الدولة، والقضاء على الخارجين عليها، ثم تطرقت لأنواع التخطيط الحربي وأشكاله ودوره في صناعة النصر الذي بلغ ذروته في موقعة الأرك الكبرى التي عكست نجاح الدولة الكبير على كافة المستويات التي ابتدأت بها الدراسة، ففصلت في أحداث المعركة وانتصاراتها، والعبر المستفادة منها، كنموذج تطبيقي عند دراستها كحالة ميدانية فريدة تمثل الذروة التي وصل إليها المنصور في تحقيق أسباب النصر والتمكين لدولة الموحدين في عصرها الذهبي.

Abstract

This study is entitled “The Reasons for Victory and Empowerment of Al-Muwahidi State In the Era of Al-Mansour Yacoub Ibn Yusuf Al-Muwahidi (580-595 AH)”. It highlights the extent of the Islamic success achieved by Al-Mansour in his state، despite the surrounding internal and external dangers. The study started by introducing the emergence of the Al-Muwahidi state، and its success in the establishment and consolidation of the state. The study then provided a summarized biography of Al-Mansour and his personal characteristics، and the general conditions in Morocco and Andalusia، which preceded his rule as an important part of the study.

The study started by highlighting the personal attribute of Al-Mansour، his practical life and his good conditions. This has enabled him to undertake the task of renewing the religious movement reform through the scholars، reviving the true teachings of Islam in the Noble Quran and Sunnah، and then eradicating the people of innovations، deviant approaches، and corrupt ideas that stood as a barrier to the wheel of change and reform.

The study then touched upon the effects of the wheel of renewal. Firstly، the administrative level through the choice of good advisors، the continuation supervision and follow-up of the state authorities and people، and the achievement of justice. Secondly، the civic level through the establishment of the state and its institutions، and advancing the Islamic impact on the socio-economic status of the society. Thirdly، the political level through addressing the crises of the state such as containment of enemies، supporting brothers، and achieving security. This was achieved through sound management that led to the improvement and magnification of the ruler، which brought the state to its golden age.

The study concluded by highlighting the military successes in this context. It mentioned the role of internal security in maintaining stability through state fortification and outsiders elimination. The study also concluded the types of war planning، its forms، and its role in making victory. This victory reached its peak in the Ark battle، which reflected the great success of the state at all levels، which has been discussed through the study. The study mentioned in details the events of the battle and its victories، and the lessons learnt from it. This could be used as an applied model of achieving victory، which represents the peak status reached by Al-Mansour in achieving the causes of victory and empowerment in the golden age of Al-Muwahidi state.

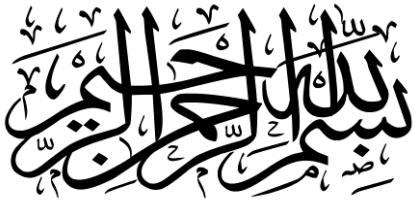

﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾

[الحج: 41]

ٱلإِهدَاْءُ

إِلَى ٱلطائفة المنصورة التي لعدوها قاهرة وعلى الحق ظاهرة،
الرابضة على ثــرى الأرض المقدســة علــى مــرِّ العصور ...

حتى يَتِمُّ أمر الله ونوره وهم على ذلك الدرب...

إلى رجالات العمل الإسلامي في كل زمان ومكان...

الى أمة التوحيد الغالية...

نُـهْدِيْ هَذَا ٱلْعَمَلْ

شكر وتقدير

الحمد لله حمداً يليق بجلال وجهه الكريم وعظيم سلطانه القديم فهو الذي بنعمته تتم الصالحات، لك منا يا علم الهدى **محمد** ﷺ التبجيل والسلام بفائق الحب والاحترام، يا من أخرجتنا من جهل الظلمات إلى منارة الحضارات، ومن رعاية الغنم إلى سياسة الأمم، فلولا نورك البهي ما أشرقت سطورنا وكلماتنا، ولا تحبرت أقلامنا، أسأل الله في عليائه يا **حبيبنا** أن يرزقك الوسيلة والفضيلة والدرجة العالية الرفيعة، ويبعثك مقامك المحمود الموعود..

فأتقدم بداية بجميل البر ووافر الشكر لمن سخر لي الأسباب وبذلها في مواصلة الدرب الطويل، **والدي الكريم، وأمي الحبيبة،** أرضاهما الله وأكرمهما، واللذان كانا لي خير ناصح ومعين حتى اجتياز هذه المرحلة، فنسأل الله أن يوفقنا للدعاء لهما في ظهر الغيب..

كما وأني أتقدم بالشكر والاعتراف بالجميل لكل من ساهم في تشجيعي، وبذل النصح لي، من أجل نجاح هذا البحث المتواضع وتمامه، وأخص بالذكر الأستاذ الدكتور المربي الفاضل/ **خالد يونس الخالدي،** والذي تشرفت حقيقة بقبوله الإشراف على أطروحتي، والذي كان لي ناصحاً وموجهاً ومرشداً، أضاء لي سلوك الطريق الأمثل لاجتياز هذه المرحلة، فبارك الله فيه على توجيهاته ونصائحه، كما وأشكر كلاً من الأستاذين الفاضلين مناقشي الداخلي/ د. **غسان محمود وشاح،** ومناقشي الخارجي/ د. **حسن إبراهيم المسحال،** والذين لم يئلا جهداً في النقد البناء للرسالة، وبذلا وقتهما في إثراء معلوماتها، ولم يبخلا علي بما يصلح الرسالة ويقويها بعد مناقشتها، فبارك الله فيهما على ما بذلاه من وقت وجهد..

كما لا أنسى في هذا المقام التقدم بالشكر لأخي الفاضل الأستاذ/ **عبد الرحمن التتر،** والذي لم يبخل علي بتوجيهاته ونصائحه باذلاً وقته وجهده فجزاه الله كل خير، والشكر موصول لكل من أخي الأستاذ/ **علي بشير عبيد،** والذي قام بتصميم الخرائط الجغرافية المحوسبة، من خلال استخدام برنامج الرسم والتصميم الـ **CorelDRAW** وبرامج الـ .**GIS** المتقدمة، فبارك الله فيه على ما بذله من وقت وجهد، والأستاذ/ **هاني الصوص،** والذي ساهم بالتدقيق الفني على الرسالة، والشكر موصول بعمق لكل من **ذكرني** بدعوة في ظهر الغيب..

الباحث

محمد جمال الهوبي

جدول المحتويات

إقـــــرار ..... أ

ملخص الرسالة باللغة العربية ..... ب

ABSTRACT ..... ت

اقتباس ..... ث

ألإهدَاءُ ..... ج

شكر وتقدير ..... ح

جدول المحتويات ..... خ

فهرس الملاحق ..... ر

المقدمة 1

أهمية الدراسة: 2

منهج الدراسة: 2

حدود الدراسة: 3

تقسيمات الدراسة: 3

المشكلات والصعوبات التي واجهها الباحث: 4

الدراسات والمراجع السابقة: 5

الفصل التمهيدي: نبذة عامة عن قيام دولة الموحدين، وسيرة المنصور:- 7

المبحث الأول: نبذة عن دولة الموحدين: 8

أولاً: أحوال دولة المرابطين قبل قيام الدعوة الموحدية (500 – 505هـ) 8

ثانياً: نشأة الدعوة الموحدية إلى قيام الدولة (505 – 524هـ) 10

ثالثاً: **اتساع الدولة وتوطيد أركانها (524 – 558هـ)** 15

رابعاً: **الظروف السياسية للدولة حتى عصر المنصور (558 – 580هـ)** 23

المبحث الثاني: نبذة عن شخصية المنصور وسيرته: 27

أولاً: التعريف العام بالشخصية 27

ثانياً: صفات المنصور 28

ثالثاً: توليه الحكم.....29
رابعاً: الظروف السياسية عند توليه الحكم.....33
الفصل الأول: الأسباب الإيمانية لنصر وتمكين الدولة الموحدية في عهد المنصور:-..... 36
المبحث الأول: صفات يعقوب الإيمانية: 37
الأولى: أحواله الصالحة.....37
الثانية: أعماله الصالحة 49
المبحث الثاني: إحياء تعاليم الإسلام الصحيحة، وتجديد الحركة الدينية: 54
أولاً: اهتمامه بالعلماء.....54
ثانياً: إحياء الكتاب والسنة.....57
ثالثاً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.....61
المبحث الثالث: محاربة البدع وأهل الضلالة: 64
أولاً: القضاء على أهل البدع والضلالة.....64
ثانياً: مخالفة منهج محمد بن تومرت.....69
الفصل الثاني: الأسباب الإدارية والحضارية والسياسية لنصر وتمكين الدولة الموحدية في عهد المنصور:-.....77
المبحث الأول: منظومة العقيدة الإدارية: 78
الأولى: اختيار البطانة الصالحة والكفؤة 78
الثانية: مباشرة أمور الرعية.....86
الثالثة: متابعة الوظائف العامة.....87
الرابعة: إرساء مبادئ العدل على الجميع.....90
المبحث الثاني: البنيان الحضاري الإسلامي: 96
أولاً: بناء المدن وسك العملة.....96
ثانياً: الاهتمام بالمرافق العامة.....99
المبحث الثالث: حسن التدبير السياسي:.....106
الأولى: فن معالجة الأزمات، وإدارة أمور الدولة.....106
الثانية: تفخيم البلد وتحسين السلطان 107

الثالثة: نشر الأمان في سلطان مملكته.....108
الرابعة: احتواء أهل دولته وأعدائه بالحكمة والموعظة الحسنة.....111
الخامسة: مساندته لغرباء المسلمين، ونصرته لإخوانه.....115
الفصل الثالث: الأسباب العسكرية لنصر وتمكين الدولة الموحدية في عهد المنصور:- 128
المبحث الأول: حماية الأمن والاستقرار الداخلي: 129
أولاً: بناء الحصون 129
ثانياً: القضاء على الخارجين عن الدولة 130
المبحث الثاني: التخطيط والإعداد الحربي 136
أولاً: التخطيط العسكري.....136
ثانياً: استنفار الجيوش، وانتخاب القادة.....140
ثالثاً: النكاية في الأعداء وإذلالهم 143
رابعاً: الهمة العالية، والغضب لحرمة الإسلام 145
المبحث الثالث: الجهاد العسكري على الثغور (موقعة الأرك "دراسة حالة ميدانية") **147**
أولاً: أحداث المعركة.....148
ثانياً: مؤهلات النصر والتمكين في موقعة الأرك الكبرى.....173
ثالثاً: الاعتبار من الأوضاع بعد المعركة 188
الخاتمة: 196
النتائج والتوصيات 196
المصادر والمراجع:.....199
أولاً: المراجع العربية.....200
ثانياً: المراجع الأجنبية 223
المـلاحــق 224

فهرس الملاحق

الملحق الأول: كتاب صلاح الدين إلى المنصور..... 224
الملحق الثاني: شرح الحالة الديبلوماسية التي مضت في مصر، والموقف من خطاب المنصور بأمير المؤمنين..... 226
الملحق الثالث: شرح أوضاع الكتب الثلاثة التي أرسلها صلاح الدين الأيوبي إلى المنصور الموحدي، والمواقف الديبلوماسية من ذلك:- 227
الملحق الرابع: الرسالة الأولى..... 228
الملحق الخامس: الرسالة الثانية 228
الملحق السادس: الرسالة الثالثة..... 230
الملحق السابع: شرح الرموز الموجودة في خرائط موقعة الأرك في الملاحق التالية..... 232
الملحق الثامن: أوضاع الجيوش وأقسامها قبل بدء معركة الأرك..... 233
الملحق التاسع: الحملة العسكرية الثانية لكتيبة النخبة القشتالية في معركة الأرك..... 234
الملحق العاشر: الحملة العسكرية الثالثة لكتيبة النخبة القشتالية في معركة الأرك 235
الملحق الحادي عشر: نهاية المعركة وانتصار الموحدين (المرحلة الأولى) 236
الملحق الثاني عشر: نهاية المعركة وانتصار الموحدين (المرحلتين الثانية والثالثة)..... 237
الملحق الثالث عشر: جيوش الموحدين بقيادة المنصور تخترق قلب الأندلس 238
الملحق الرابع عشر: صورة حقيقية لساحة موقعة الأرك 239

المقدمة

تعد دولة الموحدين من الدول المهمة والعظيمة التي قامت في بلاد المغرب وإفريقية والأندلس لما كان لها من دور ريادي وحضاري وجهادي في غرب العالم الإسلامي حيث كانت في مواجهة مباشرة وصراع مستمر مع جيوش الروم النصرانية هناك، فوفرت الأمن والحماية للعالم الإسلامي لسنوات طويلة من التاريخ.

وقد بلغت دولة الموحدين ذروتها في الحضارة والعلم والجهاد، في عهد أميرها أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن المنصور الموحدي، فهو الذي قاد هذه الدولة إلى الرقي والنصر والجهاد والحضارة بأوسع أشكالها في منظور العالم أثناء هذه الحقبة، فغدت الدولة في زمانه في عصرها الذهبي لدولة الموحدين.

إن الذي ساعد المنصور على تحقيق أهدافه بشكل مباشر هي مؤهلات صقلت نفسه، إضافة إلى اعتراكه في الحياة، فاتسع أفقه فهماً لدين الله ولواقع الأمة، وفق تجربة خرج منها برؤية شاملة للتغيير والإصلاح في بلاده، وتجديد معالم الإسلام، فأبدع في الإنتاج في ذلك بكل ما أوتي من قوة وعلم، فغدا حديث الناس وثناءهم في الحجاز والشام والمغرب.

كانت الأسباب التي مكنت المنصور من تحقيق النجاح بمفهومها العام هي الأسباب الدينية والإدارية والحضارية والسياسية والعسكرية، وما ينبثق عنها؛ من أخلاق وإيمان وتخطيط وإدارة وتنظيم ورقابة وتوجيه وإعلام وجهاد وتجديد وصناعة وبناء وحسم وحزم وعدل واختيار بطانة وهمة عالية، حتى أصبح نجم بني عبد المؤمن وجوهرتهم.

كانت لتلك الإرادة عند المنصور الموحدي وهمته العالية هو ما ساهم في تجديد معالم الإسلام وتتويج تجربته بالنجاح في برنامجه، حيث وجدت المؤهلات التي تلزمه بالرغم من الفتن الداخلية والتي كانت مستعرة أوارها في بلاد المغرب، والحروب الخارجية الشديدة مع الصليبيين في بلاد الأندلس.

وفيه يقول بعض شعراء عصره:-

أهلٌ بأن يسعى إليه ويرتجى ويزار من أقصى البلاد على الرّجا

من قد غدا بالمكرمات مقلّداً وموشّحاً ومختّماً ومتـوّجـــــــا

وَكَانَ ابْن منقذ رسول صلاح الدين قد مدح الْمَنْصُور بقصيدة يَقُول فِيهَا:-

سأشكر بحرا ذَا عبـــاب قطعتــه إِلَى بَحر جود مَا لأخراه سَاحـــل

إِلَى مَعْدن التَّقْوَى إِلَى كعبة الندى إِلَى من سمت بِالذكر مِنْهُ الْأَوَائِل

إِلَيْك أَمِيـر الْمُسلميـن وَلـم تـــزل إِلَى بابك المأمول تزجي الرَّوَاحِل

أهمية الدراسة:

1. ندرة الدراسات التي تناولت الموضوع تحديداً، بالرغم من وجود دراسات حول شخصية المنصور الموحدي.
2. إنصافاً لدولة الموحدين التي وحدت بلاد المغرب والأندلس وأفريقية وحاربت الروم وانتصرت عليهم في مواقع عظيمة خالدة في التاريخ.
3. تميز عصر المنصور الموحدي بنجاح إصلاحي كبير على كافة المستويات الدينية والإدارية والعسكرية، حقق به يعقوب نصر الإسلام ورفع راية الجهاد، ومكَّن لبلاد المسلمين.
4. فائدة للأجيال تعلمهم التمسك ببلاد الأندلس وإعادة حاضرتها للأمة الإسلامية، بعد احتلالها من الإسبان.
5. الاستفادة من تلك الأحداث التاريخية لتقديم رؤية واضحة، بإعداد سياسات وخطط وبرامج عمل صالحة للتطبيق يحتذى به لإعادة وحدة الأمة ولم شملها في العالم المعاصر، وتحقيق النصر، وإحياء وتطبيق برنامج التغيير والإصلاح.
6. الحاجة الماسة إلى دراسة تجارب الإصلاح الناجحة السابقة والإفادة منها، في ظل فشل أغلب تجارب حركات الإصلاح المعاصرة، بالرغم من صعوبة الظروف والأوضاع التي مر بها قادة الأمة السابقين الناجحين، كما هو الحال مع المعاصرين.
7. فهم سنن الله الكونية التي تسري على المجتمعات والشعوب والدول في التاريخ، والاستفادة منها في معرفة أسباب النجاح في التغيير والإصلاح.

منهج الدراسة:

اعتمد الباحث المنهج التاريخي الوصفي التحليلي.

حدود الدراسة:

الحد الزماني: تبدأ الدراسة من سنة 580هـ، وهو العام الذي تولَّى فيه المنصور حكم دولة الموحدين، وتنتهي حتى سنة 595هـ، وهو العام الذي توفي فيه المنصور الموحدي.

الحد المكاني: بلاد إفريقية (تونس حالياً) وبلاد المغرب (الجزائر والمغرب وموريتانيا حالياً) وبلاد الأندلس (إسبانيا والبرتغال حالياً).

تقسيمات الدراسة:

لقد قسم الباحث الدراسة إلى مقدمة وفصل تمهيدي وثلاثة فصول رئيسة وخاتمة وأورد عدداً من الملاحق إضافة إلى سرد المصادر والمراجع، حيث تضمنت المقدمة نبذة مختصرة عن الموضوع وأهميته والمنهج المتبع في الدراسة، وقد جاءت تقسيمات الفصول **كما يلي:**

الفصل التمهيدي كان: نبذة عامة في مبحثين، وقد تناولت فيه نبذة عامة عن دوة الموحدين منذ نشوء الدعوة الموحدية إلى قيام الدولة وتوسيعها حتى عصر لمنصور، ثم ذكرت سيرة المنصور الشخصية من صفاته ونشأته وتوليه الحكم والظروف التي عاصرها.

الفصل الأول فقد تحدث عن الأسباب الإيمانية في النصر والتمكين، وقد تناولت صفات المنصور الإيمانية من أحواله وأعماله الصالحة، ثم ذكرت دوره في تجديد الحركة الدينية وإحياء تعاليم الإسلام الصحيحة من خلال اهتمامه بالعلماء وإحيائه الكتاب والسنة، ومحاربته البدع والضلالة، ومخالفته لمنج بن تومرت.

الفصل الثاني فقد تحدث عن الأسباب الإدارية والحضارية والسياسية في النصر والتمكين، وقد تناولت منظومة العقيدة الإدارية التي انتهجها المنصور في إدارته لأمور الدولة، من اختيار البطانة الصالحة ومتابعة أمور الرعية وإرساء مبادئ العدل، وذكرت تأسيس البنيان الحضاري الإسلامي، وحسن تدبيره السياسي في معالجة الأزمات، وتفخيم سلطان الملك ونشر الأمان فيه، ومساندته لإخوانه المسلمين.

الفصل الثالث فقد تحدث عن الأسباب العسكرية في النصر والتمكين، وقد تناولت حماية الأمن والاستقرار الداخلي للدولة، والتخطيط والإعداد الحربي من انتخاب قادة واستنفار جيوش، ومحاربة الأعداء، ثم ختمت دراستي بذكر معركة الأرك الكبرى والتي شكلت ذروة الانتصار الذهبي للموحدين، فتناولتها كحالة ميدانية للدراسة، فذكرت سير أحداثها بالتفصيل، ومؤهلات النصر والتمكين فيها، والعبر المستفادة منها.

الخاتمة: فقد احتوت على أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة، ثم على قائمة بأهم المصادر والمراجع، ثم مجموعة من الملاحق المهمة.

المشكلات والصعوبات التي واجهها الباحث:

1. تضارب المعلومات والآراء في مصادر الدراسة ومراجعها، وتباين الآراء في الموضوع البحثي، وقد قام الباحث باستخدام البحث التحليلي العميق والاستنباط، والذي يعمل على الوصول إلى الحقيقة.

2. توزع معلومات الدراسة، وانتشارها في الكثير من المصادر والمراجع، حيث أخذ هذا وقتاً كبيراً وجهداً مضاعفاً لدى الباحث لتجميع المعلومات وتنقيحها، وتبويبها وتصنيفها للوصول لأهداف الدراسة.

3- صعوبة الوصول للمصادر الأندلسية المختصة في تاريخ الأندلس، والأجنبية منها خصوصاً، وتناثرها بين المكتبات الإلكترونية، وافتقار مكتبات القطاع لها، خصوصاً أن هناك العديد من المصادر التي لا تزال مخطوطات أو لم يتم تحقيقها بعد.

4. استخدام الباحث الطرق الحديثة في معاينة الجغرافيا، وإصدار خرائط في ملاحق الدراسة، عبر تطبيق برامج الـ GIS الحاسوبية المتقدمة، تطلب جهداً كبيراً ووقتاً طويلاً، للقيام بتصميمها، وإعدادها لتحقيق التوافق الموضوع للبحث قيد الدراسة، عند دراسة معركة الأرك في صورة حالة ميدانية تطبيقية.

5. المنهجية الجديدة التي قامت الجامعة الإسلامية بوضعها، أخذت جزءاً كبيراً من الوقت والجهد، حيث أنه في الوقت الذي أنهى الباحث فيه التزاماته، اضطر للعودة مرة أخرى لاعتماد المنهجية الجديدة في بناء البحث والتوثيق، وتغلب على هذه المشكلة عبر التدقيق الفني، واعتماد المنهج العلمي الجديد.

6. ظروف الحصار على قطاع غزة، وانقطاع الكهرباء، كان عائق كبير، لكن الباحث تغلب عليه بعون الله وتوفيقه، وذلك من خلال الأخذ بالأسباب، حيث أخذ يدرس ليلاً، واستخدم أحياناً بعض المولدات الخارجية والبطاريات، حتى خروج هذا المشروع إلى النور.

الدراسات والمراجع السابقة:

هناك بالتأكيد ندرة لدى المكتبة العربية في التخصص في هذا الموضوع، وهذا مما لا شك فيه من الأسباب التي دفعت الباحث لاختيار هذا الموضوع لأهميته، ولإثراء المكتبة العلمية التاريخية به، بأسلوب يجمع ما بين التربية الدينية، والحقيقة التاريخية، والمنهجية العلمية، في شخصية إسلامية متميزة غير مشهورة عند الكثير من الباحثين، وقد كان لها دور ريادي وحضاري وعسكري على مستوى العالم الإسلامي، وبخاصة المغرب والأندلس، ومن أهم الدراسات السابقة التي تناولت الموضوع، أو جزءاً من جوانبه:

1- **رسالة دكتوراه بعنوان:** المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي "دراسة تاريخية وحضارية" (580هـ-595هـ) للباحثة: ليلى أحمد النجار، كلية الآداب، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، سنة النشر (1409هـ). لقد توسعت الباحثة حيث أنها ذكرت أحوال المغرب والأندلس في عصر المنصور الموحدي في قسمين كبيرين من حجم الدراسة، لكن من الإنصاف القول أن الباحثة عندما عرضت شخصية المنصور الموحدي، ورغم توفر المنهجية العلمية القوية لديها، والتحليل العميق، إلا أن دراستها كانت سرداً للأحداث وتفصيلها بشكل يدعو للرتابة، وكثرة المعلومات، وكبر حجمها، حيث أنها تذكر روايات مقتبسة بأكملها تتجاوز الصفحات العديدة للرواية الواحدة أحياناً، مما أخرج الباحثة كثيراً عن مضمون الدراسات الواضحة، إلا أن الإطناب الذي وقعت فيه الباحثة قد يعذرها الباحث فيه، حيث أنه لم يتناول أحد قبلها شخصية المنصور الموحدي في دراسة علمية معتمدة، وبهذا كان الجديد في دراسة الباحث هو ليس التركيز على المعلومات الطويلة والرتابة، بالرغم من أن الباحث رجع لكثير من المصادر التي لم ترجع إليها الباحثة بفضل الفارق الزمني، والتطور العلمي العصري، لكن الباحث يهدف أن تكون رسالته واضحة ومختصرة تحمل في طيات سجلها الجوانب التربوية الإسلامية الإصلاحية، والتعرف على السنن الربانية، لتحقيق النجاح في إصلاح المجتمعات وبناء الدول، وقد استفاد الباحث من رسالة الباحثة ليلى النجار في تحليلها العميق لكثير من الحوادث وبنى عليها، وانتقد بعض الجوانب التي رأى من وجهة نظره أنها أصوب مما ذكرته بطريقة موضوعية.

2- **كتاب بعنوان:** عصر المنصور الموحدي "الحياة السياسية والفكرية والدينية في المغرب" (580-595هـ) (دراسة في التاريخ الفكري والأدبي) للأديب الكاتب: محمد رشيد ملين، المطبعة الملكية، الرباط، سنة النشر (1416هـ). حيث تناول الأديب ملين عصر المنصور الموحدي، وأشار إلى مختلف مجالات الحياة فيه على الصعيد السياسي والفكري والديني في المغرب، بطريقة أدبية يغلب عليها الطابع القصصي، بحيث لا يرقى كتابه إلى مستوى الدراسات العلمية المتخصصة، والتي تستخدم المنهجيات العلمية المعتمدة، والطرق

الموضوعية في تناول جوانبها، أما بالنسبة للدراسة التي يقدمها الباحث فقد تناولت كافة المستويات التي عاصرت المنصور الموحدي على الصعيد الديني والعسكري والسياسي والإداري والفكري والحضاري، إضافة إلى أن دراسته تعتمد المنهجية العلمية الأكاديمية المعتمدة لدى مراكز الأبحاث والدراسات المتخصصة والجامعات.

3- **دراسة بعنوان:** علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس، للباحث: هشام أبو رميله، دار الفرقان، الأردن، سنة النشر (1404هـ). حيث يغلب على دراسته سرد الأحداث ووضع وجهات النظر في الروايات كما هي دون تمحيص وتنقيح وتمييز بين الغث والسمين، إضافة إلى أن دراسته ليست متخصصة في عصر المنصور الموحدي فهي موزعة على كل ملوك الدولة الموحدية وفترات حكمها، فجاءت دراسته مجتزأة ومعلوماته متناثرة إذ ما أردنا القياس على موضوع دراستنا، إضافة إلى أن تركيزه في دراسته كان على علاقات الموحدين بالممالك النصرانية، فلم تتناول الجوانب الداخلية من إدارة وحضارة وفتن بشكل شاف، إلا أن الباحث استفاد حقيقة من هذه الدراسة حيث توسع في فهم علاقة الدولة الموحدية في زمن المنصور بالممالك النصرانية، خصوصاً وأن الدكتور هشام أورد روايات لمصادر أجنبية مترجمة لم يتسن للباحث الظفر بمثلها، فكان للباحث تعليقات مهمة في دراسته من خلال تلك الروايات التي شكلت مصادر ساهمت كثيراً في بناء بعض جوانب البحث، وتركيبها عند مقارنتها وتحليلها بالمصادر العربية الإسلامية.

4- **كتاب بعنوان:** معركة الأرك (591هـ)، للباحث: صالح الأشتر، دار الشروق العربي، بيروت، سنة النشر (1998م)، حيث كانت الخطوط العريضة للكتاب هي ذكر مؤهلات النصر في وقعة الأرك فقط، والتركيز على الجانب التربوي الديني والإيماني الذي استخدمه الباحث كثيراً في بناء دراسته، على مختلف المستويات، في الوقت الذي كان الدكتور صالح قد ركز على الجانب العسكري، وحصر فوائده التربوية في معركة الأرك، بينما الباحث تناول مستويات مختلفة، كانت بمثابة طريق توضح العصر الذهبي الموحدي للمنصور والذي بلغ ذروة نجاحاته بتحقيق انتصار الأرك، وقد استفاد الباحث من بعض النتائج التي ذكرها الدكتور صالح الأشتر لمعركة الأرك، والأسباب الإيمانية في الانتصار، إلا أن من الموضوعية بمكان القول بأن شرح الدكتور لمعركة الأرك كان أدبياً نوعاً ما، واختلطت فيه المعلومات نظراً لتضارب الروايات، وقد عوض الباحث عن ذلك، بأن قدم شرحاً علمياً وموضوعياً عن المعركة بالاستعانة بكافة المصادر والمراجع الأصيلة، وتوصل لشكل المعركة وأسباب النصر فيها والعبر المستفادة منها، في المبحث الأخير من دراسته، والذي يشكل ذروة الباحث العلمية في دراسته، وجهده المنفرد الذي توصل له في هذه المعركة، وهو إذ يفخر بأن يقدم هذا الطرح للمكتبة العربية كفائدة للأجيال.

الفصل التمهيدي

نبذة عامة عن قيام دولة الموحدين، وسيرة المنصور

المبحث الأول:

نبذة عن دولة الموحدين:

أولاً: أحوال دولة المرابطين قبل قيام الدعوة الموحدية:

في عهد أمير المسلمين عليُّ بن يوسف بن تاشفين[1]، وتحديداً بعد السنة 500هـ اختلت أحوال دولة المرابطين[2] بشكل واضح، فظهرت في بلادهم المنكرات، وبيعت الخمور، واستبد كبار رجال الدولة بالملك، وأسندت أمور الدولة إلى النساء، اللواتي اشتملن على الفساد والشر، وأمير المسلمين في ضعف، متغافل عن هذه الأوضاع الخطيرة، وعاكف على العبادة والتبتل والعلم، ومهمل لرعيته، فاختلت بلاد الأندلس[3]، وكادت تعود إلى حالها زمن

---

(1) هو عليّ بن يوسف بن تاشفين اللمتوني أمير المسلمين، سلطان المغرب، تولى حكم الدولة المرابطية سنة 500هـ، وكان حَسَن السّيرة والسريرة، عادلًا، متديناً، زاهداً، متبتلاً، عابداً، محباً لأهل العِلم والدّين، مشاوراً لهم، وقامت دولته على مذهب الإمام مالك، ورفض علم الكلام، استبد الولاة والفقهاء والنساء في عصره بالحكم، وأهملت أمور الرعية، فهجم بن تومرت وصاحبه عبد المؤمن على سلطان المرابطين في زمانه، وقد توفي علي بن يوسف في سنة 537هـ وعمره 61 سنة؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (ج36/445-447)؛ بامخرمة، قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر (ج4/118).

(2) دولة المرابطين: أصل هذه الدولة يرجع إلى دعوة الإمام عبد الله بن ياسين في رباط السنغال، ومبدأ ذلك التقاء يحيى بن إبراهيم زعيم قبيلة جدالة البربرية أثناء عودته من رحلة الحج بالفقيه أبو عمران الفاسي، حيث طلب منه أن يبعث أحد تلاميذه ليكون داعياً مصلحاً في قبيلته، فأرشده بالتوجه إلى وجاج بن زلوا اللمطي، والذي أرسل الأخير بدوره تلميذه عبد الله بن ياسين الجزولي، فأقام داعياً في قبيلة جدالة، ثم طرده القوم، فاتجه نحو السنغال وأنشأ رباطاً توافدت عليه الناس والقبائل، فسماهم المرابطين، وانتقل المرابطون سنة 445هـ في جهادهم حتى تمكنوا من توحيد المغرب والسودان تحت رايتهم بقيادة أبي بكر بن عمرو ويوسف بن تاشفين اللمتونيين سنة 475هـ، ثم انتقل يوسف بن تاشفين بجهاده إلى الأندلس وهزم الصليبيين في موقعة الزلاقة سنة 479هـ، ثم قضى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين على ملوك الطوائف الذين أظهروا تعاوناً مع النصارى سنة 493هـ، وضم الأندلس مع المغرب، ووحدهما تحت لواء دولة المرابطين؛ انظر: ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر (مج6/242-250)؛ السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج2/3-60).

(3) الأندلس: اسمها القديم إشبانية، وهي جزيرة كبيرة، مثلثة الشكل بثلاثة أركان، قد أحاطت بها البحار، فالركن الأول قبليّها عند فم الخليج الذي من البحر المحيط إلى البحر الرومى، والركن الثاني شرقي الأندلس بين مدينة أربونة المقابلة للبحر المتوسط ومدينة برديل المقابلة للبحر المحيط، والركن الثالث هو ما بين الجنوب والغرب من حيّز جلّيقية حيث الجبل الموفي على البحر، وتمتد جزيرة الأندلس في الطول من المحيط الأطلسي عند مدينة أخشنبة، إلى مضيق جبل طارق، وتمتد في العرض من البحر المتوسط في الجنوب عند مدينة تركونة إلى المحيط الأطلسي في الشمال عند مدينة برشلونة، حيث أن طولها شهر =

ملوك الطوائف[1] السابقين[2]، فكانت المغرب[3] في ظل تردي هذه الأوضاع بحاجة ماسة إلى دعوة تجديدية، وحركة إصلاحية تعيد للدولة المرابطية الصفاء والنقاء الذي كان على عهد بداية =

فى عرض نيّف وعشرين يوماً، ودورانها أكثر من 3 أشهر، وما يتصل منها بالبر مسيرة يومين، والباقي متصل بالبحر، وقد كانت بلاد شرقيها حدود الروم حيث بلاد البشكنش وشنت مرية؛ وشماليها بلاد الروم الجلالقة والفرنج النصارى، وجنوبيها خليج البحر المتوسط؛ وغربيها المحيط الأطلسي المعروف ببحر الظلمات، ويقال إن أول من اختط الأندلس بنو طوبال بن يافث بن نوح حيث سكنوا الأندلس في أول الزمان، وحدّها قسطنطين بستّة أجزاء، وفيها كثير من المدائن القديمة قرطبة وإشبيلية وطليطلة وسرقسطة وجلق وتطيلة وماردة وبلنسية ومالقة وطرطوشة وابرارة جيان، وافتتح المسلمون جزيرة الأندلس في شهر رمضان سنة 92هـ على يد طارق بن زياد النفزي، عامل موسى بن نصير، عامل الوليد بن عبد الملك على بلاد إفريقية، وذلك بعد هزيمة ملك الروم القوطيين النصارى لذريق، وأكثرها عامر ويغلب عليها الشجر والثمر والأنهار العذبة والسعة في الرزق والنعيم والتجارة، وبها المعادن المتنوعة، والأحجار الكريمة، وهي طيبة الهواء، وخصبة التربة، ومعتدلة المناخ، وكانت حاضرةً للأئمة والعلماء والتابعين والمحدثين والمجاهدين والزهاد، توالت عليها ممالك الإسلام في العصر الأموي فملوك الطوائف فالمرابطون، فالموحدون، فابن هود، فابن الأحمر، حتى سقطت كلها بيد الاحتلال الفرنجي سنة 897هـ؛ اليعقوبي، البلدان (ص192–195)؛ المنجم، آكام المرجان (ص106–111)؛ بن حوقل، صورة الأرض (ج1/108–117)؛ مجهول، حدود العالم من المشرق الى المغرب (ص182)؛ العزيزي، المسالك والممالك (ص57)؛ البكري، المسالك والممالك (ج2/890–894)؛ الحموي، معجم البلدان (ج1/262–264)؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد (ص503–504)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج1/123)؛ ابن فضل الله، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (ج5/186–188)؛ ابن بطوطة، تحفة النظار (ج4/207–221)؛ ابن خلدون، رحلة ابن خلدون (ص83–92)؛ الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص32–35)؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس (ص1–3).

(1) ملوك الطوائف: هي الدويلات التي ظهرت في الأندلس نتيجة انهيار الخلافة الأموية في الأندلس، حيث استبد الولاة في الأندلس كل بمملكته، وأقاموا حكماً ذاتياً، وأخذوا يتقاتلون مع بعضهم البعض من أجل السيطرة على ممالك بعضهم، وقد تحالفوا مع النصارى ضد إخوانهم في سبيل تحقيق ذلك، ومن أشهر هذه الممالك بنو عباد بإشبيلية، وبنو ذو النون في طليطلة، وبنو هود بسرقسطة، وبنو باديس بغرناطة، وقد قام المرابطون بالقضاء على هذه الممالك المتناحرة، وتوحيد المغرب والأندلس تحت لواء دولة المرابطين وسلطانها؛ انظر: ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر (مج4/192–236)؛ العسيري، موجز التاريخ الإسلامي (ص244–246).

(2) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص135)؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر (ج2/452).

(3) المغرب: بلاد كبيرة شاسعة، شرقيها بلاد مصر؛ وجنوبيها برية ينتهي آخرها ببلاد السودان؛ وغربيها بحر الأوقيانوس المغربي؛ وشماليها بحر الروم، وقيل حدّها من مدينة مليانة، وهى آخر حدود إفريقيّة إلى آخر جبال السوس التى وراءها البحر المحيط، تدخل فيه جزيرة الأندلس، وطول هذا فى البرّ مسيرة شهرين، وهي بلاد فيها برار كثيرة وجبال وعرة قليلة، ومسالك صعبة، وفيها مدن وقرى وحصون كثيرة، عامرة =

الدعاة المرابطين، وتأسيس الدولة، وقد استغل هذه الظروف والأوضاع الخطيرة رجل عظيم الهمة، منقطع النظير، لقب بالفقيه السوسي، واسمه محمد بن تومرت الهرغي المصمودي[1]، وحمل على كاهله إزالة الدولة المرابطية والقضاء عليها.

ثانياً: نشأة الدعوة الموحدية إلى قيام الدولة (505 – 524هـ)

سار بن تومرت في شبابه إلى المشرق، لطلب العلم[2]، حيث وصل العراق ومصر[3]، فتحصل على الكثير من العلوم[4]، ثم عاد إلى المغرب[5]، وقد قامت دعوة بن تومرت بالنفوذ والاتساع على مرحلتين:-

1- المرحلة الأولى: الدعوة للإصلاح وإزالة المنكرات:

ففي أثناء عودة بن تومرت من رحلته المشرقية أخذ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر[6]، منذ وصوله الإسكندرية سنة 505هـ حتى وصوله إلى .....

=

بالبربر، حارة المناخ، يوجد فيها معدن الذهب بكثرة، فيها أنواع من الثمار والنبات والخضرة؛ ابن خرداذبة، المسالك والممالك (ص72)؛ اليعقوبي، البلدان (ص180)؛ ابن الفقيه، البلدان (ص132-136)؛ الكرخي، المسالك والممالك (ص36-37)؛ بن حوقل، صورة الأرض (ج1/60-62)؛ مجهول، حدود العالم من المشرق الى المغرب (ص180)؛ البشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (ص215-216)؛ البكري، المسالك والممالك (ج1/500)؛ الحموي، معجم البلدان (ج5/161)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج3/1293).

(1) الشَّيْخُ الفَقِيْهُ الأُصُوْلِيُّ الزَّاهِد، من فحول العلم أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ تُوْمَرت البربري، الخَارِجُ بِالمَغْرِبِ، المدَّعِي أنه الإمام المعصوم المهدي، رَحَلَ إِلَى المَشْرِق للعلم، وَكَانَ أَمَّاراً بِالمَعْرُوفِ، نَهَّاءً عَنِ المُنْكَر، يختلط في عقيدته الأشعرية مع التشيع والمعتزلة، له مُجلدات وتواليف، وكان قوِيَّ النَّفْس، صبوراً على الأذى، شُجَاعاً، قَوَّالاً بِالْحَقِّ، داهية، غَاوياً فِي الرِّيَاسَة وَالظُّهُوْر، فَكفَّر المرَابطين وأحل دمائهم وحريمهم، عقد لعبدِ المُؤْمِن على إمارة دعوة الموحدين، فهزموا المرابطين، وأقاموا على أنقاض دولتهم سلطان الموحدين، وتم لهم أمرهم، مات في رمضان سنة 524هـ؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج14/377-383)؛ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى (ج6/109-117)؛ كاتب جلبي، سلم الوصول إلى طبقات الفحول (ج3/155)؛ السوسي، سوس العالمة (ص176)؛ الزركلي، الأعلام (ج6/228-230).

(2) الأصفهاني، البستان الجامع (ص333)؛ عماد الدين، المختصر في أخبار البشر (ج2/232).

(3) ابن القلانسي، تاريخ دمشق (ج1/453)؛ سبط بن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان (ج20/259).

(4) الدواداري، كنز الدرر وجامع الغرر (ج6/497).

(5) عماد الدين، المختصر في أخبار البشر (ج2/232).

(6) ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب (ج6/117).

المهدية[1] في رحلته[2]، حيث قام بإهراق الخمر، وتكسير آلات اللهو[3]، وفي سنة 511هـ ولما توجه بن تومرت إلى بجاية[4]في سنة 511هـ[5]، أخذ يلزم الناس بأحكام الشريعة[6]، ثم خرج إلى قرية ملالة[7]، فتبعه عبد المؤمن بن علي[8] القيسي[9]، وقد كان بن تومرت يكون له العصب، ويحشد له الأتباع في أثناء عودته من رحلته العلمية[10]، وأخيراً توجه بن تومرت

(1) المهدية: مدينة كبيرة حصينة حسنة تقع في بلاد إفريقية على ساحل بحر الروم الذي أحاط بها من ثلاث جهات، وهي متصلة بحدود القيروان، بناها عبيد الله المهدي الشيعي وانتقل إليها سنة 308هـ، وقد قسمت لمدينتين، المهدية يسكنها السلطان والجند، وزويلة يسكنها الناس، كانت مرفأً للسفن، وهي ذات نعم، وتجاراتها كثيرة، وبها آبار مائية، فكانت قاعدة البلاد الإفريقية، وقد حاصرها عبد المؤمن بن علي الموحدي وأخذها بالأمان من الفرنج سنة 555هـ؛ مجهول، حدود العالم من المشرق الى المغرب (ص180)؛ الأنطاكي، تاريخ الأنطاكي (ص69)؛ البكري، المسالك والممالك (683/2-681)؛ الحموي، معجم البلدان (229/5)؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد (ص: 276)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (1337/3)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (30/22)؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي (ج60/2)؛ الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص561-562)؛ نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار (113/1-112).

(2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج654/8-655)؛ المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص137).

(3) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان (ج259/20).

(4) بِجَايةُ: مدينة عظيمة ساحلية محصنة تقع على جبل يضرب في ضفة البحر بين إفريقية والمغرب، كان أول من اختطّها الناصر بن علناس بن حماد بن زيري بن مناد بن بلكّين، في حدود سنة 457هـ، وتعد قاعدة الغرب الأوسط، ويتواجد بها أنواع النبات والثمار، والمعادن المختلفة، كثيرة البساتين، تسقيها أنهار وعيون؛ الحموي، معجم البلدان (ج339/1)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج163/1)؛ ابن خلدون، رحلة ابن خلدون (ص92-93)؛ الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص80-82).

(5) ابن القلانسي، تاريخ دمشق (ج453/1)؛ المقريزي، اتعاظ الحنفاء (ج56/3).

(6) عماد الدين، المختصر في أخبار البشر (ج232/2).

(7) مَلّالَةُ: قرية تقع قرب بجاية على ساحل بحر المغرب؛ الحموي، معجم البلدان (ج189/5)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج1305/3).

(8) عَبْدُ المُؤْمِنِ بنُ عَلِيّ بنِ عَلَوِيّ الكُوْمِيُّ، سُلْطَان المَغْرِبِ، الَّذِي يُلَقَّبُ بِأَمِيْر المُؤْمِنِيْنَ، بِأَعْمَال تِلِمْسَان، صاحب همة عالية، محباً للعلم، التقى بالمهدي بن تومرت، ودخل في دعوته، حتى كان على يديه قيام دولة الموحدين في المغرب والأندلس، بعد أن قضى على حكم المرابطين، فوطد الملك، وجاهد النصارى، وتعاقب ملك الموحدين في نسله، وتوفي سنة 558هـ؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج138/15-142)؛ نويهض، مُعجَمُ أعلام الجزائِر (ص218-220).

(9) أبو المحاسن، النجوم الزاهرة (ج254/5)؛ ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب (ج117/6).

(10) ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج654/8-655).

إلى مراكش[1] دَار مَمْلَكَةِ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ عَلِيِّ بْنِ يُوسُفَ بْنِ تَاشَفِينَ[2]، ولما وصلها لازم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بشدة[3]، حتى وصل به الأمر أن زجر أخت أمير المسلمين في موكبها بعد أن رآها وجواريها سافرات الوجوه، فكثر أتباعه[4]، فاستدعاه أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين، إلى حضرته وجمع له الفقهاء لمناظرته فغلبهم[5]، وأخذ يذكر الأمير بتقوى الله[6]، وإزالة المنكرات[7]، ثم أخذ ينكر بيع الخمر والخنازير[8].

3- الدعوة إلى الإنقلاب العسكري، وإقامة الدولة:

قام أمير المسلميـن علـي بـن يوسف بن تاشفيـن بنفي بن تومرت إلى بلاد السوس[9]

---

(1) مدينة مرّاكش حاضرة بلاد المغرب ودار مملكتها، أعظم مدينة بالمغرب وأجلّها، وهي في البر الأعظم، بينها وبين البحر عشرة أيام في وسط بلاد البربر، تقع شمال أغمات، أسسها يوسف بن تاشفين سنة 459هـ؛ ثم اختط سورها ولده على سنة 514هـ؛ وفتحها الخليفة عبد المؤمن بن علي سنة 541هـ، ومدينة مراكش أكثر بلاد المغرب جنات وبساتين، وكان يعقوب في سنة 585هـ قد استدعى العلماء ورواة الحديث وأمر بتدريس حديث النبي ﷺ؛ انظر: مراكشي مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار (ج1/208-210)؛ الحموي، معجم البلدان (ج5/94)؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد (ص111-112)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج3/1251)؛ ابن الخطيب، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار (ص162-164)؛ الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص540-541).

(2) الدواداري، كنز الدرر وجامع الغرر (ج7/23)؛ ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب (ج6/117).

(3) ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج8/654-655)؛ ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب (ج6/117-118).

(4) ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب (ج6/117-118).

(5) ابن القلانسي، تاريخ دمشق (ج1/453)؛ سبط بن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان (ج20/261)؛ عماد الدين، المختصر في أخبار البشر (ج2/232)؛ الدواداري، كنز الدرر وجامع الغرر (ج7/23).

(6) يؤكد الشيخ علي الصلابي على أن اهتمام الأمير على بن يوسف بالزهد والعبادة وتسليمه لأمور الملك فى آخر أيامه للأمراء كان خطئاً عظيماً كلَّف دولة المرابطين متاعب عظيمة، ومن أعظم الأخطاء التى وقع فيها الأمير على عدم أخذه بنصيحة وزيره الفقيه مالك بن وهيب الإشبيلى الذى أشار على الأمير على بقتل مُحَمَّد بن تومرت الكذَّاب زعيم المُوَحِّدين؛ فقه التمكين عند دولة المرابطين (ص218).

(7) ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج8/654-655).

(8) ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب (ج6/117-118).

(9) السوس: مدينة عظيمة تقع على ساحل بحر الأوقيانوس المغربي، وكانت تعد آخر مدينة عامرة في المغرب، وكان البربر هم أهلها، وبها ذهب وفير، ويكثر بها الوحوش؛ اليعقوبي، البلدان (ص198-199)؛ مجهول، حدود العالم من المشرق الى المغرب (ص181).

الأقصى[1]، فتوجه بن تومرت إلى أغمات[2] بالمغرب[3]، حيث مدينة درن[4] في السوس[5]، وبدأ دعوته هناك في سنة 514هـ[6]، فتبعه خلق كثير[7]، وفي سنة 515هـ[8] في بلاد السوس توجه ابن تومرت إلى جبل تين ملل[9]، ليتحصن به من المرابطين[10] وأخذ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر[11]، ثم قاتل أهل الجبل، وتمكن من السيطرة عليه، وبنى عليه أسواراً دفاعية[12]، وبدأ بن تومرت يظهر في الجبل أحوالاً ودجلاً خدع بها الناس، مثل أخباره مع الونشريشي[13]، وزعمه

---

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج656/8)؛ المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص136).

(2) أغمات: ناحية من أرض المغرب قرب مرّاكش، وهي مدينتان إحداهما تسمّى أغمات إيلان، والأخرى أغمات وريكة، كانت منزلاً للتجار، وبها أموال كثيرة، وبها بساتين ومياه كثيرة، ونهر جار، وخيرات متنوعة، وهوائها صحيح، وكانت مسكن لقبائل مصمودة البربرية، وبساحلها رباط تنزل فيه السفن؛ البكري، المسالك والممالك (ج842/2-843)؛ الحموي، معجم البلدان (ج225/1)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج98/1)؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص46)؛ ابن الخطيب، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار (ص164-165).

(3) عماد الدين، المختصر في أخبار البشر (ج233/2)؛ ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب (ج118/6)؛ ابن القلانسي، تاريخ دمشق (ج453/1).

(4) دَرَنُ: ويسمى بجبل نفوسة، وهو جبل عظيم خصب مرتفع حصين، يقع في صحراء المغرب، أمام بلد السوس، فاصل بين الصحراء والساحل، وقد كان عامراً بقبائل البربر، وفيه بلدان وقرى وحصون، وفيه ثمار متنوعة، ومياه كثيرة، ونهر عظيم؛ الحموي، معجم البلدان (ج452/2)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج524/2)؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص234-235).

(5) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان (ج260/20).

(6) ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج656/8).

(7) ابن القلانسي، تاريخ دمشق (ج453/1)؛ سبط بن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان (ج260/20)؛ الدواداري، كنز الدرر وجامع الغرر (ج23/7).

(8) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص136).

(9) تِينُ مَلَّل: جبال بالمغرب بها قرى ومزارع يسكنها البربر، تبعد عن مراكش بـ 3 فراسخ، وهي سرير ملك بني عبد المؤمن، ومنها خرج محمد بن تومرت المسمّى بالمهدي الذي أقام الدولة، ومات فصارت لعبد المؤمن وولده من بعده؛ الحموي، معجم البلدان (ج69/2)؛ ابن شمائل،مراصد الاطلاع (ج288/1).

(10) عماد الدين، المختصر في أخبار البشر (ج233/2)؛ ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب (ج118/6).

(11) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص136).

(12) ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج657/8)؛ الدواداري، كنز الدرر وجامع الغرر (ج23/7)؛ سبط بن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان (ج260/20).

(13) هو عبد الله الونشريسي أحد أصحاب بن تومرت، كان فصيحاً، جميلاً، متفقهاً، اتفق مع ابن تومرت على التستر بالجهل والغباء أمام الناس، ثم إظهار خلاف ذلك، لتكون معجزة وفتنة لهم، وقد حدث هذا بالفعل، فأظهر بن تومرت في هذه الفتنة معرفته أهل النار من أهل الجنة، في يوم التمييز، ثم أتبعها بزعم =

معرفة أهل الجنة من أهل النار، وأمر بقتل من زعم أنه من أهل النار، في يوم سماه التمييز[1]، ثم ادعى المهدوية والعصمة فبايعته قبائل المصامدة على ذلك، فعظم أمره، وكثر أتباعه، فسماهم الموحدين، وقسمهم إلى طبقات دعوية حسب منازلهم وأسبقيتهم في قبول دعوته[2]، ثم أخذ بن تومرت يستعد لإرسال سراياه للإشتباك مع جيوش الدولة المرابطية[3]، حيث اعتمد بن تومرت في دعوته[4] الفاسدة على سفك الدماء ومخالفة الشريعة الإسلامية[5].

ففي سَنَةِ 524هـ[6]، جَهَّزَ الْمَهْدِيُّ جَيْشًا كَثِيفًا[7] بلغ 40 أَلْفًا[8]، بقيادة عَبْدَ الْمُؤْمِنِ بن علي، لقتال المرابطين فانهزم الموحدون[9] في موقعة البحيرة[10]، لكن دعوة بن تومرت أخذت في الانتشار، وكثر أتباعها[11].

ولم يزل ابن تومرت وأصحابه ظاهرون، وأحوال المرابطين تختل [12]،

=

المهدوية والعصمة، والتبشير بنزول الملائكة؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (ج36/118،116،110،108).

(1) انظر: عماد الدين، المختصر في أخبار البشر (ج2/233)؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج8/658-659).

(2) عماد الدين، المختصر في أخبار البشر (ج2/233)؛ ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب (ج6/119)؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج8/659،656).

(3) الدواداري، كنز الدرر وجامع الغرر (ج7/23)؛ أبو المحاسن، النجوم الزاهرة (ج5/254)؛ المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص136).

(4) كانت فلسفة الموحدين في الحكم قوامها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع الزهد في الدنيا، حيث دعا زعيمهم بن تومرت إلى إزالة دولة المرابطين بسبب ظلمهم وتعسفهم وتخليهم عن مبادئ الشريعة الإسلامية (حسب زعمه)؛ العسيري، موجز التاريخ الإسلامي (ص252).

(5) ابن القلانسي، تاريخ دمشق (ج1/453).

(6) ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج8/660).

(7) ابن القلانسي، تاريخ دمشق (ج1/453)؛ المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص144).

(8) ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج8/660).

(9) ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب (ج6/119).

(10) ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج8/660)؛ ابن القلانسي، تاريخ دمشق (ج1/453).

(11) ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب (ج6/119).

(12) يؤكد الدكتور علي الصلابي على أن دولة المرابطين فى آخر عهد الأمير على بن يوسف أخذت تفقد طُهرَها وصفاءَها الذى اتصف به جيلهم الأول، فقد ظهر السفور والاختلاط بين النساء والرجال مما جعل =

وانتقاض دولتهم يتزايد[1]، إلى أن توفي ابن تومرت في مرضه[2] سنة 524هـ[3]، وعمره 55 سنة[4] بعد أن مهد الأمور وأحكم التدبير وثبت القواعد ورسم لهم ما هم فاعلوه[5]، وكان قد أوصى أصحابه الموحدين باتباع عبد المؤمن بن علي وسماه أمير المؤمنين[6]، فبايعه المصامدة، واتفقت جماعة الموحدين على تقديمه[7].

ثالثاً: اتساع الدولة وتوطيد أركانها (524 – 558هـ)

لما توفى محمد بن تومرت المهدىّ، قام بالأمر بعده عبد المؤمن بن على[8]، بعد أن مهّد بن تومرت الأمور وثبت القواعد، فقد كانت الفتوحات والممالك على يد عبد المؤمن[9]، تلميذ بن تومرت حيث شرع في افتتاح البلاد المغربية بالسيف والقتل والدماء[10]، ثم أخذ يطوي الممالك مملكةً مملكةً[11]، وفق الترتيب الذي رتبه له شيخه بن تومرت، فتم لعبد المؤمن بن علي الأمر وكمل[12]، حيث امتد ملكه إلى المغرب الأقصى[13] وبلاد إفريقية[14]– المغرب الأدنى –، وكثير

=

الرعية المسلمة تتذمر من هذا الانحراف والفساد، وتستجيب لدعوة مُحَمَّد بن تومرت الذى أظهر نفسه للناس بالزاهد والنَّاسك والآمر بالمعروف والناهى عن المنكر؛ فقه التمكين عند دولة المرابطين (ص210).

(1) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص145).

(2) الدواداري، كنز الدرر وجامع الغرر (ج23/7)؛ الأصفهاني، البستان الجامع (ص342)؛ أبو المحاسن، النجوم الزاهرة (ج254/5).

(3) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص145)؛ أبو المحاسن، النجوم الزاهرة (ج255/5).

(4) ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج660/8).

(5) ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب (ج120/6).

(6) عماد الدين، المختصر في أخبار البشر (ج233/2)؛ ابن القلانسي، تاريخ دمشق (ج453/1).

(7) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص146).

(8) الدواداري، كنز الدرر وجامع الغرر (ج513/6).

(9) ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب (ج120/6).

(10) ابن القلانسي، تاريخ دمشق (ج457/1).

(11) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص151).

(12) الدواداري، كنز الدرر وجامع الغرر (ج23/7).

(13) سلطنة المغرب الأقصى: المعروف ببر العدوة، من أعظم جهات المغرب ذات حواضر جليلة، وجبال مشحونة، وعرض وطول، توالت عليها الممالك والدول كالأدارسة والمرابطين والموحدين وغيرهم؛ ابن فضل الله، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (ج184/5–185).

(14)إفريقية: هي بلاد واسعة ومملكة كبيرة قبالة جزيرة صقلية، وينتهي آخرها إلى قبالة جزيرة الأندلس، وسمّيت إفريقية لأنّ إفريقش بن أبرهة بن الرائش هو الّذي فتحها وبناها وباسمه سميّت، وقيل سميت بذلك لأنها فرقت وفصلت بين بلاد المغرب ومصر، وحدّ إفريقية طولها من برقة شرقا إلى مدينة طنجة الخضراء =

من جزيرة الأندلس، وتلقب بأمير المؤمنين[1]، ويمكن توضيح فتوحات عبد المؤمن على الجبهات العسكرية الثلاث:

1- المغرب:

في سنة 528هـ سيطر عبد المؤمن على الجبال[2]، ثم أخذ في السيطرة على البلاد، حيث تمكنت جيوشه من هزيمة جيوش علي بن يوسف بن تاشفين سنة 533هـ، فكان على إثرها اتباع قبيلة غمارة دعوة الموحدين، وفي سَنَةِ 535هـ.

تُوُفِّيَ أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ عَلِيُّ بْنُ يُوسُفَ بِمُرَّاكِشَ وَمَلَكَ بَعْدَهُ ابْنُهُ تَاشَفِينُ[3] دولة المرابطين[4]، فسارت جيوش عبد المؤمن سنة 539هـ إلى قتال عساكر المرابطين بقيادة تاشفين[5]، فهلك الأمير تَاشَفِينَ في حادث حيث وقع عن فرسه أثناء هروبه من جيوش

=

غربا، وعرضها من البحر إلى جبال الرمال العظيمة الّتي هي أوّل بلاد السودان، وكانت بلاد إفريقية مسكناً للافرنج والبربر، وقد رفض عمر بن الخطاب أن يسمح لعمرو بن العاص أن يغزوها في عهده، قائلاً إنّها ليست بإفريقية، ولكنّها المفرّقة الغادرة، ثم افتتح المسلمون إفريقية في أيام عثمان بن عفان، بقيادة عبد الله بن سعد بن أبي سرح، في معركة سبيطلة، فهزم الروم بقيادة جرجير، وأجلوا البلاد أمام المسلمين إلى جزائر البحر وغيرها إلا من أسلم وبقى فى بلاده على ماله مثل أهل قسطيلية وغيرهم من البلاد، وتتابع ولاة المسلمين ودولهم على حكمها، وملك الأفرنج بلاد إفريقية في سنة 543هـ، حتى قدمها عبد المؤمن بن علي فاستنقذها منهم في يوم عاشوراء سنة 555هـ، وأفريقية كثيرة الخيرات طيبة التربة وافرة المزارع والأشجار، صحيحة الهواء، عذبة الماء، متنوعة المعادن، بها مدينة تونس؛ البكري، المسالك والممالك (ج2/671-672)؛ البكري، معجم ما استعجم (ج1/176-177)؛ مراكشي مجهول، الاستبصار فى عجائب الامصار (ج1/155-156)؛ الحموي، معجم البلدان (ج1/228-231)؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد (ص148-149)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج1/100-101)؛ ابن فضل الله، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (ج4/137-139)؛ الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص47-48)؛ شراب، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة (ص31).

(1) أبو المحاسن، النجوم الزاهرة (ج5/363).

(2) عماد الدين، المختصر في أخبار البشر (ج2/233-234).

(3) هو تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين أمير المسلمين، سلطان المغرب، تولى الحكم بعد موت أبيه سنة 537هـ، وعبد المؤمن زعيم الموحدين، في حرب حامية الوطيس مع دولته المرابطية، وقد قتل في حادث مع فرسه أثناء هروبه من كتائب الموحدين، فصلبه الموحدين بعد مقتله فوراً سنة 540هـ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (ج36/495-496).

(4) ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج8/660-661).

(5) عماد الدين، المختصر في أخبار البشر (ج2/233-234).

الموحدين[1]، وتعرضه للحصار في مدينة وهران[2] سنة 540هـ لولاية دامت 3 سنين[3]، وَمَلَكَ بَعْدَهُ أَخُوهُ إِسْحَاقُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ يُوسُفَ[4]، فقام عبد المؤمن بالاستيلاء على كثير من المدن[5]، وقد سيطر عبد المؤمن في أول أمره على تلمسان[6] ووهران[7]، وتاهرت[8]، وقاروت، وفي سنة

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج662/8).

(2) وَهْرَانُ: مدينة صغيرة حصينة تقع على ساحل البحر في المغرب، وبنى مدينة وهران محمد بن أبي عون ومحمد بن عبدون وجماعة من الأندلسيين سنة 290هـ، وكان أكثر أهلها تجاراً، فقد كانت كثيرة الصنائع والأسواق، غزيرة العيون والأنهار، كثيرة البساتين والجنات والماشية، وبها قرى كثيرة، فأرضها خصبة، وبها مرسى كبير للسفن، وينسب إليها العلماء والمحدثون؛ الحموي، معجم البلدان (ج385/5-386)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج1446/3)؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص612)؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص613).

(3) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص151).

(4) إسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين اللّمتونيّ، ملكه المرابطون أمرهم بعد مقتل أخيه تاشفين، وهو لا يزال حدث السن، فقصده عبد المؤمن، وحاصر مَرّاكُش ثمّ احتلها عَنْوةً، فأمر بقتل إسحق بن علي بن يوسف بن تاشفين، وكان إسحاق آخر ملوك بني تشافين سنة 542هـ، وانقرضت بذلك دولة المرابطين؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (ج104/37-105).

(5) ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج662/8).

(6) تلمسان: مدينة قديمة عظيمة محصنة تقع في سفح جبل شجره الجوز، وهي قاعدة المغرب الأوسط، كان لها خمسة أبواب، مساجد وأسواق وتجارات، وبها أشجار وأنهار، وهوائها صحيح، وماؤها بارد، وأرضها خصبة، فبها زروع عديدة، ومواشي كثيرة، وأموالها وخيراتها كثيرة، وقد بنى المرابطون فيها مدينة أخرى يسكنها السادة وكبار الدولة، والرعية تكون في المدينة القديمة واسمها أقادير، وينسب إلى تلمسان العلماء والمحدثون والمالكية؛ البكري، المسالك والممالك (ج745/2-746)؛ الحموي، معجم البلدان (ج44/2)؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد (ص172)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج272/1-273)؛ ابن الخطيب، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار (ص183-184)؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص135).

(7) الدواداري، كنز الدرر وجامع الغرر (ج23/7)؛ أبو المحاسن، النجوم الزاهرة (ج363/5).

(8) تاهرت: مدينة جليلة عظيمة مشهورة تقع في المغرب الأوسط بالإقليم الرابع، قرب البحر الشامي، على جبل متوسط يسمى قزول ونهر كبير، وحولها صحارِ وعمران، وقد كانت قاعدة أهل البربر، وهي مدينتان واحدة قديمة، وأخرى محدثة، وكان لها ثلاثة أبواب، وكانت تسمى عراق المغرب، ولها مرسى فروخ على البحر، وبها مياه وأمطار كثيرة، وعيون جارية، مزارع وبساتين متنوعة، وتجارات مختلفة، وأسواق عامرة، وهي باردة المناخ؛ المنجم، آكام المرجان (ص100)؛ مجهول، حدود العالم من المشرق الى المغرب (ص181)؛ العزيزي، المسالك والممالك (ص48)؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد (ص169)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج251/1)؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص126-127).

540هـ تمكن من فتح مدينة فاس[1] وسلا[2]، وفي سنة 541هـ تمكن من أخذ أقادير[3] وسبتة[4] ومكناسة[5] من المرابطين[6]، وفي سنة 541هـ توجه عبد المؤمن بن علي بجيوشه إلى مراكش

---

(1) فاس: مدينة عظيمة مشهورة، تقع على سفح جبل بين ثنيتين عظيمتين على بر المغرب حاضرة البحر، غربي سبتة، وهي قاعدة المغرب الأقصى، ومستقر الملوك، يجري بها نهر المفروش، وجداول وعيون الماء، وبها مروج خضراء، وبساتين وثمار متنوعة، لخصوبة أرضها، وهي عامرة بالسكان، لسعة أحوالها ووفرة تجاراتها، لكن مسالكها وعرة، ومناخها حار، وتنقسم مدينة فاس إلى عدوتين، عدوة الأندلسيّين أسست في سنة 192هـ، وعدوة القرويّين أسست في سنة 193هـ، وكانت عاصمة الأدارسة، واكتمل حسنها في أيام بني عبد المؤمن بن علي؛ مجهول، حدود العالم من المشرق الى المغرب (ص181)؛ البكري، المسالك والممالك (ج795/2)؛ الحموي، معجم البلدان (ج230/4)؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد (ص102-103)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج1014/3)؛ ابن الخطيب، معيار الاختيار فى ذكر المعاهد والديار (ص172-178)؛ الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص434-435).

(2) سَلا: مدينة قديمة متوسطة الحجم حصينة تقع بأقصى المغرب، جنوب البحر، ويجري فيها نهر كبير، أرضها رملية خصبة، وكانت عامرة بأهلها، كثيرة التجارات، واسعة الأموال، ولها وادي كبير مرسى للسفن، وبها ثروة سمكية كبيرة؛ الحموي، معجم البلدان (ج231/3)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج724/2)؛ ابن الخطيب، معيار الاختيار فى ذكر المعاهد والديار (ص152)؛ الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص319).

(3) أقادير: وهي المدينة الحصينة القديمة من تلمسان، وكانت مسكن الرعية زمن المرابطين؛ الحموي، معجم البلدان (ج44/2)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج272/1-273).

(4) سبتة: مدينة كبيرة عظيمة حصينة قديمة مشهورة تقع في بلاد المغرب على ضفّة البحر الرومي المعروف ببحر الزقاق، مقابل جزيرة الأندلس، وكان صاحبها يوليان الذي أجاز طارق بن زياد وأصحابه إلى الأندلس، فتحها العرب المسلمون بالصلح وعمَّروها، وبها عيون ومياه جارية، وخصب زائد، ولها مرسى على البحر، وكانت عامرة بالسكان، وينسب إليها جماعة من أعيان اهل العلم؛ البكري، المسالك والممالك (ج779/2-781)؛ زين الدين، الأماكن (ص514-515)؛ الحموي، معجم البلدان (ج182/3-183)؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد (ص533-534)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج688/2)؛ ابن الخطيب، معيار الاختيار فى ذكر المعاهد والديار (ص144-146)؛ الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص303).

(5) مِكْنَاسَةُ: مدينة حصينة جليلة تقع في المغرب، على أرض منبسطة، وهي مدينتان صغيرتان، الأولى محدثة اختطّها يوسف بن تاشفين قائد المرابطين، والأخرى قديمة وأكثر شجرها الزيتون، على شاطئها ميناء للسفن، وبها ثمار متنوعة وطيبة، وعيون متدفقة، وآبار عذبة، وينسب إليها الفقهاء والفضلاء والشعراء؛ الحموي، معجم البلدان (ج181/5)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج1302/3-1303)؛ ابن الخطيب، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار (ص165)؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص162-163،544).

(6) عماد الدين، المختصر في أخبار البشر (ج233/2-234)؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج662/8-664).

وهي عاصمة المرابطين[1]، وأميرها حِينَئِذٍ إِسْحَاقَ بْنَ عَلِيِّ بْنِ يُوسُفَ بْنِ تَاشَفِينَ، فقاتلها قتالاً شديداً، وضربها بالمنجنيقات، وحاصرها بالأبراج[2]، وتمكن من احتلالها بالسيف[3] عنوة، وقتل آخر ملوك المرابطين إسحق بن علي بن يوسف بن تاشفين[4] سنة 542هـ[5]، فسقطت بهذا آخر معاقل المرابطين بالمغرب[6]، وانقرضت دولة المرابطين، وكانت مدة ملكهم 70 سنة[7]، فاستوثق لعبد المؤمن بن علي الأمر[8]، وقام من بعد ذلك بتوطيد أركان الدولة الجديدة، وتشييد قواعدها[9]، وفِي سَنَةِ 544هـ توجهت جيوش عبد المؤمن لقتال فلول الْمُرَابِطِينَ من قبائل دَكَّالَةَ، وتمكن من سحقهم، وغنم أموالهم، وسبي نسائهم، وبهذا ثبت ملكه، وقامت طاعته في بلاد المغرب[10]، واستطاع أن يخضع بلاد المغرب كلها تحت نفوذه[11]، بعد احتلال مدنها[12].

2- إفريقية:

في سنة 547هـ توجه عبد المؤمن بن علي إلى بجاية فتملكها بغير قتال، كما سيطر على جميع ممالك بني حماد[13] في إفريقية[14]، ثم تمكنت جيوش عبد المؤمن بن علي من

---

(1) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص151).

(2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج664/8).

(3) كان البربر أصحاب محمد بن تُومَرت يأخذون الصّبيّ الصغير فيذبحوه فقتلوا على هذه الصفة خلقاً كثيراً؛ الأصفهاني، البستان الجامع (ص359).

(4) عماد الدين، المختصر في أخبار البشر (ج234/2).

(5) الدواداري، كنز الدرر وجامع الغرر (ج23/7)؛ أبو المحاسن، النجوم الزاهرة (ج363/5).

(6) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص151).

(7) ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج664/8-665).

(8) الدواداري، كنز الدرر وجامع الغرر (ج23/7)؛ أبو المحاسن، النجوم الزاهرة (ج363/5).

(9) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص153).

(10) ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج666/8).

(11) العسيري، موجز التاريخ الإسلامي (ص252).

(12) الصلابي، فقه التمكين عند دولة المرابطين (ص203).

(13) دولة بني حماد: هم فرع من آل زيري، ودولتهم شيعية، وهم سلالة بربرية، أنشأ الدولة حماد بن بلقين عام 398هـ في المغرب الأوسط (الجزائر)، ثم استولى على فاس، وكانت بجاية عاصمة ملكهم وسلطانهم، ويعتبر عهد الناصر وابنه المنصور أزهى عصور آل زيري وآل حماد حيث استقرار الأوضاع وازدهار حركة العمران والتنمية، وقد انتهت دولتهم على يد الموحدين عام 547هـ؛ مقديش، نزهة الأنظار (ج82/1)؛ العسيري، موجز التاريخ الإسلامي (ص241-242).

(14) الأصفهاني، البستان الجامع (ص369)؛ المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص152).

هزيمة صنهاجة وقتل قائدهم أبو قصبة، والسيطرة على بلادهم[1]، وتمكن عبد المؤمن بن علي من تحرير المهدية[2] سنة 555هـ من الفرنجة بعد أن ملكوها لـ 12 سنة، كما تمكن من السيطرة على جميع بلاد إفريقية، حتى أصبحت آمِنَةً سَاكِنَةً مَعَ نُوَّابِه[3].

3- الأندلس:

كانت أحوال جزيرة الأندلس، في آخر دولة أمير المسلمين علي بن يوسف، قد اختلت اختلالاً مفرطاً، فتخاذل المرابطون وتواكلوا، ومالوا إلى الدعة، والراحة، وأطاعوا النساء، واستولى النصارى على كثير من الثغور المجاورة لبلادهم، فهانوا على أهل الجزيرة، فأخرجوهم من ولاياتهم، وكادت الأندلس تعود إلى عهد ملوك الطوائف[4]، فكان تصرف القيادة الموحدية على مسارين:-

أ- السيطرة على أملاك المرابطين في الأندلس:

لما انتشرت دعوة الموحدين بالمغرب الأقصى، دخل كثير من أعيان الأندلس في ملك الموحدين، وبايعوا عبد المؤمن بن علي، وكان قدوم الأعيان من الجزيرة الخضراء[5]، ورُنْدَة[6]، ثم إشبيلية[7]،

---

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج185/9).

(2) المقريزي، اتعاظ الحنفاء (ج188/3).

(3) انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج257/9-263).

(4) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص154).

(5) الجزيرَةُ الخضْرَاءُ: مدينة حصينة شريفة مشهورة تقع بالأندلس شرقي شذونة على نهر برباط، مقابلة لمدينة سبتّة في بلاد المغرب، أرضها طيبة، وبها مرسى عظيم، وينسب إليها جماعة من أهل العلم؛ الحموي، معجم البلدان (ج136/2)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج332/1).

(6) مدينة قديمة حصينة تقع في الأندلس على نهر جار بين إشبيلية ومالقة، وبها زروع كثيرة، ونهر وعيون ومياه كثيرة، ينتسب إليها بعض أدباء وفضلاء، وقد سقطت بيد الصليبيين؛ الحموي، معجم البلدان (ج73/3-74)؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد (ص532)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج635/2)؛ ابن الخطيب، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار (ص132)؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص269)؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس (ص79).

(7) إشبيلية: مدينة قديمة كبيرة عظيمة تقع على ساحل المحيط الأطلسي، على شرقي شاطئ نهر الوادي الكبير، وغربي قرطبة، يطل عليها جبل الشرف، ويقال إنّ الّذي بناها يوليش قيصر، لطيب أرضها وبساطتها، وبنى عبد الرحمن بن الحكم أسوار إشبيلية الحصينة بإحكام بعد غلبة المجوس عليها، وبنى جامعها، ولإشبيلية أقاليم كثيرة طيبة الخضرة والنبات والتراب والماء والهواء، وقد كانت قاعدة ملك الأندلس، وينسب لها الكثير من أهل العلم، سقطت بيد الإسبان سنة 646هـ؛ مجهول، حدود العالم من المشرق الى المغرب (ص183)؛ البكري، المسالك والممالك (ج902/2-905)؛ الحموي، معجم البلدان (ج195/1)؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد (ص497)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج80/1)؛ الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص58-60)؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس (ص18-22).

وقرطبة[1]، وغرناطة[2]، فعبر الموحدون بقيادة الشيخ أبو حفص عمر إِينْتي[3]، وقاموا بفتح الأندلس، وخلعوا بقايا المرابطين[4]، وفي سنة 557هـ وجه عَبْدُ الْمُؤْمِنِ ابْنَهُ أَبَا يَعْقُوبَ يُوسُفَ[5] فِي جيش، تمكن فيه من هزيمة ابْنُ مَرْدَنِيشَ[6].....

(1) قرطبة: وهي مدينة عظيمة واسعة حصينة، تعد أعظم بلاد الأندلس تقع في وسطها، تضاهي مدينة بغداد في زمانها، وهي أم البلاد وقصبتها وواسطة عقد الأندلس، تقع قرب جبل، على نهر عظيم، وهي مستقر السلطان، وكان ملكها بيد الأمويين، بها أقاليم كثيرة، عامرة بالسكان، متسعة أحوالهم، ذات نعم وتجارات كثيرة، ومعادن وصناعات متنوعة، وكان بها مساجد كثيرة، وينسب إليها الملوك والعلماء والنبلاء والزهاد، سقطت بيد الاحتلال النصرانى سنة 633هـ؛ مجهول، حدود العالم من المشرق الى المغرب (ص182)؛ البكري، المسالك والممالك (ج2/900-902)؛ الحموي، معجم البلدان (ج4/324-325)؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد (ص552)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج3/1078)؛ الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص456-459)؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس (ص158،156،153).

(2) غَرْنَاطَةُ: مدينة بالأندلس من أقدم مدن الأندلس وأعظمها وأحسنها وأحصنها، تقع قرب البيرة، يشقّها نهر القلزم، ويقع فيها جبل الثلج، أرضها وهوائها طيب، وبها ثمار متنوعة ، ومروج وجنات زاهرة، من أشهر قلاعها قصر الحمراء؛ الحموي، معجم البلدان (ج4/195)؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد (ص547)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج2/990)؛ ابن الخطيب، معيار الاختيار فى ذكر المعاهد والديار (ص113-123).

(3) الشيخ أبو حفص عمر بن يحيى الهنتاتي: وكان من جلة الموحدين وأكابرهم، أحد الرجال العشرة الخواصّ الّذين لزموا صحبة ابن تومرت وتقدّموا في أيامه، ويعد من موطّدي دعائم الملك لعبد المؤمن الكومي، وجهه أمير المؤمنين أبو يعقوب إلى مالقة حين كان ابن حسون بها، وقد كتب أهل مالقة على أبي حفص، ليصل إليهم، فشكرهم على ذلك؛ ابن عسكر وابن خميس، مطلع الأنوار ونزهة البصائر والأبصار (ص: 323)؛ ابن عسكر وابن خميس، أعلام مالقة (ص: 323)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (ج43/398)؛ الزركلي، الأعلام (ج4/176).

(4) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص156).

(5) هو أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بن علي، وكان فقيهاً حافظاً متقناً، ومجاهداً حازماً شجاعاً، وسياسياً بارعاً خبيراً، ملك دولة الموحدين بعد أبيه عبد المؤمن في المغرب والأندلس، وَكَانَتْ مُدَّةُ مُلْكِهِ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ سَنَةً وَشَهْرًا؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (ج7/130-132)؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج15/317-319)؛ الزركلي، الأعلام (ج8/241-242).

(6) هو أبو عبد الله مُحَمَّد بْن سعد بْن مَرْدَنيش الجذامي، صاحب مرسية وبلنسية وشاطبة ودانية، ولد سنة 518هـ، وكان فارساً، شجاعاً، مقداماً، قوياً، شديداً، حكم شرق الأندلس بعد السنة 540هـ، قاتل الروم وهادنهم، كما استعان بالفِرَنْج عَلَى حرب الموحّدين، أوصى بنيه أن يسلموا البلاد لأبي يعقوب يوسف الموحدي، عند حصارهم له بمرسية، في مرضه الشديد الذي توفي به، وقيل أن أمه هي من أسقته السم فمات، في السنة 568هـ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (ج39/294-295)؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج15/64-65)؛ ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة (ج2/70)؛ الزركلي، الأعلام (ج6/137).

وَابْنُ هَمَشْكَ[1]، وَاسْتَوْلَى الْمُوَحِّدُونَ عَلَى غَرْنَاطَةَ[2].

ب- تطهير الأندلس من النصارى الصليبيين:

وفِي سنَةِ 556هـ سَارَ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ، صَاحِبُ الْمَغْرِبِ، إِلَى جَبَلِ طَارِقٍ[3]، وَبَنَى عَلَيْهِ مَدِينَةً حَصِينَةً[4]، وفي سنة 556هـ فتح عبد المؤمن مدينة المَرِيّة[5]، وقتل من الفرنج ما لا يُحصَى[6]، فشحن عبد المؤمن بعد عبوره إلى الأندلس الجزيرة بالجنود والفرسان والخيول والسلاح[7].

---

(1) هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن مفرّج بن همشك الرومي، كان نصرانياً أسلم على يد أحد ملوك بني هود بسرقسطة، ولقب بهمشك لانقطاع أحد أذنيه، كان شجاعاً جباراً قاسياً طاغية يرمي العباد من الأبراج العالية، ويحرقهم بالنيران، ويتفنن في تعذيبهم وإبادتهم بأبشع الطرق، وقد حكم جيان بالأندلس، ودخل في ثورات الأندلس وفتنها الممتدة من قبل السنة 539هـ، وكان له تواصل مع ابن مردنيش، حتى أصبح أحد ولاته، إلى أنه فارقه، واحترز بما لديه من بلاد ومعاقل، مع جيوشه، ودخل في صراع مع ابن مردنيش، ثم أنه دخل في خدمة الموحدين في آخر أيامه، بعد حروبه الطويلة معهم بزعامة بن مردنيش، وتوفي في مكناسة سنة 572هـ؛ ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة (ج1/151-155)؛ الزركلي، الأعلام (ج1/29).

(2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج9/292-293).

(3) جبل طارق: ويُسمى: جبل الفتح، وينسب إلى طارق بن زياد، إذ كان أوّل ما حلّ به مع المسلمين من بلاد الأندلس عند الفتح، وهو مقابل الجزيرة الخضراء، وقد استدار البحر هناك حتى صار مكان هذا الجبل كالناظر للجزيرة الخضراء، وقد أَمر عبد الْمُؤمن بِبِنَاء جبل طَارق وتحصينه في سنة 555هـ؛ السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج2/140)؛ خطاب، قادة فتح الأندلس (ج1/77).

(4) ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج9/289).

(5) المَرِيَّةُ: مدينة بحرية كبيرة حصينة منيعة محدثة تقع في الأندلس، أمر الأمير الأموي الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد ببنائها سنة 344هـ، وكان بها مرفأ للسفن والمراكب، وبها زروع كثيرة، ومعادن متنوعة، وخيرات وأموالٌ عظيمة، وكان بها أنواع من التجارات والصناعات والآلات، وكان الجند الإسلامي يعبر منها إلى غزو الافرنج، وينسب إليها المرابطون، والعلماء، والفقهاء، والفضلاء، والمحدثون، والعباد؛ وسقطت بيد الروم الصليبيين، فدمروا ديارها، وسبوا أهلها؛ الحموي، معجم البلدان (ج5/119-120)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج3/1264)؛ ابن الخطيب، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار (ص100)؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص537-538).

(6) الأصفهاني، البستان الجامع (ص382).

(7) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص165،167).

وفاته، وولاية عهده:

وفِي جمادي الآخرة[1] سنَةِ 558هـ[2]، تُوُفِّيَ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ بْنُ عَلِيٍّ، صَاحِبُ بِلَادِ الْمَغْرِبِ، وَإِفْرِيقِيَّةَ، وَالْأَنْدَلُسِ، عن ولاية دامت 33 سنة[3]،في مرضه الشديد بعد أن وطد قواعد الملك[4]، وكان قد عهده لولده محمد بولاية العهد في رمضان سنة 551هـ[5] فاضطرب أمر محمد، فاتفق أشياخ الموحدين مع الأسرة المؤمنية على خلعه[6] وبَايَعُو أبا يعقوب يُوسُفُ بن عبد المؤمن بن علي[7]، ولقبوه بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ[8].

رابعاً: الظروف السياسية للدولة حتى عصر المنصور (558 – 580هـ)

في سنة 559هـ انتشر خبر وفاة عبد المؤمن، وقيام ابنه أَبُو يَعْقُوبَ يُوسُفُ بْنُ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ بعده بالأمر، فثَارَتْ قَبَائِلُ غُمَارَةَ، فَجَهَّزَ إِلَيْهِمْ أَبُو يَعْقُوبَ جَيْشٌ كَبِيرٌ مِنَ الْمُوَحِّدِينَ وَالْعَرَبِ، وَاقْتَتَلُوا سَنَةَ 561هـ، فَانْهَزَمَتْ غُمَارَةُ، وَقُتِلَ مِنْهُمْ كَثِيرٌ، فَسَكَنَتِ الفتن والثورات من القبائل فِي جَمِيعِ الْمَغْرِبِ [9]، ونلاحظ أن فترة أبي يعقوب هي فترة دعم الاستقرار، والحفاظ على أركان الملك التي نظمها عبد المؤمن بن علي ثابتة، فكانت الظروف السياسية في زمانه، تتجه إلى مسارين:

1- الحفاظ على الاستقرار والأمن الداخلي:

لما تمكن يُوسُفُ بْنُ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ من الحكم، جهز جيشاً سنة 565هـ لقتال بْنِ مَرْدَنِيشَ بعد سيطرته على شرق الأندلس، فزحف الموحدون نحوه، وهزموه مع أتباعه الروم، وتمكنوا من

---

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج299/9).

(2) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص173-174)؛ الدواداري، كنز الدرر وجامع الغرر (ج24/7).

(3) أبو المحاسن، النجوم الزاهرة (ج363/5)؛ المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص173-174).

(4) الدواداري، كنز الدرر وجامع الغرر (ج24/7).

(5) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان (ج39/21)؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي (ج55/2).

(6) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص173-174).

(7) أبو المحاسن، النجوم الزاهرة (ج363/5).

(8) ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج299/9).

(9) ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج317/9)؛ الأصفهاني، البستان الجامع (ص386).

أخذ مَدِينَتَيْنِ مِنْ بِلَادِهِ[1]، وفي سنة 571هـ خرج إلى سُوس لحسم خلاف وقع هنالك بين بعض القبائل الذين بـ دَرَن، فتم له ما أراد من إخماد الفتنة، وجمع الكلمة، وفي سنة 573هـ خرج أبو يعقوب بجيوشه وهزموا قبيلة غُمارة بعد خلعها الطاعة، وفي سنة 575هـ قصد أبو يعقوب بجيوشه مدينة قفصة[2]، حيث خرج فيها ابن الرَّنْد[3]، فحاصره الموحدون، وهزموه[4]، وفتحوا قَفْصَةَ سنة 576هـ، وَرَتَّبَ أبو يعقوب لها طَائِفَةً مِنْ الْمُوَحِّدِينَ[5]، ورجع أبو يعقوب إلى مراكش من إفريقية، وقد وحد المغرب، ودانت له جزيرة الأندلس[6].

2- جهاد النصارى، ورد الاعتداءات الخارجية:

ففِي سنَةِ 568هـ جهز أَبُو يَعْقُوبَ يُوسُفُ جيشاً، لقتال الفرنج، لكن الجيش انسحب لقلة مئونة المسلمين، ثم أخذ أبو يعقوب يرسل الجيوش إلى سنة 571هـ، في غزواته ضد الفرنج[7]، ولما سَارَ يُوسُفُ إِلَى الْمَهْدِيَّةِ، فَأَتَاهُ بِهَا رَسُولُ مَلِكِ الْفِرِنْجِ، صَاحِبِ صِقِلِّيَّةَ[8]، يَلْتَمِسُ مِنْهُ

---

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج9/355-356)؛ المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص183).

(2) قفصة: مدينة كبيرة قديمة حسنة تقع في أطراف إفريقية من ناحية المغرب، بين القيروان وقابس، بجانب نهر الزاب الكبير بالجريد، بها غابة كبيرة محيطة بها، وقصور كثيرة، وينابيع ماء وعيون وآبار كثيرة، وعدة بساتين ومزارع، عامرة بالسكان، وقد كانت المدينة محصنة بالجند والأسوار الصخرية؛ الحموي، معجم البلدان (ج4/382-383)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج3/1113)؛ الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص477-479).

(3) هو عبد الله بن محمد بن الرند الصدغياني، كان بقفصة عاملا لصنهاجة، ثم استبدّ بأمره سنة 545هـ، فبايعته توزر وقفصة وسوس والحامة ونفزاوة وقسنطينة، فاستفحل أمره وعظم سلطانه، وكان معظماً لأهل الدين، دخل عبد المؤمن في صراع معهم، وأخضع قفصة سنة 557هـ، وفي سنة 563هـ سقطت دولة بني الرند بيد الموحدين، وتوفي بن الرند سنة 565هـ؛ ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر (مج6/220-221).

(4) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص185).

(5) ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج9/450-451).

(6) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص186).

(7) ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج9/382-383).

(8) صقلية: وهى جزيرة عظيمة ضخمة حصينة خطيرة، مثلثة الشكل تقع شرقي الأندلس، مقابل إفريقية، قرب إيطاليا، يفصلها عنها الخليج، يغلب عليها الجبال والقلاع والحصون، وهي خصيبة الأرض، وكانت كثيرة البلدان والقرى والأمصار والضياع، فكان بها مدينة حصينة، اسمها بلرم، وكثيرة الزروع والماشية والبساتين والخيرات والمياه، ومتنوعة المعادن، وهي غزيرة الأنهار والعيون والآبار، وبها بركان عظيم، فتحت على يد الأغالبة سنة 212هـ بقيادة العالم الصالح أسد بن الفرات، فغدت عامرة بالسكان المسلمين في تاريخها، =

الصُّلْحَ، فَهَادَنَهُ عَشْرَ سِنِينَ[1]، وبهذا يكون أمن البلاد الإفريقية وحفظها من أي هجمات صليبية محتملة من طرف نصارى صقلية بهذا الصلح.

وفِي سنَةِ 578هـ سَارَ أَبُو يَعْقُوبَ يُوسُفُ بْنُ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ بجيوشه[2] وتعدادها 260 ألف[3] إِلَى الْأَنْدَلُسِ، لقتال الأذفونش ملك طليطلة[4] ابن الريق فحَاصَرَ مَدِينَةَ شَنْتَرِينَ[5] الفرنجية، ودمر ما حولها، ثم أجمع المغادرة، انسحب بعد ذلك جيشه، فبقي في نفر يسير،

=

وكان يسكنها التجّار وفيها مسجد الجامع الأكبر، وينسب إليها العلماء والصالحون والعباد والفقهاء والشعراء والملوك والقادة المسلمين، ثم سقطت بيد الكفار النصارى مرة أخرى سنة 453هـ، وهي بيدهم اليوم؛ ابن حوقل: صورة الأرض، (ج118/1)؛ مجهول، حدود العالم من المشرق الى المغرب (ص40)؛ البكري، المسالك والممالك (ج482/1-483)؛ ابن جبير، رحلة ابن جبير (ص266-267)؛ الحموي، معجم البلدان (ج416/3-417)؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد (ص215-216)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج847/2-848)؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص366-368).

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج450/9-451).

(2) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان (ج292/21)؛ المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص188-189).

(3) الأصفهاني، البستان الجامع (ص419).

(4) طليطلة: مدينة كبيرة جليلة عظيمة حصينة قديمة تقع غربي ثغر الروم، بين الجوف والشرق في أول الإقليم الخامس، بمنتهى حد الأندلس الأدنى، على سفح جبل عال، يحيط بها نهر تاجة، وكانت تسمى مدينة الأملاك، وقد كانت قاعدة القوط ودار مملكتهم، ومنها كانوا يغزون عدوّهم وإليها كان يجتمع جنودهم، وأوّل من نزل بها من ملوك الأندلس لوبيان، كثيرة الخيرات، طيبة التراب، لطيفة الهواء، متنوعة الثمار، كثيرة البشر، فتحها المسلمين، ومنها العلماء والمحدثين، سقطت طليطلة سنة 478هـ بيد الاحتلال النصراني في عهد ملوك الطوائف؛ مجهول، حدود العالم من المشرق الى المغرب (ص182)؛ البكري، المسالك والممالك (ج907/2-908)؛ الحموي، معجم البلدان (ج39/4-40)؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد (ص545-547)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج892/2)؛ الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص393-395)؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس (ص128)؛ الإدريسي، نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق (ج536/2).

(5) شَنْتَرِينُ: آخر مدينة من حدود الأندلس، تقع على جبل بالقرب من باجة فى غربىّ الأندلس غربىّ قرطبة، على نهر تاجه، على ساحل المحيط الأطلسي، وهي حصينة، فيها بساتين كثيرة، وهي من أخصب البقاع، واحتلها الإفرنج في سنة 543هـ؛ مجهول، حدود العالم من المشرق إلى المغرب (ص183)؛ الحموي، معجم البلدان (ج367/3)؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد (ص542)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج815/2)؛ الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص346)؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس (ص113-114).

وتعرض لهجمة مباغتة[1]، وأصيب بجراح خطيرة[2]، مرض من خلالها ثم توفي على إثر ذلك سنة 580هـ، وكانت ولايته 22 سنة وَمَاتَ عَنْ غَيْرِ وَصِيَّةٍ بِالْمُلْكِ لِأَحَدٍ مِنْ أَوْلَادِهِ، فَاتَّفَقَ رَأْيُ أشياخ الْمُوَحِّدِينَ وَأَوْلَادِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ عَلَي[3] تَمْلِيكِ وَلَدِهِ أَبِي يُوسُفَ يَعْقُوبَ بْنِ يُوسُفَ بْنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ المنصور الموحدي[4].

(1) يذكر الأصفهاني أن وزير أبي يعقوب الملقب ابن المالِقي، خان الموحدين، وراسل ملك الفرنج بن الرنق، بعد انسحاب جيوش الموحدين في حيلة دبرها، فهاجم ملك الفرنج وجيشه أبا يعقوب وهو في أُناس قلائل فقتل عدداً كبيراً من المسلمين، وتعرض أبو يعقوب لطعنة غادرة، كانت سبباً في مقتله؛ الأصفهاني، البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان (ص419).

(2) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان (ج292/21)؛ المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص188-189).

(3) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص191)؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج480/9-481).

(4) ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج480/9-481)؛ سبط بن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان (ج292/21)؛ المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص188-189).

المبحث الثاني:

نبذة عن شخصية المنصور وسيرته:-

أولاً: التعريف العام بالشخصية

هو أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي المُوَحِّدِيّ [1]، القيسي الكومي [2] المنصور [3] صاحب بلاد المغرب [4]، ولد في عام 554هـ من ذي الحجة[5]، بقصر جده في مراكش، لقبه المنصور بفضل الله[6]، أمه أم ولد[7] رومية اسمها ساحر [8]، أُهديت لأبيه يوسف، له أولاد كالمأمون [9] ومحمد الناصر [10]

---

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (ج3/7)؛ المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص9)؛ الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية (ص15)؛ المكناسي، جذوة الاقتباس (ص555)؛ الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص27)؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس (ص216)؛ السَّمْلالي، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات (ج264/10).

(2) ويعقوب كومي السلف، مضري الأصل من قيس عيلان بن مضر كما ذكره جماعة من المؤرخين لدولتهم، وهو الصحيح؛ السَّمْلالي، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات (ج268/10).

(3) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (ج3/7).

(4) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (ج3/7)؛ المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص9)؛ الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص27).

(5) الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية (ص15).

(6) المكناسي، جذوة الاقتباس (ص555)؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس (ص216)؛ السَّمْلالي، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات (ج264/10).

(7) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص192)؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس (ص216)؛ السَّمْلالي، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات (ج264/10).

(8) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص192).

(9) أبو العلا المأمون إدريسُ بن يعقوب بن يوسف بن عَبْد المؤمن بن عليٍّ، صاحب المغرب، كان بطلا شُجاعًا، صارما، سَفَّاكًا للدِّماء، ذا رأي ودهاء وسعادة، تغلب على الخلافة الموحدية، وقام بالأمر أعواماً، توفي في الغزو في سنة 629هـ، وتملَّك بعده ابنُه عبدُ الواحد الرشيد عشرةَ أعوام؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (ج337/45-338).

(10) ملك المغرب الناصر أبو عبد الله محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي بن علوي، بُوبِعَ بِعَهْد أَبِيه إِلَيْهِ في صفر سنة 595هـ، ثم دخل الأندلس في سنة 608هـ فحشد له الأذفونش الفرنج في وقعة العقاب، فانكسر المسلمون، ومَاتَ الناصر بالسكتة في شعبان سنة 610هـ؛ المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص192)؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر (ج154/3)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج148/5)؛ ابن ناصر الدين، توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة (ج310/4)؛ ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب (ج80/7-81).

وغيرهم[1] وله بنات كثر[2]، وله أخت اسمها زينب[3]، وعندما ذهب المنصور إلى حاضرة دولته مراكش في سنة 595هـ هاجمه المرض عندها أوصى وصيّته التي تناقلها الناس، وحضرها عيسى ابن الشيخ أبي حفص[4]، ثم توفي يعقوب [5] الملقب بأمير المؤمنين[6]، وَدفن بِمَجْلِس سكناهُ في مراكش[7]، فكانت مدة ولايته 16 سنة، وبلغ من العمر 48 سنة[8]، فبايع الناس ولده أبا عبد الله محمد بن يعقوب وتلقب بالناصر، واستقام له الأمر من بعد[9].

ثانياً: صفات المنصور

1- صفاته الخَلْقِيَّة:

كان صافي السمرة، طويل، جميل الوجه أفوه أعين أكحل جهوري الصوت جزل الألفاظ، مستدير اللحية [10]، ضخم الهامة، معتدل الأعضاء والجسم [11].

---

(1) من أولاده أيضاً: عبد الله العادل وإدريس وإبراهيم، وعبد الله، وعبد العزيز، وأبو بكر، وزكريا، وإدريس، وعيسى، وموسى، وصالح، وعثمان، ويونس، وسعد، ومُساعِد، والحسن، والحسين؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس (ص216)؛ السَّمْلالي، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات (ج264/10).

(2) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص192-193).

(3) زينبُ ابنةُ أبي يعقوبَ يوسُفَ بن عبد المؤمن بن عليّ، تزوَّجها ابنُ عمّها أبو زَيْد بن أبي حَفْص، وَكَانَت عَالِمَة صائبة الرَّأْي مَعْرُوفَة بالتفوق على نسَاء أهل زمانها، مُتَحَدَّثًا بنباهة شَأْنهَا، ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة (ج263/4)؛ الأوسي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (ج417/5).

(4) ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر (ج330/6).

(5) ابن الخطيب، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام (ج239/2)؛ السَّمْلالي، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات (ج266/10)؛ مصطفى، الأندلس في التاريخ (ص108)؛ عناني، تاريخ الأدب الأندلسي (ص26).

(6) اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان (ج363/3).

(7) السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج205/2)؛ السَّمْلالي، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات (ج266/10).

(8) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص192).

(9) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (ج15/7).

(10) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (ج3/7)؛ المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص192).

(11) ابن عذارى، البيان المغرب "قسم الموحدين" (ص170)؛ السَّمْلالي، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات (ج264/10)؛ ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب (ج525/6).

2- صفاته الخُلُقِيَّة:

كان المنصور ملكاً جليلاً فاضلاً ورعاً[1]، كريماً عالماً بالحديث والفقه واللغة، مشاركاً في كثير من العلوم، محباً للعلماء، معظماً لهم، صادراً عن رأيهم كثير الصدقة، يشهد جنائز الفقهاء والصلحاء[2]، فقد كان يحب الصالحين ويدني مجالسهم ويقربهم، وكان شجاعاً مقداماً عظيم الصريمة على أعدائه، لا يجترئ أحد على خداعه، ولا تأخذه في الله لومة لائم متواضعاً لله مجاهداً في سبيله[3].

وكان المنصور عاقلاً، ذا رأي وسياسة، من أصدق الناس لهجة وأحسنهم حديثاً وأكثرهم إصابة بالظن، مجرباً للأمور[4]، أديباً بليغ اللسان حاضر الجواب، مشرفاً على أجزاء مملكته في القرب والبعد، لا تضيع فضيلة أحد من رجاله ولا يغيب عنه شيء من أحوال رعيته[5]، فكان رحمه الله أجل ملوك الموحدين وأكثرهم صيتاً[6]، وأحسنهم في الأحوال كلها، فكانت همته عالية، وعزيمته شديدة، ودينه متيناً، وسيرته حسنة، ومال دولته وفيراً، فرحمه الله رحمة واسعة[7].

ثالثاً: توليه الحكم

ولي المنصور الوزارة في عهد أبيه[8]، فبحث في أحوال الرعية واستطلع أحوال العمال والولاة ومقاصدهم، فأفاده ذلك في التعرف على دقائق الأمور وخباياها[9]، فأهله ذلك إلى ما صار إليه.

---

(1) ابن الخطيب، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام (ج239/2).

(2) المكناسي، جذوة الاقتباس (ص555)؛ السَّمْلالي، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات (ج264/10)؛ ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار أفريقية وتونس (ص114).

(3) ابن عذارى، البيان المغرب "قسم الموحدين" (ص229).

(4) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (ج3/7).

(5) ابن عذارى، البيان المغرب "قسم الموحدين" (ص170).

(6) وقد شرح أحوال سيرته وما جرى في أيام دولته تاج الدين السرخسي الوافد إليه بمراكش في كتاب التاريخ المسمى (عطف الذيل)، إلا أن الباحث لم يستطع الظفر به؛ السَّمْلالي، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات (ج264/10).

(7) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس (ص239)؛ ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار أفريقية وتونس (ص116-117).

(8) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (ج3/7)؛ السَّمْلالي، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات (ج267/10).

(9) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (ج3/7)؛ السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج198/2).

ولما مَاتَ[1] أبوه يوسف سنة 580هـ[2] على حصن شنترين، عَنْ غَيْرِ وَصِيَّةٍ بِالْمُلْكِ لِأَحَدٍ مِنْ أَوْلَادِهِ[3]، في ظل عدم وجود قانون معين ينظم وراثة العرش، حيث كان الأمير يختار ولي عهده وفق مشيئته[4]، لكن المؤرخين المسلمين ذكروا أنه قد اتَّفَقَ رَأْيُ قادة الْمُوَحِّدِينَ وَأَوْلَادِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ عَلَى تولية وَلَدِهِ أَبِي يُوسُفَ يَعْقُوبَ بْنِ يُوسُفَ بْنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ ملك الموحدين[5]، لتجْتَمَعُ كَلِمَتَهُمْ[6]، خصوصاً وأنهم قريبون من الأعداء، وهذا يوضح نظام الشورى الذي ينتهجه المسلمون من قرآن ربهم وسنة رسولهم، حيث قال الله ﷻ: ﴿.. **وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ**..﴾[7]، وقد قال النبي ﷺ: "من أَرَادَ أمرا فَشَاور فِيهِ وَقضى اهْتَدَى لأَرْشَد الْأُمُور"[8]، وعلى مثل هذا قد سار الموحدون في إقامة حكمهم.

وقد بويع ليعقوب يوم الأحد سنة 580هـ[9]، ولقبوه بالمنصور[10]، وكان عمره 32 سنة[11].

---

(1) فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَارَ أَبُو يَعْقُوبَ يُوسُفُ بْنُ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ إِلَى بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ، وَجَازَ الْبَحْرَ إِلَيْهَا فِي جَمْعٍ عَظِيمٍ مِنْ عَسَاكِرِ الْمَغْرِبِ، فَإِنَّهُ جَمَعَ وَحَشَدَ الْفَارِسَ وَالرَّاجِلَ، فَلَمَّا عَبَرَ الْخَلِيجَ قَصَدَ غَرْبِيَّ الْبِلَادِ، فَحَصَرَ مَدِينَةَ شَنْتَرِينَ، وَهِيَ لِلْفِرِنْجِ، شَهْرًا، فَأَصَابَهُ بِهَا مَرَضٌ فَمَاتَ مِنْهُ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ، وَحُمِلَ فِي تَابُوتٍ إِلَى مَدِينَةِ إِشْبِيلِيَّةَ مِنَ الْأَنْدَلُسِ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج9/480-481).

(2) ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر (ج6/325)؛ الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص346)؛ أبي شامة، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية (ج3/223)؛ عناني، تاريخ الأدب الأندلسي (ص26).

(3) ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج9/481)؛ ابن المظفر، مضمار الحقائق وسر الخلائق (ص201).

(4) أشباخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين (ج2/327).

(5) ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج9/481)؛ ابن المظفر، مضمار الحقائق وسر الخلائق (ص201)؛ مقديش، نزهة الأنظار (ج1/467).

(6) ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج9/481)؛ ابن المظفر، مضمار الحقائق وسر الخلائق (ص201)؛ العينى، عِقْدُ الجُمَان "العصر الأيوبي" (ج2/26-27).

(7) [الشورى: 38].

(8) السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (ج7/357).

(9) المكناسي، جذوة الاقتباس (ص555)؛ السَّلاوي، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات (ج10/264)؛ يوسف أشباخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين (ج2/327)؛ المنوني وآخرون، التاريخ الأندلسي من خلال النصوص (ص208).

(10) اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان (ج3/363).

(11) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص192).

رجع المنصور بالناس إلى إشبيليّة لاستكمال البيعة[1]، واستوزر الشيخ أبا محمد عبد الواحد بن أبي حفص [2] في الوزارة[3]، ومن ثم أرسل الكاتب أبا الفضل بن طاهر بن مَحْشَرة[4] من الأمير يعقوب الموحدي المنصور إلى طلبة غرناطة، ببيعته ودعوتهم للاشتراك بها[5].

لما حكم المنصور يعقوب الموحدي قام بالأمر أحسن قيام، وهو الذي أظهر أبهة ملكهم ورفع راية الجهاد، ونصب ميزان العدل، وبسط أحكامه، ونظر في أمر الدين والورع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأقام الحدود حتى في أهله وعشيرته والأقربين، كما أقامها في سائر الناس أجمعين، فاستقامت الأحوال في البلاد وعظمت الفتوحات[6]، وَجرى ذَلِك كُله فِي.....

(1) ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر (ج325/6)؛ الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص347)؛ الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية (ص15).

(2) عَبْد الواحد ابْن الشَّيْخ أَبِي حفص عُمَر بن يحيى الهنتاتيّ الحفصي، زعيم قبيلة هنتاتة، وكان أكبر أشياخ الموحّدين، وأميرهم رتبة وفضلا ودراية وشجاعة، وأطوعهم في قومه، وكان له براعة في السّياسة وتدبير الحروب، فكان عاقلا مظفرا، لم تهزم له راية، وقد كان مدبّر الملك، حيث قام ببيعة الأمير الناصر محمد بن يعقوب وبذل الأموال، فاستوزره الناصر، وولاه تونس سنة 603 هـ فضبط إفريقية وقمع ثوراتها، واستمر تابعا لأصحاب مراكش، إلى أن توفي بتونس سنة 610هـ، ويعد عبد الواحد مؤسس دولة " الحفصيين " في إفريقية الشمالية، ففي أولاده نجباء وأمراء تملّكوا إفريقية وغيرها؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (ج398/43)؛ الزركلي، الأعلام (ج176/4)؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي (ج185/2)؛ المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك (ج331/1-332)؛ مقديش، نزهة الأنظار (ج458/1).

(3) ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر (ج325/6)؛ الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية (ص15).

(4) أبو الفضل بن طاهر البجائي: وكان شيخاً عالماً فقيهاً عارفاً متمكناً كاتباً أديباً بليغاً مترسلاً بارعاً، مالكي المذهب، وكان جليلاً نبيلاً قديراً وجيهاً فاضلاً شريفاً كريماً وقوراً تقياً ديناً متواضِعًا، ذو همة سنية، من بيتِ عِلم وجَلالة، استدعاه الخليفة يوسف بن عبد المؤمن إلى حضرتهم بمراكش بعد وفاة كاتب سر الخليفة، فأكرمه وقلده أمر كتابة السر، فكان أهلاً لهذا المنصب، وحرياً به، وكتَبَ بعدَ المنصور عن ابنِه الناصِر، وُلد سنةَ 540هـ، وتوفّي سنةَ 598هـ؛ السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج202/2)؛ الأوسي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (ج134/5-135)؛ الغِبْرِيني، عنوان الدّراية (ص53-55)؛ نويهض، مُعجَمُ أعلام الجزائِر (ص288)؛ الجزائري، تاريخ الجزائر في القديم والحديث (ج310/2).

(5) انظر: بروفنصال، مجموع رسائل موحدية (ص158-163).

(6) اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان (ج363/3)؛ ابن المظفر، مضمار الحقائق وسر الخلائق (ص201-202)؛ العينى، عِقْدُ الجُمَان "العصر الأيوبي" (ج84/3)؛ عناني، تاريخ الأدب الأندلسي (ص26).

شَهْرَيْن من أول ولَايَته ثمَّ عَاد إِلَى مراكش وَأقَام بهَا [1]، ولما دخلها قطع المنكرات[2] وأقام العدل وباشر الأحكام، وكان من أهل العلم والتوقيع في الجواب بأحسن توقيع[3] في زمانه[4].

وهو أول من كتب العلامة بيده من ملوك الموحدين "الحمد لله وحده"، ونقش خاتمه "على الله توكلت"[5]، فكان هذان الشعاران مبدأين حقيقيين برزا في حكمه.

فقد كَانَ طَرِيقُهُ في الحكم أَلْيَنَ مِنْ طَرِيقِ أَبِيهِ مَعَ النَّاسِ، يُحِبُّ الْعُلَمَاءَ وَيُقَرِّبُهُمْ وَيُشَاوِرُهُمْ، فأَحَبَّهُ النَّاسُ وَمَالُوا إِلَيْهِ بحسن فعله معهم، وَأَطَاعَهُ مِنَ الْبِلَادِ مَا امْتَنَعَ عَلَى أَبِيهِ[6]، وقد بنى المساجد والمدارس في أفريقيا والأندلس، وأكرم الفقهاء والصالحين وطلاب العلم وأجرى عليهم الإنفاق من بيت المال على قدر مراتبهم وطبقاتهم، ووزع أموالاً كثيرة على سائر أجناد الموحدين[7]، وَكَانَ يسير على مَذْهَبِ الظَّاهِرِيَّةِ، فَعَظُمَ أَمْرُهم فِي أَيَّامِهِ، ثم مال إلى الشافعية في آخر أيامه[8]، واستقضى في بلاده منهم[9]، والحق أن المنصور لم يصل الحكم إلَّا بعد أن اكتمل نضجه، واتسعت خبرته الإدارية والعسكرية والسياسية[10].

---

(1) ابن المظفر، مضمار الحقائق وسر الخلائق (ص202).

(2) كان المنصور متشدداً بصورة مبالغة فيها عند إقامة الحق والوقوف على حدود الله حتى أنه قتل على السكر من شرب الخمرة؛ السَّمْلالي، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات (ج267/10).

(3) فقد طلب يوماً من قاضيه أن يختار له معلماً لتعليم ولده، فجاء برجلين وكتب له أن أحدهما بر في دينه والآخر بحر في علمه، فاختبرهما السلطان ولم يجدهما كما قال، فكتب إلى القاضي (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ظهر الفساد في البر والبحر) وهذا من التوقيع الغريب في الإجادة؛ الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية (ص15)؛ السَّمْلالي، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات (ج267/10)؛ مقديش، نزهة الأنظار (ج467/1).

(4) السَّمْلالي، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات (ج266/10)؛ الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية (ص15).

(5) المكناسي، جذوة الاقتباس (ص555)؛ السَّمْلالي، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات (ج264/10).

(6) ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج481/9).

(7) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس (ص217–218).

(8) ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج162/10)؛ العينى، عِقْدُ الجُمَان "العصر الأيوبي" (ج87/3).

(9) العينى، عِقْدُ الجُمَان "العصر الأيوبي" (ج87/3).

(10) الأشتر، معركة الأرك 591هـ (ص27).

رابعاً: الظروف السياسية عند توليه الحكم

صادف يعقوب المنصور في أوائل عهده مشكلتين كبيرتين:

الأولى ثورة بني غانية[1]، والثانية تمرد نصارى الأندلس، وحربهم الصليبية، وقد مثلت هاتان المشكلتان تحدياً كبيراً للمنصور، في البرنامج الذي سيقوده في إصلاح بلاد المغرب والأندلس وأفريقية، وتغيير الفساد والمنكرات فيها والعمل على إزالتها، وتجديد حركة الإصلاح الديني بأشكاله المختلفة في البلاد.

1- **تمرد نصارى الأندلس:** كان السبب في تمرد نصارى الأندلس، هو عملهم على إضعاف العرب من أجل الاستيلاء على املاكهم في هذه البلاد[2]، فعمل المنصور على تَرتيب ثُغُور الْأَنْدَلُسِ، وَشَحَنِهَا بِالرِّجَالِ والمقاتلين، وَإِصْلَاحِ أَحْوَالَهَا[3]، فعظمت الفتوحات[4]، حتى تمكن من هزيمة طاغية الروم في معركة الأرك[5]، التي بلغ فيها عدد القتلى بالآلاف، وواصل الغزو، وعقد الصلح[6].

2- **ثورة بني غانية:** وكان السبب في ثورة بني غانية، وتحرك الموحدين باتجاه ميورقة[7] معقل بني غانية، أن المنصور يعقوب قام باستدعاء علي بن إسحاق بن محمد

---

(1) سيتم التفصيل عن هذه الثورة وأسماء رجالها وأوضاع قيامها ومواضع أمكنتها في ثنايا فصول الدراسة بإذن الله تعالى.

(2) حسن: حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي والديني (ج212/4).

(3) ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج481/9)؛ ابن المظفر، مضمار الحقائق وسر الخلائق (ص202).

(4) اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان (ج363/3)؛ ابن المظفر، مضمار الحقائق وسر الخلائق (ص201-202)؛ العينى، عِقْدُ الجُمَان "العصر الأيوبي" (ج84/3)؛ عناني، تاريخ الأدب الأندلسي (ص26).

(5) سنذكر هذه المعركة بالتفصيل، وسيتم التعريف بمكانها الجغرافي في آخر الدراسة إن شاء الله تعالى.

(6) ابن الخطيب، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام (ج239/2).

(7) مَيُورْقَةُ: جزيرة في شرقي الأندلس قرب جزيرة منورقة، تقع في البحر الزقاقي، تقع على شرقيها جزيرة سرذانية وعلى غربيها جزيرة يابسة، وطول ميورقة من الغرب إلى الشرق سبعون ميلاً، وعرضها من القبلة إلى الجوف خمسون ميلاً، وينسب إلى ميورقة الفقهاء والعلماء والمحدثين، فتحها المسلمون سنة 91هـ، ثم استولى الفرنجة بقيادة طاغية برشلونة على الجزيرة في عام 627هـ، بعد قتل واليها ابن يحيى؛ الحموي، معجم البلدان (ج246/5)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج1346/3)؛ الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص567-568)؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس (ص188-191).

ابن غانية[1] صاحب ميورقة لبيعته، فأنف من ذلك وأساء الرد واعتقل الرسل بل وأودعهم السجن، ثم خرج علي سنة 580هـ من ميورقة إلى بجاية، واستغل غفلة أهلها، وعدم توقع الموحدين بمهاجمته لها، فجمع كثيراً من المعلومات عن نقاط الضعف في المدينة فكانت من العوامل[2] التي ساهمت[3] في استيلائه عليها ثم دخل الجزائر[4]، ثم مليانة[5] ومازونة[6]، ثم

(1) عَلِيُّ بْنُ إِسْحَاقَ الميورقي بِابْنِ غَانِيَةَ مِنْ أَعْيَانِ الْمُلَثَّمِينَ الَّذِينَ كَانُوا مُلُوكَ الْمَغْرِبِ، فقد كان أبوه أبو إبراهيم إسحاق بن حمو، ابن علي، ويعرف بابن غانية الصنهاجي صاحب ميورقة ومنورقة ويابسة، وهي جزر البليار في البحر الغربي، فَوَلِيَ المَمْلَكَةَ بَعْدَهُ بِعَهْد منه ابنه الأمير علي بن إسحاق بن غانية، وكان مشهوراً بالشجاعة والإقدام، وكان خروجه على بني عبد المؤمن، وَهُوَ حِينَئِذٍ صَاحِبُ جَزِيرَةِ مَيُورْقَةَ، إِلَى بِجَايَةَ فَمَلَكَهَا؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج9/482-483)؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (ج7/18-19)؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج15/304).

(2) هناك عدة أسباب دفعت علي بن إسحاق إلى مهاجمة بجاية:

1- معرفة أهل الجزائر الشرقية بأحوال هذه المدينة وأهلها بسبب التبادل بينهما.

2- الدعوات التي تلقاها أمير الجزائر الشرقية من أعيان المدينة للقدوم عليهم.

3- الخطط التي رسمها علي بن إسحاق بالتعاون مع خصوم الموحدين من طوائف العرب.

4- مقتل الخليفة يوسف الموحدي، وانقسام بني عبد المؤمن في المبايعة للأمير الجديد؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس (ص272).

(3) انظر: سيسالم، التاريخ الإسلامي لجزر البليار (ص357-358).

(4) الجَزَائِرُ: مدينة جليلة قديمة البنيان، تقع على ضفّة البحر بين إفريقية والمغرب، وتعرف بجزائر بني مزغنّاي، وقد كانت من خواص بلاد بني حمّاد بن زيري بن مناد الصنهاجي، وكان بها مرسى يقصده أصحاب السفن من إفريقية والأندلس وغيرهما، وكانت عامرة السكان والقبائل، وبها عيون عذبة، وثروة حيوانية، وبعض الزراعات؛ الحموي، معجم البلدان (ج2/132)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج1/330)؛ الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص163).

(5) مِلْيَانَةُ: مدينة رومية قديمة كبيرة، من أعمال بجاية، تقع بأحواز أشير في آخر إفريقية بالمغرب، بقرب نهر شلف، يطل عليها جبل زكار، جددها زيري ابن مناد وأسكنها ابنه بلكّين، فيها آبار وأنهار، وهي كثيرة الخيرات وافرة الغلات، خصبة المزارع، مشهورة بالحسن والطيب وكثرة الأشجار وتدفق المياه، وكانت عامرة بالسكان؛ الحموي، معجم البلدان (ج5/196)؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد (ص273)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج3/1310)؛ الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص547).

(6) مازونة: مدينة تقع بالمغرب بين جبال بالقرب من مستغانم، وهي على ستة أميال من البحر، ولها مزارع وبساتين وأسواق عامرة، وهي من أحسن البلاد صفة وأكثرها فواكه وخصباً؛ الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص521-522).

دخل أشير[1] عنوة وملك قلعتها، وبث عماله في البلاد، ثم حاصر قسنطينة[2] أشهراً، حتى قدمت جيوش الموحدين، فسار علي إلى قفصة فأخذها ثم توزر[3]، وانتهى به الامر مقتولاً بسهم في توزر[4]، بعد أن تمكن المنصور من القضاء على ثورته واستئصال الموارقة [5].

وقد كان عهد المنصور بأكمله يقوم على علاج هاتين المشكلتين، والتحديات المترتبة عليهما، ومن اللطيف أن هاتين المشكلتين هما من أبرزا شخصية المنصور في إبداعه وتخطيطه وبراعته في إدارة أمور دولته، حيث صقلتاه، فغدا العصر الذهبي، ومن أروع عصور تاريخ الإسلام في المغرب والأندلس..

---

(1) أَشِيرُ: مدينة جليلة قديمة تقع بالمغرب من بلاد الزاب بين جبال شامخة محيطة بها، في طرف إفريقية الغربي مقابل بجاية في البر، كان أول من عمّرها وحصنها زيري بن مناد الصنهاجي سنة 324هـ، لحسن منظرها وكثرة عيونها وحصانة مكانها، واتخذها الناس للزراعة، وكان منها العلماء والمحدثون والفقهاء؛ الحموي، معجم البلدان (ج1/202-203)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج1/85)؛ الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص60).

(2) قسنطينة: بلد إفريقية قديمة وكبيرة حصينة ومنيعة واسعة ومشهورة، تقع بين تيجس وميلة، على جبل عظيم مربع من حجر صلد، بها نهر كبير، وهوائها صحيح، كثيرة الخصب والبساتين والمزارع، شديدة البرد، رخيصة السعر، عامرة بالسكان؛ الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص480-481).

(3) تَوْزَرُ: مدينة كبيرة قديمة حصينة تقعى في أقصى إفريقية من نواحي الزاب الكبير من أعمال الجريد، معمورة بالسكان، وأرضها سبخة كثيرة البساتين، ومتنوعة الثمار، بها ثلاث أنهار، وكان أهلها من بقايا الروم قبل الفتح الإسلامي، وفيهم من العرب المسلمين الذين سكنوا فيها بعد افتتاحها، وفيهم من البربر الذين دخلوها في قديم الزمان؛ الحموي، معجم البلدان (ج2/57-58)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج1/280)؛ الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص144-145).

(4) لما هزم المنصور يعقوب ملك المغرب علي بن إسحاق على حمة مطماطة فر منهزماً على سباخ نفزاوة فتبعه الموحدون سالكين سبيله حتى شارفوا توزر فألفوه قد توغل في صحرائها؛ الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص578)؛ مراكشي مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار (ج1/159).

(5) الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص568).

الفصل الأول:
الأسباب الإيمانية لنصر وتمكين الدولة الموحدية في عهد المنصور

المبحث الأول:
صفات يعقوب الإيمانية

كان للمنصور العديد من الأحوال والأعمال الصالحة التي هيأت له ظروف النصر في دولته ومملكته، فحاز بها على توفيق الله ورعايته:

الأولى: أحواله الصالحة:

1- الزهد:

بعد موت أخِ المنصور وعمه، برز على هيئة المنصور الموحدي الزهد والتقشف وخشونة الملبس والمأكل[1]، وكان يلبس الصوف[2]، فقد علم أن النعم لا تدوم، وأن للدهر تقلبات في أحوال العباد والبلاد، ففهم قول عمر بن الخطابﷺ: " اخشوشنوا وإياكم وزي العجم كسرى وقيصر"[3]، وهو الفاروق الذي فتح البلاد، ومصر الأمصار.

ومن ثم سلك مسلك الزهد في الرعية فمنع بيع الثياب الحريرية المذهبة الغالية للنساء، واكتفى لهن بالحرير البسيط[4]، وبالزهد يكون تعلق المؤمن بما عند الله وحب الآخرة وكراهية الدنيا فيقبل على الجهاد والتضحية بلا خوف ولا وجل فهو زاهد مما هو عليه مقبل للخير العظيم والحظ الوفير عند خالقه عز وجل.

2- التواضع:

لما نزل المنصور سنة 591هـ عند الأرك في مواجهة العدو، وَقَامَ بعد أَن اجْتمع النَّاس فتحلل من الْمُسلمين وَقَالَ أَيهَا النَّاس اغفروا لي فِيمَا عَسى أَن يكون صدر مني فبكي النَّاس وَقَالُوا مِنْكُم يطْلب الرضى والغفران... فنشط النَّاس وَطَابَتْ نفوسهم[5]، فالتواضع هو من أخلاق الأنبياء، فقد ذكر الله في كتابه على لسان نبيه عيسى بن مريمﷺ: ﴿... **وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا**﴾[6]، فالتجبر والتكبر على عباد الله هي من صفات الطواغيت الذين أهلكهم الله كما قص ذلك

---

(1) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص202).
(2) اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان (ج364/3)؛ مقديش، نزهة الأنظار (ج472/1).
(3) العراقي وآخرون، تخريج أحاديث إحياء علوم الدين (ج2291/5).
(4) ابن عذارى، البيان المغرب "قسم الموحدين" (ص172-173).
(5) السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج188/2)؛ حمادة، الوثائق السياسية والإدارية (ص92).
(6) [مريم: 32].

في كتابه مثل فرعون وهامان والنمرود، بينما التواضع يؤهل المجاهدين للنصر ويقوي الروابط بينهم ويتحصلون على رفع الله لهم، فقد قال رسول الله ﷺ: "من تواضع لله رَفعه الله[1]"، ولا بد للرفعة أن تجلب النصر .

وبلغ من تواضعه أن أمر كاتبه أبا الفضل بن أبي الطاهر أن يوجز في كتاب الفتح في موقعة الأرك، وأن ينحو فيه منحى كتب الصحابة ﷺ أجمعين[2]، فلا يريد أن يثبت فيه عزة لنفسه أو شرفاً، فالفضل لله وبهذا الإخلاص انتصر في تلك الوقعة.

3- تعلقه بالصالحين:

فقد انتشر في أيامه الصالحون والمتبتلون وذاع صِيتهم، وعظمت مكانتهم منه ومن الناس، وكان يستدعي الصالحين من البلاد، ويكتب إليهم يسألهم الدعاء، ويصل من يقبل صلته منهم بالصلات الجزيلة[3]، وكانت عملية التواصل مع الصالحين، تتم عبر طريقتين:-

أ- الاستدعاء والاستقطاب لصلاح البلاد: فقد استدعى المنصُور إلى مراكش الزاهد الصالح الفاضل أبا عبد الله، ابنُ الحَجّام[4] وكان المنصور يكرمه[5]، وقد حاول المنصور استدعاء الفقيه أبو عبد الله ابنُ الكَتّانيّ[6] ليكون من طلبة مجلسه فما قدر على ذلك، وقد سأل المنصور عنه أكثر من مرة عندما نزل فاس فما أدركه، ولما علم أنه مريض أرسل إليه أطبائه ليعالجوه[7]، وفي عام 590هـ توفي الشيخ الصالح أبو مدين شعيب بن الحسن الأندلسي[8] ببلد تلمسان المعروف

---

(1) [الترمذي: نوادر الأصول في أحاديث الرسول، الأصل 290/مراتب الشهداء، 222/4].

(2) ابن الخطيب، الحلل الموشية (ص159).

(3) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص202).

(4) محمدُ بن أحمدَ اللَّخْميُّ، تلمسانيٌّ، مِكْناسيٌّ، كان حسن الصّوت، وغَزير الحفظِ، متقن الصِّدق والإخلاص في وصَاياهُ وتذكيرِه، فنفَعَ اللهُ به خلقًا كثيرًا في بلادٍ شَتّى، وكان آيةً من آياتِ الله في سُرعةِ الحفظ؛ الأوسي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (ج142/5-143).

(5) الأوسي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (ج142/5-143).

(6) هو محمدُ بن عليّ بن عبد الكريم الفَنْدَلاويُّ الفاسيٌّ، وكان عالماً بالكلام، عارفاً في أصُول الفقه، شاعراً، زاهدًا وَرِعًا فاضلًا منقبِضًا عن الملوكِ وأبناءِ الدّنيا منقطعًا إلى العبادةِ والاجتهاد في الأعمال الصّالحة والانتصابِ لإفادةِ العلم والتدريس، اكتفي في معيشتِه بالقليل، وقد عُرِضت عليه الدّنيا غيرَ مرّة فما أجابَ إلى شيءٍ منها ولا غَرّتْه؛ الأوسي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (ج224/5-225).

(7) الأوسي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (ج225/5-226).

(8) وكان شيخَ الصوفية في وقتِه ونفَعَ اللهُ بصُحبتِه خَلْقًا كثيرًا، وسُمِعَ عندَ النَّزْع وهُو يقول: الله الله الله، حتى رَقَّ الصّوتُ وكان آخِرُ ما سمِعَ من كلامِه عند آخِرِ الرَّمَق: اللهُ الحَيّ، وتُوفِّي بيُسْر؛ الأوسي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (ج121/2).

بالعباد ودفن هناك[1]، وذلك أثناء استدعاء المنصور له لما اشتهر من أمره ببجاية بالصلاح والفضل[2]، وذكر أن القطر حبس عن الناس في مراكش في ولاية يعقوب بن يوسف، فاستدعى الشيخ الصالح سني بن عبد الله المراكشي، وكان شيخاً مستجاب الدعوة، فقال: ادع الله تعالى أن يسقينا، فقال الشيخ: ابعث إلي خمسين ألف دينار حتى أدعو الله تعالى أن يسقيكم في أي وقت شئتم! فبعث إليه ذلك، ففرقها على الفقراء، ودعا فجاءهم غيث مدرار أياماً، فقالوا له: كفينا ادع الله أن يقطعه! فقال: ابعث إلي خمسين ألف دينار حتى أدعو الله أن يقطعه، ففعل ذلك ففرق المال على الفقراء، ودعا الله تعالى فقطعه[3]، ولما وصلت أخبار أبي موسى[4] إلى المنصور وما هو عليه من الدِّين والزُّهدِ والوَرَعِ والتقشُّف والإعراضِ عن الدّنيا والانقطاع إلى نَشْر العلم والبُعدِ عن التعرُّض لأهلِ الجاهِ من الأُمراءِ والوُلاة، أمر بإحضاره فأكرم عطاءه وأحسن رعايته، وكان المنصور يتبرك برؤيته وقَدَّمهُ إلى الخُطبةِ في جامعِه الأعظم المتّصل بقصرِهِ حين أتمَّ بناءه، فكان أولَ خطيبٍ به، واستمرَّ حالُه معَه على ذكْرٍ من التنويهِ به واعتقادِ الخير التامّ فيه، ولمّا حضرَتِ المنصورَ الوفاةُ عَهِدَ أن يتوَلَّى غَسْلَه أبو موسى تبرّكًا به، فكان كذلك[5]، ولما علم المنصور بقدوم الرجل الشريف[6] إلى فاس، كتب إليه: قد بلغنا قدومك البلاد ووصول بركتك إلى أهلها، ونحن نسألك أن تقدم علينا لنأخذ حظنا منك، كما أخذ أهل البلاد حظهم، وأرسل إليه 10 آلاف دينار، وأنزله قصره، فكان المنصور يجالسه، ويسمع كلامه[7]، وعندما سمع المنصور بقصة المرأة المشهورة[8] بالزهد، وأنها لا تأكل الخبز، أرسل إليها لتقيم عنده في القصر حتى

---

(1) مقديش، نزهة الأنظار (ج469/1)؛ الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية (ص16).

(2) الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية (ص16).

(3) القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد (ص112).

(4) هو عيسى بن عبد العزيز يَلَّبَخْت ابن وَماريلي، القزُوليُّ اليَزْدَكْتَنِيُّ، وكان كبيرَ النُّحاة غيرَ مُدافَع، جيّدَ التلاوة وحسَنَ الإلقاء، حافظًا للُّغة ضابطًا لما يقيّدُ، حسَنَ الخَطّ فقيهاً بارعًا في أصُولِه، يروي الحديث، معَ وَرَعه والزُّهد وصلاحه، وانقباضِهِ عن مخالطةِ الناس ومُداخَلةِ أبناءِ الدنيا، وهُو أولُ من أدخَلَ "صحاحَ الجَوْهريّ" إلى المغرِب؛ الأوسي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (ج116/5–118).

(5) الأوسي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (ج121/5–123).

(6) كان الرجل الشريف فاضلاً لطيفاً، ويعظ بصوت طيب، لم يقف الباحث على اسمه؛ العينى، عِقْدُ الجُمَان "العصر الأيوبي" (ج85/3).

(7) العينى، عِقْدُ الجُمَان "العصر الأيوبي" (ج85/3)؛ سبط بن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان (ج73/22).

(8) لم يقف الباحث على اسمها أو ترجمة لها.

يتبارك بها، فأقامت عنده مدة[1]، وهذا يجعله فيهم مع ما اشتهر بصلاحه، وقد قال النبي ﷺ: " الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ"[2]، وبمثل هؤلاء الصالحين يأمن المسلمون من الهزيمة لتقواهم وإيمانهم، وقد قال الله تعالى: ﴿**أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (63)**﴾[3].

ب- تجهيزهم في الجيوش والمعارك: فقد استدعى المنصُور إلى مراكش الزاهد الصالح ولما خرج المنصور إلى غزوة الأرك الكبرى كتب قبل خروجه إلى جميع البلاد بالبحث عن الصالحين والمنتمين إلى الخير وحملهم إليه؛ فاجتمعت له منهم جماعة كبيرة كان يجعلهم كلما سار بين يديه، فإذا نظر إليهم قال لمن عنده: هؤلاء الجند، لا هؤلاء! ويشير إلى العسكر[4]، ولما جاز المنصور الموحدي إلى الأندلس زار الزاهد موسى بن عمران المارتلي[5]، الذي اشتهر بإشبيلية بالصلاح ثم وجه إليه مالاً، فلم يأخذه بل أرسل موسى للمنصور مائة دينار وقال للرسول بأن يخبر المنصور أنها من حلالٍ خذها لنفقتك في هذه الغزوة، إني أرجو إن لم تطعم إلا الحلال أن تنصر! فيقال إن المنصور قبل منها ما نابه لخاصته في تلك الحركة، فلم يزل يتعرف ببركتها حتى نصره الله تعالى[6]، وكان قدَ عقد في الحرب للفقيه الصَّالح أبي خزر يخلف بن خزر الأوربي على المتطوعة[7]، فلما تراءى الجمعان اشتد خوف الموحدين وساءت ظنونهم؛ لما رأوا من كثرة عدوهم؛ والمنصور يلجأ إلى الدعاء والاستعانة بكل من يظن عنده خيرًا من الصالحين[8]، فأمر المنصور الرجل الشريف السابق الذكر وكان على يمينه أن يدعو الله له

---

(1) العينى، عِقْدُ الجُمَان "العصر الأيوبي" (ج87/3)؛ سبط بن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان (ج74/22).

(2) [ابن حنبل: مسند أحمد، مسند الكوفيين/حديث أبو موسى الأشعري، 402/32: رقم الحديث 19628].

(3) [يونس: 62-63].

(4) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص208).

(5) أَبُو عِمْرَانَ مُوْسَى بنُ حُسَيْنِ بنِ مُوْسَى بنِ عِمْرَانَ القَيْسِيُّ، المِيْرتُلِيُّ، عالم التفسير والفقه والحديث والأدب، زاهداً صالحاً منقطعاً عابداً ورعاً عارفاً، مُلْتَزما لما ينْطق بِهِ من قَوْله، مجاب الدعوة، ملازماً المسجد يُقرِئُ وَيُعَلِّمُ، يزوره الملوك لبركته فلا يلتفت إليهم، وكان لا يقبل من أحد شيئا، عاش82 سنة، وَمَات فِي آخر مُدَّة نَاصِر بني عبد الْمُؤمن، سَنَةَ 604هـ؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب (ج406/1-407)؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج40/16)؛ نويهض، معجم المفسرين (ج691/2).

(6) الحِميري، صفة جزيرة الأندلس (ص175)؛ أبو الخيل، جهود علماء الأندلس (ص260).

(7) السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج188/2).

(8) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص206).

بالنصر فدعا، وأمر المنصور الشريف بأن يأمر الطبول فتدق[1] ليحمل الجيش في المعركة ففعل، مع أن الدعاء والأمر بضرب الطبول كان من اختصاص الخليفة، لكنه آثر الرجل الشريف بها[2]، عندها انتصر المنصور في هذه الوقعة وأذل الله الروم وقائدهم، وصدق رسول الله في الحديث القدسي الذي يرويه عن ربه: "إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ"[3]، فهؤلاء الصالحون الأولياء المحببين للرحمن من عاداهم يحاربه الله، فيضربون ويبطشون ويمشون ويسمعون ويبصرون بنور الله، فأي قوة في الأرض تستطيع هزيمتهم.

ولما رجع يعقوب الموحدي منتصراً، أمر لهؤلاء النفر الصالحين بأموال عظيمة، فقبل منهم من رأى القبول، ورد من رأى الرد؛ فتساوى عنده الفريقان، وقال: لكل مذهب[4].

4- الرؤيا الصالحة:

في سنة 591هـ لما جاز إلى الأندلس في وقعة الأرك، بَات تِلْكَ اللَّيْلَة عاكفا بمصلاه على الرُّكُوع وَالسُّجُود فأغفى إغفاءه[5]، فرأى في منامه كأن باباً قد فتح من السماء ونزل منه فارس على فرس أبيض حسن الوجه وبيده راية خضراء منشورة قد سدت الأفق من عظمها، فسلم على المنصور بالله، فقال له من أنت يرحمك الله؟ فقال أنا ملك من ملائكة السماء السابعة جئت لأبشرك بالفتح من عند رب العالمين أنت وعصابتك المجاهدين الذين أتوا تحت رايتك في الشهادة راغبين ولثواب الله طالبين ثم أنشده الأبيات:

بشائر نصر الله جاءتك سافـــره لتعلم أن الله ينصـر ناصـره

فأبشر بنصر الله والفتح أنـــــه قريب وخيل الله لا شك ظافره

---

(1) حرص الموحدون على إثارة حماس الجند بضرب الطبول، والتي كانت تلقتي الرعب في قلوب الأعداء؛ النجار، المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي (مج2/371).

(2) العينى، عِقْدُ الجُمَان "العصر الأيوبي" (ج3/86)؛ سبط بن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان (ج22/73).

(3) [البخاري: الجامع الصحيح، الرقاق/التواضع، 8/105: رقم الحديث 6502].

(4) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص208).

(5) السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج2/188).

فتفني جيوش الروم بالسيف والقنا وتخلي بلاداً لن ترى بعد عامره [1].

ولا شك من أن الرؤيا الصالحة دلالة على صلاح صاحبها، فقد سئل النبي ﷺ عنْ قَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ: ﴿ **لَهُمْ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ** ﴾[2]، قَالَ: "هِيَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ، يَرَاهَا الْمُسْلِمُ أَوْ تُرَى لَهُ"، وقال أيضاً: ""الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ النُّبُوَّةِ"[3]، فهي من بقايا النبوة ومن مبشرات الله لعباده بالنصر وكثيراً ما تعمل على رفع المعنويات والاستبشار بالفلاح والتفاؤل بالظفر على الأعداء، فهي كرامة[4] من الله سبحانه وتعالى.

وهذا ما أدركه المنصور فقص رُؤْيَاهُ على وُجُوه الْجند فازداد النَّاس طمأنينة وبصيرة[5].

5- سماحة الإسلام:

إن الرأف والرحمة من أخلاق الإسلام والأنبياء، ومنهج النبي في بعثه للثقلين، فقد قال تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ** ﴾[6]، والتمسك بهذا النهج يعني التمسك بدعوة السماء وسلوكها في الخلق، وهذا مما يرضاه الله تعالى ويثيب عليه في الدنيا والآخرة، فيرفع وينصر من يسير على هديه وصراطه المستقيم.

وقد فطن يعقوب الموحدي لذلك فعندما استرجع بجاية[7] من يد المَيُورقِيّين ثوار بني غانية، وكتب[8] له النصر، نزل الأمير يعقوب بالقرب من بجاية، فتلقاه أهلها وجلين وخائفين من أن ينكل بهم لمساندتهم الثوار على المنصور، فلقيهم منشرح الصدر مستبشراً، وأحسن القول لهم ما بسط به نفوسهم وأنسوا به، فخرجوا متعجبين مما رأوه وسمعوه...[9]، وأمن أهل البلد على

---

(1) الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية (ص16)؛ السَّمْلالي، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات (ج265/10)؛ أبو ندى، الدور الجهادي للعلماء في الأندلس (ص91).

(2) [يونس: 64].

(3) [ابن ماجه: السنن، تعبير الرؤيا/الرؤيا الصالحة، 1283/2: رقم الحديث 3897].

(4) ومن كراماته أنه دخل عليه قوم غرباء ومعهم أسد وغراب، فأما الأسد فأخذ يربض بين يديه، والغراب يقول النصر والتمكين، لسيدنا أمير المؤمنين؛ السَّمْلالي، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات (ج267/10).

(5) السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج188/2).

(6) [الأنبياء: 107].

(7) وكان هجم على بجاية علي بن إسحاق بن حمو المشهور بابن غانية فملكها سنة 580هـ في أول ولاية المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن؛ الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص82).

(8) كتب بن محشرة إلى طلبة إشبيلية سنة 581هـ، يخبرهم بفتح المنصور لمدينة بجاية، وتخليصها من ثوار بني غانية؛ انظر: بروفنصال، مجموع رسائل موحدية (ص168-180).

(9) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص199).

أنفسهم وجعل أملاكهم بيدهم على حكم المساقاة[1]، كما أنه عندما حاصر طليطلة ولم يبق إلا فتحها، خرجت إليه والدة الأذفونش وبناته ونساؤه وبكين بين يديه، وسألنه إبقاء البلد عليهن، فرقّ لهن ومنّ عليهن بها، ووهب لهن من الأموال والجواهر ما جلّ، وردّهنّ مكرماتٍ، وعفا بعد القدرة، وعاد إلى قرطبة ليريح بها[2]، ويقول الأستاذ محمد علي قطب بأن هذه واقعة أثبتها مؤرخو الأندلس المسلمون والنصارى، وهي توضح المقارنة بما فعله نصارى الأندلس بعد ذلك بنساء وبنات وأطفال وشيوخ المسلمين، من اضطهاد وتعذيب وتحريق وتقتيل[3]، وذلك كما حصل في محاكم التفتيش في الأندلس[4].

وقد كان ليناً مع قومه أيضاً فبعد وقعة الأرك، وعند استعداد المنصور لحركته إلى أفريقيا حيث ثوار بني غانية، اجتمع إليه مشايخ الموحدين فشكوا إليه طول الغيبة بالأندلس، ومحبتهم العودة إلى مضاربهم وأوطانهم، فأجابهم إلى ذلك[5].

إن لين الجانب والتسامح يقودان إلى النصر، فيقويان الترابط بين المسلمين أنفسهم، ويحببان الأعداء في دين الإسلام، فيكونا منطلقاً للدعوة الإسلامية التي هي الهدف الرئيس لهذا الدين أولاً وأخيراً، وهي منهاج النبيين من قبل.

6- أحواله الصالحة، ووصيته عند الوفاة:

ويظهر ذلك عند الاختلاف في وفاته: حيث ذكر ابن خلكان أنه قد اختلفت الروايات في أمره، فمن الناس من يقول: إنه ترك ما كان فيه وتجرد وساح في الأرض حتى انتهى إلى بلاد الشرق، وهو مستخفٍ لا يعرف، ومات خاملاً[6]، ومنهم من قال أنه توفي حاجاً، وقيل أنه خرج من الخلافة يرابط في بلاد الأندلس[7]، ومنهم من يقول: إنه لما رجع إلى مراكش توفي في سنة

---

(1) الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية (ص16).

(2) المقري، نفح الطيب (ج444/1)؛ العينى، عِقْدُ الجُمَان "العصر الأيوبي" (ج42/3)؛ حتامله، الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة (ص557).

(3) مذابح وجرائم محاكم التفتيش (ص25).

(4) انظر: قطب، مذابح وجرائم محاكم التفتيش (ص39-130)؛ حومد، محنة العرب في الأندلس (ص411-465).

(5) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (ج9/7)؛ مقديش، نزهة الأنظار (ج471/1).

(6) وفات الأعيان (ج9/7-10).

(7) الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية (ص16).

595هـ بمراكش، وقيل إنه مات بمدينة سلا، والله أعلم، فلم ينقل شيء من أحواله بعد ذلك إلى حين وفاته[1].

قَالَ الْمقري فِي نفخ الطّيب هَذِه عامية لَا يثبتها عُلَمَاء الْمغرب وَسبب هَذِه الْمقَالة تولع الْعَامَّة بِمحبتهِ فكذبوا فِي مَوته وَقَالُوا إِنَّه ترك الْملك وأشاعوا مِمَّا لَيْسَ لَهُ أصل ثمَّ ، وبمثل هذا نقل عَن الشريف الغرناطي، –وفي هذا إنكار لما أورده بن خلكان– فيقول االسلاوي: إن إنكار الأمر برمته لَيْسَ بجيد، وهب أَن أهل الْمغرب قَالُوا ذَلِك تولعا بِهِ فَمَا بَال أهل الْمشرق يتولعون بِهِ، ويتخذون لَهُ مشهداً في الشام يتَّفق كَبِيرهمْ وصغيرهم على أَنه قبر يَعْقُوب ملك الْمغرب فلَا بُد أَن يكون لذَلِك أصل وَالله أعلم بحقيقته[2].

وتحرير الخبر من عدة روايات متناثرة في كتب التاريخ على النحو التالي: جاء الشيخ الكبير الولي الشهير أبو ابراهيم بن أدهم إلى المنصور يعقوب واجتمع به، فسر يعقوب بذلك، وأعجب بما لديه من الكرامات، فاحتقر المنصور ما هو فيه من ملك الدنيا، فزهد فيه، وصار من كبار الأولياء[3]، كما رأى المنصور أباه في المنام يعاتبه على قتله أخيه وعمه[4] الذين خرجا على دولته، ثم قال له: ﴿ **إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ (30) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ** (31) ﴾[5]، عندها بكى المنصور وأرسل لأم عمه وأم أخيه يسترضيهما، وولى ابن أم أخيه فاس كرماً، وأمر الناصر بالخير به، وبقي والياً على فاس 30 عاماً، وقيل لما رأى المنصور هذه الرؤيا انخلع من ملكه، وأخذ في عبادة الله حتى توفي[6]،كما أن المنصور صرح للموحدين بالرحلة إلى المشرق، وجعل يذكر البلاد المصرية وما فيها من المناكر والبدع[7]، ويقول: نحن –إن شاء الله– مطهروها؛ ولم يزل هذا عزمه إلى أن توفي[8].

---

(1) وفات الأعيان (ج9/7–10).

(2) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج204/2).

(3) اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان (ج366/3).

(4) ويقول الأستاذ محمد رشيد ملين أن المنصور لما قتل أخوه وعمه جزاءاً لخيانتهما، جنح إلى الزهد والتقشف، وقلة المأكل والملبس، وخشونة الحياة، وتعلق بالصوفية والصالحين والمتبتلين؛ عصر المنصور الموحدي (ص204).

(5) [الزمر: 30–31].

(6) ابن عذارى، البيان المغرب "قسم الموحدين" (ص230).

(7) أورد بن جبير في رحلته المشهورة ما في ديار مصر من ظلم وبدع في المساجد ومصادرة لأموال الحجيج؛ رحلة ابن جبير (ص49).

(8) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص207).

وبتحقيق الخبر عند جمع الروايات السابقة بالأخيرة يتضح للباحث التالي:

أن يعقوب المنصور الموحدي الرجل الصالح الذي طالما كان متأثراً بالصالحين ومحباً لهم وأنيساً بهم، تأثر عندما رأى كرامات رجل من أولياء الله الكبار فبغضه ذلك في الملك، ورغبه في التقرب إلى الله والاعتزال لعبوديته، كما كانت الرؤيا التي رآها لوالده في مقتل أخويه أخذت عليه في تأنيب الضمير[1]، فأشعلت هذه الرؤيا ما بداخله، ودفعت همته إلى الإقدام على ذلك الأمر.

خصوصاً وقد كانت الأرض المصرية والشامية يكثر فيها البدع والمنكرات لما تعرضت له من هجمة صليبية حانقة[2]، ولعله أراد أن يقلد مؤسس الدولة الموحدية بن تومرت عندما اتجه من المشرق إلى المغرب وأسس دولة الموحدين، فأراد أن ينهج نهجه بالانتقال من المغرب إلى المشرق في الشام فيؤسس دعوة للموحدين ومن ثم دولة، وبهذا ذهب متخفياً ليزيل المنكرات فأعجب به أهل الشام لصلاحه وتقواه، كما كان من أهل المغرب مع ابن تومرت، لكن الظروف السياسية التي كانت في بلاد الشام وتحديداً السلطنة الأيوبية بعد وفاة الناصر صلاح الدين الأيوبي، لم تكن مستقرة فقد شهدت نزاعاً بين أبناء السلطان والأعمام على وراثة الملك، إضافة للاستعدادات الصليبية لحملات أخرى.

أما بالنسبة للحجاز وولع أهلها بالمنصور فقد أسلفنا أنه قصد الحجاز مرة وحج الكعبة والتقى بأحد المشايخ حين برأ نفسه من القول بالعصمة في حجر الكعبة، ولعله لما نزل بسمته وصلاحه جذب القلوب إليه، وأما الأندلس فقد قاتل فيها وانتصر في وقعة الأرك الكبرى، ولا يتعجب ولعهم به.

ويقول الإمام الذهبي: لَوْ مَاتَ مِثْل هَذَا السُّلْطَان فِي مقرّ عزّه، لَمْ يُخْتَلَفْ هَكَذَا فِي وَفَاتِهِ –فَاللهُ أَعْلَم–[3]، لكن يمكن القول أنها كلها أقاويل تثبت صلاح الرجل وإيمانه وتقواه حيث جعل الله له القبول لعامة الناس والصالحين منهم في الحجاز وفي الشام وفي المغرب وفي الأندلس كل يتبرك فيه ببلده[4]، وإن رجلاً يسعى لتغيير البدع والمنكرات في بلاد المسلمين بعد أن غيرها في بلده ليستحق النصر والتأييد من الخالق جل وعلا لامتثاله أمره وطاعته وسيره على منهج نبيه.

---

(1) إن فعل المنصور في من خرج على دولته له سند شرعي، فقد قال رسول الله ﷺ: " إِذَا بُويِعَ لِخَلِيفَتَيْنِ، فَاقْتُلُوا الْآخَرَ مِنْهُمَا"؛ [مسلم: المسند الصحيح، الإمارة/إذا بويع لخليفتين، 1480/3: رقم الحديث 1853].

(2) انظر: الأغا، الأوضاع الاجتماعية في فلسطين.

(3) سير أعلام النبلاء، (ج432/15).

(4) يقول الدكتور حسين مؤنس أن هذه درجة من الارتفاع في أذهان الجماهير لم يصل إليها سلطان آخر في المشرق أو المغرب، الذي بوفاته طويت أجمل صفحات التاريخ الموحدي؛ المراكشي، وثائق المرابطين والموحدين (ص128).

يختم الشيخ علي الصلابي بأن وفاة المنصور الموحدي أثارت حزناً عميقاً في الأوساط الاسلامية، فكثر اللغط لذلك، ويمكن الإنتهاء إلى أنه توفي عام 595هـ في المغرب ودفن بجوار آبائه في تين مللل[1]، على المشهور، والله أعلى وأعلم.

أما في وصيته عند وفاته: أنشد أبو عبد الله بن هاردوش المنصور أبياتاً في الزهد والموت، فلم يقم المنصور أكثر من جمعة حتى توفي[2]، وفي أثناء ذلك أصابه المرض الشديد[3] بسبب الموعظة ما يدل على قلب عامر بالإيمان، فاستدعى شيوخ الموحدين، وأعيان دولته وقرابته، أمرهم بالطاعة والتزام الكتاب والسنة حتى أبكى الحاضرين، ولم يترك رجلاً من رجال دولته إلا وأشار عليه ونبهه، فخرج الناس من المجلس خاشعين، كما أوصى وعيناه تدمعان أن لا يتفرد ابنه بالرأي بعد موته لصغر سنه حتى يتنبه ويكمل عقله، وأوصى لأبي الحسن وأخيه أبي زيد وهما ابنا أبي حفص بهذا الأمر، ونصح بالابتعاد عن الطبول لأنها تخف الأدمغة وتثبط العقول، وأمر الشيخ أبا زكريا[4] وأبا محمد عبد الواحد أن يكونا شيخا ولده محمد الناصر، وأمر بمناصرة ومعاونة أبو الغمر[5] كونه من عقلاء الناس وأكثرهم صيانة وعفافاً، ثم أوصى بالأيتام أهل الأندلس، واليتيمة بلاد الأندلس، ثم أمر بالإحسان إلى العرب وملاطفتهم ومداراتهم وعدم تركهم في الفراغ والعطلات، وأمر بجعل موضع لطلبة الحضر[6] يشتغلون فيها بالمذاكرة والعلم

---

(1) دولة الموحدين (ص197).

(2) ابن عذارى، البيان المغرب "قسم الموحدين" (ص229).

(3) حيث كان المنصور متعب ومنهوك القوى من جراء ما اضطلع به من الغزوات والأعمال لمدة 4 أعوام متوالية؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس (ج234/5).

(4) صاحب تونس، المَلِكُ أَبُو زَكَرِيَّا يَحْيَى ابْنُ عَبْدِ الواحد ابن الشيخ عمر الهنتاني، الموحدي، كَانَ أَبُوْهُ متولّياً لِمَدَائِنِ إِفْرِيْقِيَةَ لآلِ عَبْدِ المُؤْمِنِ، فَمَاتَ وَوَلِيَ بَعْدَهُ الأَمِيْرُ عَبُو مُدَّةً، ثُمَّ تَوثَّب عَلَيْهِ يَحْيَى وَاسْتَوْلَى عَلَى إِفْرِيْقِيَة، وَامتدت دَوْلَته بِضْعاً وَعِشْرِيْنَ سَنَةً، وَاشْتَغَل عَنْهُ بَنُوْ عَبْد المُؤْمِنِ بِأَنْفُسِهِم، توفي بِمدينَةِ بُوْنَةَ مِنْ إِفْرِيْقِيَة، فِي سَنَةَ 647هـ؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج386/16).

(5) الْقَائِدُ أَبُو الْغَمْرِ السَّائِبُ مِنْ وَلَدِ الْقَائِدِ ابْنِ غَلْبُونَ، وَهُوَ أَحَد أَبْطَالِ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ وَأُمَرَائِهَا، وَصَاحِبُ رُنْدَةَ، دَخَلَ قُرْطُبَةَ نَائِباً عَنْ عَبْدِ المُؤْمِنِ، حتى دخل الموحِّدِين مِنْ سَبْتَةَ إِلَى الجَزِيْرَةِ الخَضْرَاء، وأزالوا دَوْلَةَ المُرَابِطِيْنَ، وأقاموا دَوْلَةَ المُوَحِّدِيْنَ؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج67/15)؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج177/9).

(6) تم تنفيذ وصية المنصور ببناء المكان المسمى بالقبة المنصورية، لطلبة العلم، حيث المذاكرة والمدارسة؛ انظر: الأوسي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (ج251/1)؛ محمد المنوني، حضارة الموحدين (ص206-207).

حتى يكمل عقل ابنه محمد بعقولهم، كما أبقى أبا القاسم بن بقي بن مخلد[1] على القضاء لعفافه وطهارته وقلة طمعه، ثم أوصى بالسير على شرائع الإسلام في أوامر الله وسنن نبيه، وحمل عن عنقه الأمانة وسلمها لهم، قائلاً : نطالبكم بها بين يدي الله سبحانه وتعالى، وحذرهم من الباطل[2].

ولما دنت وفاته جمع بنيه والموحدين، وأوصاهم بوصايا منها: أيها الناس أوصيكم بتقوى الله، وأوصيكم بالأيتام واليتيمة..، فقيل له ما الأيتام، وما هي اليتيمة؟، فقال: الأيتام أهل جزيرة الأندلس، وهي اليتيمة، فإياكم والغفلة عما يصلحها[3] من تشييد الأسوار، وحماية الثغور، وترتيب أجنادها، وتوفير رعايتها، ولتعلموا أعزكم الله تعالى أنه ليس في نفوسنا شيء أعظم من همها، ولو مد الله لنا في الخلافة الحياة لم نتوان في جهاد كفارها، حتى نعيدها دار إسلام، ونحن الآن قد استودعناها الله تعالى، وحسن نظركم فيها، فانظروا للمسلمين، وأجروا الشرائع على منهاجها[4].

وهذه الوصايا تدلل على اهتمامه بأمر المسلمين وشئونهم حتى وإن دنا أجله فهو لا يزال يحمل مسؤولية الأمانة، فقد رسم لهم الطريق الذي سار عليه وجلب له النصر والتوفيق بالسير على شرائع الله وهدي رسوله، واتخاذ البطانة الصالحة من العمال والولاة، وحماية الأندلس فقد أدرك ببصيرته طمع الأعداء فيها[5]، وعلم أهميتها ومدى انقطاعها عن العالم الإسلامي، ثم سلم

---

(1) أبو القاسم أحمدُ بن أبي الوليد يزيد بْن عَبْد الرَّحْمَن بْن أَحْمَد من بني الإمام بَقِيّ بن مَخْلَد، الأُمَوِيّ القُرْطُبيّ، ويعرف بابن بقي، ولد سنة 537هـ، وهو العَلَّامةُ المحدث الفقيه الكاتب، كان عارفًا بالإجماع والخلاف، مائلًا إلى التّرجيح والإنصاف، عالماً بالنحو والعربية والأدب، متواضعاً، محمود السيرة، جليلاً، فاضلاً، عَلَمَاً، من أعرق بيوت العلم والنباهة في الأندلس، على مذهب الظاهرية في أحكامه وأموره، له كتاب في "الآيات المتشابهات"، ولي قضاء الجماعة بمراكش مضافا إلى خطتي المظالم والكتابة العليا، ولَمّا أسنَّ، استعفي ورجع إلى قرطبة، فأقامَ قاضيًا بها إلى أن غلب عليه الكِبَرُ، فَلَزِمَ منزله، فازدحمَ الطّلبةُ عليه، وكان أهلًا لذلك، توفي سنة 625هـ، وقد تجاوز 88 سنة؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (ج45/220–222)؛ التكروري، نيل الابتهاج بتطريز الديباج (ص77)؛ نويهض، معجم المفسرين (ج1/83).

(2) ابن عذارى، البيان المغرب "قسم الموحدين" (ص230).

(3) وقد كان المسلمون دائماً يلبون نداءات إخوانهم الأندلسيين في حروبهم مع الرومان النصارى، وليست موقعة الأرك هي الوحيدة فهناك الزلاقة وقبلها وبعدها الكثير من الاستجابات والكثير من التلبيات، حتى ضعف أمر المسلمين في المغرب، فعندها سقطت الأندلس بعدما بدأت العدوة المغربية ترفض الاستجابة؛ انظر: موسى، استجابات إسلامية لصرخات أندلسية.

(4) االبن الخطيب، الحلل الموشية (ص160).

(5) يقول الدكتور محمد ماهر حمادة: أن المنصور أراد من وصيته أن ينبه الغافلين ويشحذ الهمم للخطر الداهم ببلاد الأندلس؛ الوثائق السياسية والإدارية (ص93).

الأمانة وحملهم إياها طالباً إياهم سؤالها يوم القيامة، فرحمه الله رحمة واسعة، وصدق الرسول حين قال من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم.

وهذا يدلل على اهتمام المغاربة بإخوانهم المسلمين في الأندلس فقد لبوا النداء في زمن يوسف بن تاشفين عندما استنجدوا بجيوش المرابطين فنصروهم في واقعة الزلاقة المشهورة، وقد أنجدوهم في واقعة الأرك زمن اليعقوب الموحدي.

لا كما يزعم المستشرق آنخل جنثالث بالنثيا بِأَنَّ أهل المغرب نظروا إلى الأندلسيين نظرة استصغار واستضعاف كلما طالبوهم بالأمداد[1].

توفي المنصور في ربيع الأول عام 595هـ[2]، بعد العشاء الآخرة من ليلة الجمعة[3]، وكَانَ أوصى أَن يدْفن على قَارِعَة الطَّرِيق ليترحم عَلَيْهِ كل من يمر بِهِ سواء أقبل لحاجة أو أدبر[4] ثم نقل إلى رابطة تين ملل (فأقبر) لصق أبيه وجده[5]، وولي بعده ولده محمد الناصر[6]، وصدق رسول الله حين قال: "إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَمُوتُ بِعَرَقِ الْجَبِينِ"[7]، وقال أيضاً: "ما منْ مسلمٍ يموت يومَ الجمعة أو ليلةَ الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر"[8]، وقد اجتمع للمنصور هذا الفضل حيث توفي يوم الجمعة بمرضه، ودفن حيث يترحم عليه العباد، فرحمه الله رحمة واسعة.

وقد كانت طاعة المنصور عمت بلاد الأندلس والمغرب فبايعه كافة الموحدين، من عرب وبربر وانقادوا لأحكامه، حتى أنهم كانوا يجلبون له من خراجهم وزكاتهم وأعشارهم، ويخطبون له على منابرهم[9]، ويؤكد الأستاذ عبد الله السويسي على أن المنصور – لما أحس بدنو أجله من

---

(1) تاريخ الفكر الأندلسي (ص126).

(2) ابن الخطيب، الحلل الموشية (ص160)؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس (ص230)؛ السَّمْلالي، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات (ج266/10).

(3) المكناسي، جذوة الاقتباس (ص556)؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس (ص230)؛ السَّمْلالي، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات (ج266/10).

(4) السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج204/2).

(5) السَّمْلالي، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات (ج266/10).

(6) ابن الخطيب، الحلل الموشية (ص160)؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس (ص230)؛ ابن الموقت، السعادة الأبدية (ص180).

(7) [الطيالسي: مسند أبي داوود، بريدة بن حصيب الأسلمي، 153/2: رقم الحديث 846].

(8) [ابن حنبل: المسند، مسند المكثرين من الصحابة/عبد الله بن عمرو بن العاص، 147/11 رقم الحديث 6582].

(9) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس (ص230).

المرض الذي أصابه – اصطبغت تصرفاته في آخر حياته بالورع والزهد والعدل والتقوى أضعاف ما كان يعرف عنه[1]، وبوفاته انطوت مرحلة من أحفل مراحل تاريخ المغرب والأندلس بالأحداث والبطولات، فكانت نقطة البداية لنهاية دولة الموحدين، بل لنهاية الأندلس كلها[2]، وقد أحسن لسان الدين بن الخطيب عندما وصف[3] يعقوب بن يوسف المنصور الموحدي بـ "نجم بني عبد المؤمن[4] وجوهرتهم"[5].

الثانية: أعماله الصالحة:

1- إقامة الصلوات: فقد كان يتولى إمامة المسلمين بنفسه في الصلوات الخمس[6]، ولم يكن همه من الصلاة إقامة شعيرتها فحسب بل تعليم الرعية الإخلاص والتقوى فيها، والخشوع على هدي صحب رسول الله ﷺ.

فلم يزل يؤم الناس أشهرًا، إلى أن أبطأ يومًا عن صلاة العصر حتى كاد وقتها يفوت، والناس ينتظرونه؛ فخرج عليهم فصلى ثم أنبهم قائلاً: ما أرى صلاتكم إلا لنا، وإلا فما منعكم عن أن تقدموا رجلاً منكم فيصلي بكم؟ أليس قد قدم أصحاب رسول الله ﷺ عبد الرحمن بن عوف، حين دخل وقت الصلاة وهو غائب؟ أما لكم بهم أسوة وهم الأئمة المتبعون والهداة المهتدون؟ فقطع الإمامة بذلك[7]، فعلمهم درساً قاسياً في الإخلاص، ورفض الإمامة رحمه الله حتى لا يحمل الرعية وزر الرياء، والصلاة هي ركن عظيم من أركان الإسلام، وسبب لتوفيق الله سبحانه وتعالى.

كما أن المنصور كان حريصاً على إقامة الصلاة حتى في أثناء جهاده.

---

(1) تاريخ رباط الفتح (ص34).

(2) عناني، شعر ابن مجبر الأندلسي (ص23).

(3) يُذكَر أن للشاعر ابن مجبر ديواناً يقع في سفرين ضخمين، وأنه كرس طاقته في مدح المنصور الموحدي، بحيث شغل هذا المديح الحيز الأكبر من ديوانه؛ عناني، شعر ابن مجبر الأندلسي (ص41).

(4) يقول الدكتور حسين مؤنس أن المنصور الموحدي مات في زهرة العمر 47 سنة، ولو قدر الله له الحياة لكان حرياً أن يقوم بأعظم مما قام به في الأرك، لمؤهلاته وإمكانياته الكبيرة، فلا نستطيع الحكم عليه نهائياً، لأن الخلفاء والسلاطين يبدأون العمل في السن التي توفي فيها هذا الشاب؛ المراكشي، وثائق المرابطين والموحدين (ص126).

(5) الإحاطة في أخبار غرناطة (ج307/4).

(6) اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان (ج364/3).

(7) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص208).

فعندما كان في حربه مع بني غانية دخل القيروان[1] فصلى بجامعها وقرأ في مصحف عبد الله بن عمر ﷺ الذي بها، وزار مقبرتها[2].

فقد قال الله تعالى: ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (2).. وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (9) أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (10) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (11)** ﴾[3]، فلا شك أن من يقيم الصلاة يتحصل على الفلاح والتأييد والنصر من الله سبحانه وتعالى.

2- رعاية الأيتام: حيث كان عند بدء كل عام يجمع الأيتام المنقطعين إلى قصره، فيُختنون ويأمر لكل صبي منهم بمثقال وثوب ورغيف ورمانة، وربما زاد على المثقال درهمين جديدين[4]، فيحي السنة فيهم بالختن ويكسوهم ويطعمهم.

فيمتثل لقول النبي ﷺ: "أَنَا وَكَافِلُ اليَتِيمِ فِي الجَنَّةِ هَكَذَا"، وَقَالَ بِإِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالوُسْطَى[5]، فلا شك أن رعاية جملة من الأيتام تجلب معية الله، ولم لا وقد جلبت معية الرسول في الجنة والقرب منه.

---

(1) القيروان: مدينة عظيمة كبيرة جليلة، تقع في الإقليم الرابع على أرض منبسطة، طولها 31 درجة، وعرضها 30 درجة، اختطها عقبة بن نافع الفهري سنة 55هـ في خلافة معاوية بن أبي سفيان، وقد افتتحها مع جملة أرض أفريقية عبد الله بن سعد بن أبي سرح في خلافة عثمان بن عفان سنة 35هـ، وهي عامرة بأخلاط من العرب والعجم والبربر والروم، وقد كانت قاعدة إفريقية وحصنها، هوائها صحيح، وأرضها طيبة، معروفة بيسر أموالها، وسعة أحوالها، وأرباح تجارتها، وبها برك ماء عظيمة تجري فيها السفن، وبقبلتها وادي ماءه مالح، توالت عليها الممالك والدول، والفقهاء والعلماء والصالحين؛ اليعقوبي، البلدان (ص185-187)؛ المنجم، آكام المرجان (ص98-99)؛ مجهول، حدود العالم من المشرق الى المغرب (ص180)؛ العزيزي، المسالك والممالك (ص50)؛ البكري، المسالك والممالك (ج675/2)؛ البكري، معجم ما استعجم (ج1105/3-1106)؛ مراكشي مجهول، الاستبصار في عجائب الامصار (ج113/1-115)؛ الهروي، الإشارات إلى معرفة الزيارات (ص51)؛ الحموي، معجم البلدان (ج420/4-421)؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد (ص242)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج1139/3)؛ الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص486-487).

(2) الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص414).

(3) [المؤمنون: 1-11].

(4) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص208).

(5) [البخاري: الجامع الصحيح، الأدب/فضل من يعول يتيماً، 9/8: رقم الحديث 6005].

وقد قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا** ﴾[1]، وبهذا يتحصل التأييد والتوفيق من الله سبحانه وتعالى.

3- عيادة المرضى:

كان بعد كل صلاة جمعة يذهب إلى بيمارستان[2] مراكش، يعود المرضى يتفقد أحوالهم، وأحوال القائمين عليهم، إلى غير ذلك، ثم يخرج، واستمر على هذا حتى توفي رحمه الله[3]، ولا شك أن هذا الأمر يقرب العبد من الله ويجلب له نصرته وتوفيقه.

فقد قال الرسول ﷺ: "إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟.."[4].

4- فك أسرى السجون، ورد المظالم:

كان المنصور رحمه الله يرفض الظلم الواقع على رعيته، فعندما آل الأمر إليه كتب لجميع بلاده بإخلاء السجون ورد المظالم التي فعلها العمال في عهد أبيه، كما أوصى ولاته بالرجوع لأحكام القضاء، وتفقد أحوال البلاد والرعية[5]، كما كان يتقرب إلى الله في فك الأسرى، حيث سرح السجون عندما ذهب لغزو الروم في وقعة الأرك[6]، فالظلم أخو الهزيمة بل يحجب النصر، وهو السبب في زوال الدول والممالك.

ولا شك أن الإفراج عن السجناء، وتفريق الأموال، يحدث موجة من البشر والفرح في نفوس المواطنين[7].

---

(1) [النساء: 69].

(2) البيمارستان لفظ كان يطلق على المستشفي في زماننا هذا.

(3) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص210).

(4) [مسلم: المسند الصحيح، البر والصلة والآداب/فضل عيادة المريض، 1990/4: رقم الحديث 2569].

(5) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس (ص217-218).

(6) السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج188/2).

(7) حسن: حسن علي، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس (ص426).

وقد قال تعالى: ﴿ **وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ (4) فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (5)** ﴾[1]، ولهذا يقول ابن تيمية رحمه الله: "الله ينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا ينصر الدولة الظالمة وإن كانت مؤمنة"[2]، وقد تنبه المنصور لذلك فعمل على إرساء العدل في رعيته، كما سيتبين فيما بعد.

5- كثرة الإنفاق في سبيل الله:

لما تمت له البيعة أول ما فعله أنفق 100 ألف دينار ذهباً من بيت المال للضعفاء في المغرب[3]، كما أرسل كتاباً أمر فيه العمال بدفع جميع زكوات الفطر عام 580هـ للشيخ الفقيه القاضي أبي المكارم[4] لتقواه، حتى يوزعها على الضعفاء والمساكين للترفق بهم والتوسعة عليهم[5]، فكان المنصور كثير الصدقة؛ فقد تصدق قبل خروجه إلى غزوة الأرك الكبرى بأربعين ألف دينار، فقسموا مدينة مراكش أرباعًا، وجعلوا في كل ربع أمناء معهم أموال يتحرون بها المساتير وأرباب البيوتات[6]، ووزع على الجند والأمراء والفقراء في عيد سنة 594هـ 73 ألف شاة من ضأن ومعز[7]، وكان كما أسلفنا كلما دخلت السنة يجمع الصبية الأيتام فيُختنون ويكرمهم بالعطاء[8]، وفي سنة 595هـ أمر المنصور أن يجعل في يد كل واحد من أطفال مراكش – الذين سيختنون – دينار من الذهب ودرهم من الفضة وحبة من الفاكهة الخضراء يلهو بها الطفل عن الألم أثناء الختان، فأنفق مئات الآلاف من الذهب والفضة في هذا الأمر[9]، فعم ذلك الخير في آخر سنة من حياته جميع الأطفال، وهذا يدل على الاهتمام بالرعاية الصحية للأطفال، والإعانة الإغاثية لهم، وتحبيبهم في السُّنَّةِ بصورة راقية.

---

(1) [الأعراف: 4-5].

(2) الحسبة في الإسلام (ص7).

(3) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس (ص217).

(4) أَبُو المكارم هبة الله بْن الْحُسَيْن الْمَصْرِيّ، كان فقيهاً عالماً، عارِفًا بالأصول، حافظًا للحديث، متيقّظًا، حضر غزوة شنترين، واستصحبه المَنْصُور معه فِي غَزْوَة قَفْصَة الثانية، ولي قضاء إشبيلية سنة 579هـ، وتُوُفّي أَبُو المكارم عَلَى قضاء تونس سنة 586هـ؛ المكناسي، جذوة الاقتباس (ص532)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (ج41/257-258).

(5) بروفنصال، مجموع رسائل موحدية (ص167).

(6) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص104).

(7) المقري، نفح الطيب (ج3/104).

(8) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص209).

(9) ابن عذارى، البيان المغرب "قسم الموحدين" (ص228).

وكذلك فإن الإنفاق مما يستنزل به النصر من عند الله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (2) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (4)** ﴾[1]، وقد قال رسول الله ﷺ: "الخلق عيال الله؛ وأحب الناس إلى الله من أحسن إلى عياله"[2]، فالمتصدق يتحصل على درجة الإيمان ومحبة الرحمن، ولا بد له أن ينتصر ومعية الله معه، وهذا ما حصل للمنصور في وقعة الأرك حيث هزم الأذفونش[3] ورجاله رغم كثرة عددهم.

(1) [الأنفال: 2-4].

(2) [الطبراني: المعجم الأوسط، من اسمه محمد، 356/5: رقم الحديث 5541]؛ الأصبهاني، الترغيب والترهيب (ج134/1).

(3) سيتم التعريف بهذا القائد النصراني زعيم مملكة قشتالة في آخر الدراسة إن شاء الله تعالى.

المبحث الثاني:

إحياء تعاليم الإسلام الصحيحة، وتجديد الحركة الدينية:

أولاً: اهتمامه بالعلماء:

أراد يعقوب الموحدي تشكيل أرضية صلبة يعتمد عليها في تجديد معالم الإسلام وهدي شرائعه.

فأحسن للعلماء وأحبهم[1]، فاستدعى العلماء ورواة الحديث[2] النبوي الشريف[3] وأهل الفنون المختلفة، من مختلف الأقطار إلى حاضرة الموحدين بمراكش، فكثر فيها العلماء وامتلأت بوجوه أهل البلاد[4]، وأجرى المرتبات على الْفُقَهَاء وطلبة الْعلم على قدر مراتبهم وطبقاتهم[5]، وانتهى أمره معهم إلى أن قال يومًا بحضرة كافة الموحدين يُسمعهم –وقد بلغه حسدهم للطلبة على موضعهم منه وتقريبه إياهم وخَلْوته بهم دونهم–: يا معشر الموحدين، أنتم قبائل؛ فمن نابه منكم أمر فزع إلى قبيلته؛ وهؤلاء –الطلبة– لا قبيل لهم إلا أنا؛ فمهما نابهم أمر فأنا ملجَأُهم، وإلي فزعهم، وإلي ينتسبون! فعظم منذ ذلك اليوم أمرهم، وبالغ الموحدون في برهم وإكرامهم[6]،

فجعل يعقوب المنصور أحمد بن عبد الرحمن الأنصاري الخزرجي[7] على الخزانة العلمية[8]، وكانت عندهم من الخطط التي لا يعيّن لها إلّا كبار أهل العلم وعليّهم[9]، كما نَقَلَ

---

(1) اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان (ج365/3).

(2) فمثلاً استدعى أبا يوسُفَ يعقوبُ المنصورُ الموحدي إلى حَضْرتِه مَرّاكُش المحدث الحافظ الضابط المتقن العالم باللغة العربية أحمدُ بن سَلَمةَ الأنصاري – قال فيه أبو الحَسَن ابنُ القَطّان: عَدْلٌ إمام في الحديث – ليَسمعَ بها عليه الحديث، فقَدِمَها وأسمَعَ بها ثم عاد إلى تِلِمْسينَ في ذي قَعْدةِ سنة 585هـ؛ الأوسي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (ج311/1–312).

(3) الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص541)؛ مراكشي مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار (ج210/1).

(4) الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص541).

(5) السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج198/2)؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس (ص216)؛ السَّمْلالي، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات (ج265/10).

(6) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص204).

(7) هو أبو العباس بن الصقر، ألحقه عبد المؤمن بجملة طلبة العلم، وتحفي به، وقدّمه إلى الأحكام بحضرة مرّاكش، فقام بها مدّة، ثم ولّاه قضاء غرناطة، ثم نقله إلى إشبيلية قاضياً بها مع وليّ عهده؛ ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة (ج69/1).

(8) وهي مكان جليل به خزائن الكتب، وفيه كان المنصور يجالس العلماء؛ ابن فضل الله، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (ج200/4).

(9) ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة (ج68/1–69).

المنصُورُ محمدُ بن عبد العزيز المَعافِرِيُّ[1] بعد أن قرأ في إشبيلية وقرطبة، إلى حضرتِه مَرّاكُشَ، فأنزَلَهُ في جامعِه الأعظم لتدريس ما كان عندَه من المعارف، وحَظِيَ عندَه[2] وعندَ ذوي الأمرِ، وأمَرَهُ المنصور بنَسْخِه لِخزانةِ كُتُبِه، وعُني النَّاسُ في مَرّاكُشَ بنَسْخِه واستنساخِه وإذاعتِه[3].

كما أوفد المنصور الحافظ أبي عبد الله بن الفخار[4] الأندلسي[5] إلى مراكش سنة 580هـ ولازمه ملازمة طويلة، وكان يُجِلّه كثيرًا ويُقرّبُه ويرفَعُ من شأنِه ويوجِب له حقَّه، واستَصْحبَه حين توَجَّه إلى إفريقيّةَ مُباهِيًا به ومُستكثِرًا بمكانِه[6]، وكان النابغة العالم ابن القطان[7] من أخص جلساء المنصور[8]، كما صحب المنصور أبو الحَجّاج الأحدَب[9] عند دخوله الأندلس عام 591هـ، فقربه المنصور وألزَمَه حضورَ مجلسِه معَ طلبةِ العلم وأحسَنَ إليه[10].

---

(1) وكان محدِّثًا راوِيةً عَدْلًا مُكثِرًا صحيحَ السَّماع ثقةً، فقيهًا ذاكرًا أقوالَ أئمّة الفقه، نَظّارًا فيه، مُستبحِرًا في حِفظِ اللُّغاتِ والتواريخ والأشعارِ قديمِها وحديثِها، متقدِّمًا في النَّحو، متحقِّقًا بذلك كلّه، حَسَنَ المشارَكة في غيرِه من فنونِ العلم، حَسَنَ النَّظْم والنّثر، جيّد الخَطّ رائقَه؛ الأوسي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (ج4/416).

(2) كان المنصورُ يعجَبُ به ويقول: ما ينبغي لأحدٍ أن يخلوَ عنه؛ الأوسي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (ج4/417).

(3) الأوسي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (ج4/416-417).

(4) محمدُ بن إبراهيمَ بن خَلَف الأنصاريُّ، مالَقيٌّ بَلَنْسِيٌّ، وكان من أحفظِ أهل زمانِه للحديث والفقه واللُّغاتِ والآداب والتواريخ، آيةً في ذلك من آياتِ الله، ذا معرفةٍ بعَقْد الشّروط، قَعَدَ لكَتْبِها طويلًا بباب فنتالةَ من مالَقَةَ، وأقرَأَ النَّحوَ والأدبَ وقتًا، معَ الوَرَع والفَضْل وشُهرةِ العدالة، بَرًّا بطلاب العِلم مُبالغًا في إكرامِهم مُتناهِيًا في التحَفِّي بهم، واستَظهَرَ في شَبِيبتِه كتابَ "السُّنَن" لأبي داود، وكان يحفَظُ "كتابَ مُسلم"، وقال أبو جعفرٍ الجَيّار: كان حَسَنَ الخُلُق حَسَنَ المُلاقاة كثيرَ الذِّكْر، معَ دُعابةٍ كانت فيه، وكان حافظًا للحديث والفقه إمامًا فيهما؛ الأوسي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (ج4/95-96).

(5) وصفه الذهبي في كتابه تذكرة الحفاظ (بالحافظ الإمام الأوحد) (ج4/100).

(6) الأوسي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (ج4/98).

(7) وكان ذاكرًا للحديث مُستبحِرًا في علومِه، بصيرًا بطُرُقِه، عارفًا برجالِه، عاكفًا على خدمتِه، ناقدًا مميِّزًا صَحيحَه من سقيمِه، فكان المنصورُ يؤْثِرُه على غيرِه من أهلِ طبقتِه؛ الأوسي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (ج5/20-22).

(8) بن القطان، إِحْكَامُ النَّظَرِ فِي أَحْكَامِ النَّظَرِ (ص20).

(9) هو يوسُفُ بن محمد بن المُعزِّ المُكّلانيُّ، الفاسيُّ، وكان أحجَّ المَهَرةِ في عِلم الكلام وأصُول الفقه متحقِّقًا بالفنَّيْنِ مُشاركًا في غيرِهما من فنونِ العلم مشاركةً حسَنةً، منقطعًا إلى النظر، متفرِّغًا له، جيّدَ التعليم لمن عَلِمَ منه الحِذْقَ والجِدَّ في التعلُّم، وكان يتجاوزُ الاقتصادَ في أحوالِه إلى حيّز الإقتار على اتّساع حالِه وكثرة فوائدِهِ وغزارةِ مالِه؛ الأوسي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (ج5/350-351).

(10) الأوسي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (ج5/351).

ويذكر المؤرخ محمد المنوني في سياق حديثه عن مناهج التعليم في هذا العهد الموحدي، ثلاث مسائل اتبعها الموحدون في قيام منهجهم العلمي:-

1- استدعاء العلماء للتدريس: وذلك باستجلاب العلماء إلى حضرتهم، من كل فن، وخاصة أهل علم النظر.

2- المبالغة في اختيار العلماء المدرسين، وامتحانهم، واختبارهم.

3- تقسيم طلبة العلم الموحدين إلى قسمين: طلبة المصامدة، وطلبة الحضر (المغاربة أو الواردين على المغرب)، وكان للطلبة بقسميهم ناد يجتمعون فيه للمناظرة، وامتحان للواردين من أهل العلم، يشرف عليهم رؤساء من علية العلم وأجلائهم[1]، فانعكس هذا على تقدم النهضة العلمية في زمانه، حيث أقبل الناس في عهده على الدراسات الدينية في مختلف المجالات، فحفل عهده بالمتفوقين والعلماء في كل فن[2]، وكثرت المؤلفات في مختلف العلوم الدينية[3].

إن الاهتمام بالعلم والعلماء هو من صلب حقيقة الإسلام، بل إنه هدف ونصر للإسلام بحد ذاته، فهل حضرت الإسلام وأقيمت الدعوة، وجردت السيوف، إلَّا لأجل إقامة العلم بالله وعن الله، ونبذ الشرك والجهل، فهو الطريق لتحقيق الرفع ومن ثم النصر، فقد قال الله ﷻ: ﴿ **يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** ﴾[4]، وقد قال النبي ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ حَتَّى النَّمْلَةُ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتُ فِي الْبَحْرِ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ"[5]، وقد قال النبي ﷺ: "إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، رِضًا بِمَا يَطْلُبُ"[6]، وقد قال النبي ﷺ: "مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ.. وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَالْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ، كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا، وَلَا دِرْهَمًا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ"[7]، وإن أقواماً يثني

---

(1) انظر: العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين (ص36-38).

(2) انظر أخبار الكثير من العلماء البارعين في عصر المنصور الموحدي: النجار، المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي (مج2/473-481).

(3) النجار، المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي (مج2/473-481).

(4) [المجادلة: 11].

(5) [القرطبي: جامع بيان العلم وفضله، ذكر حديث أبي الدرداء 174/1: رقم الحديث 183].

(6) الدارمي: المسند، في فضل العلم والعالم 370/1: رقم الحديث 369].

(7) أبو داوود: السنن، العلم/الحث على طلب العلم، 317/3: رقم الحديث 3641].

عليهم أهل السموات والأرض ويستغفرون لهم حتى الحيتان في المياه، وتقدرهم الملائكة، ولهم من الفضل ما جعلهم ورثة للأنبياء، أفلا ينصرون ويرفعون على من عاداهم.

وقد فطن المنصور لذلك فقد أجاز أثناء تحضير الجيوش لموقعة الأرك موكباً عَظِيم من أَشْيَاخ الْمُوَحِّدين.. وَمَعَهُم فُقَهَاء الْمغرب وصلحاؤه[1]، فانتصر في تلك المعركة.

وكان المنصور متمسكاً بالشرع المطهر[2]، عالماً يدين على مذهب الظاهرية[3]، وقد أمر بقراءة البسملة في أول الفاتحة في الصلوات وأرسل بذلك إلى سائر بلاد الإسلام التي في مملكته. فأجاب قوم وامتنع آخرون[4]، فلم يكن همه التسلط على العلماء بأمره ورأيه بقدر التمسك بالشرع الحنيف، فلم يكن يحجر على العلماء، إنما كان يرفض العلم الذي يقوم على الجدال والسفه، وهذا ما سنجده في معالم تجديده لاحقاً.

ثانياً: إحياء الكتاب والسنة:

أحيا المنصور الكتاب والسنة في نفسه، ثم انطلق للمجتمع، فالفكرة قبل أن تحيا في المجتمعات وتستنشق روحها الأمم لا بد أن تتأصل في صاحبها، وتصل لذروتها في نفسه، ليشع نورها[5] على الآخرين فيستجيبون لها.

فقد كان المنصور الموحدي يجيد حفظ القرآن، ويحفظ متون الأحاديث ويتقنها ويتكلم في الفقه كلاماً بليغاً، وكان فقهاء الوقت يرجعون إليه في الفتاوي، وله فتاوي مجموعة حسبما دل إليه، وقد صنف المنصور كتاباً جمع فيه متون أحاديث صحاح تتعلق بها العبادات سماه الترغيب[6].

وقد بدأ يعقوب مهمات التجديد في الدين الإسلامي بفهم واقع العلم والعلماء في الأندلس والمغرب حيث كان هناك اختلاف في الرأي يقود إلى مناظرات فارغة وإلى مشاحنات وتعصب للرأي والتقليد للشيخ على غير هدى، وقد صدق رسول الله ﷺ عندما قال: "مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى

---

(1) السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج187/2).
(2) اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان (ج364/3)؛ مقديش، نزهة الأنظار (ج472/1).
(3) ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج161/10).
(4) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (ج4/7)؛ مقديش، نزهة الأنظار (ج468/1).
(5) وقيل في الحِكَم: "تسبق أنوارُ الحكماء أقوالَهم، فحيث ما صار التنوير وصل التعبير"؛ ابن عجيبة، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (ج35/7).
(6) السَّمْلالي، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات (ج264/10).

كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الْجِدَالَ"[1]، وقال رسول الله ﷺ: "لَا تَتَعَلَّمُوا الْعِلْمَ لِتُبَاهُوَا بِهِ الْعُلَمَاءَ، وَلَا لِتُمَارُوا بِهِ السُّفَهَاءَ، وَلَا تَتَحَدَّثُوا بِهِ فِي الْمَجَالِسِ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَالنَّارُ النَّارُ"[2]، فأراد المنصور قطع ذلك لتوحيد الصف ورسوخ الكلمة، فعمل على محورين:-

1- إلغاء المذاهب الفقهية: فقد أمر برفض فروع الفقه[3]، حيث انقطع علم الفروع، وأمر بإحراق كتب المذاهب[4] بعد أن يجرد ما فيها من حديث رسول الله ﷺ والقرآن، وأمر الناس بترك الاشتغال بعلم الرأي والخوض في شيء منه، وتوعد على ذلك بالعقوبة الشديدة، فخافه الفقهاء[5]، وكان مقصده حمل الناس على ظاهر[6] القرآن والحديث[7]، وهذا مقصد أبيه وجده، لكنهما لم يظهراه، وأظهره يعقوب[8]، حيث قام بإبراز فكرة هذا المشروع، وتنفيذها بشكل عملي[9]، حتى يؤصل العلم على المنهج السليم الأول ويمنع النزاع والاختلاف[10]، فقد قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "الْعِلْمَ الْخَشْيَةُ"[11].

---

(1) ابن أبي عاصم: كتاب السنة، المجلد الأول/ ما ضل قوم، 47/1: رقم الحديث 101].

(2) البيهقي: المدخل إلى السنن الكبرى، كراهية العلم لغير الله، 311: رقم الحديث 479].

(3) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (ج11/7)؛ دندش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين (ص355).

(4) السَّمْلالي، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات (ج267/10)؛ المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص202)؛ بن القطان، إِحْكَامُ النَّظَرِ فِي أَحْكَامِ النَّظَرِ (ص44)؛ دندش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين (ص355)؛ ريبيرا، التربية الإسلامية في الأندلس (ص201).

(5) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص202-203)؛ ريبيرا، التربية الإسلامية في الأندلس (ص202).

(6) قال الحافظ أبي بكر: لما دخلت على أمير المؤمنين أبي يعقوب أول دَخْلَة دخلتها عليه، وجدت بين يديه كتاب ابن يونس، فقال لي: يا أبا بكر، أنا أنظر في هذه الآراء المتشعبة التي أحدثت في دين الله؛ أرأيت يا أبا بكر، المسألة فيها أربعة أقوال أو خمسة أقوال أو أكثر من هذا؛ فأي هذه الأقوال هو الحق؟ وأيها يجب أن يأخذ به المقلد؟ فافتتحت أبين له ما أشكل عليه من ذلك؛ فقال لي وقطع كلامي: يا أبا بكر، ليس إلا هذا، وأشار إلى المصحف، أو هذا، وأشار إلى كتاب سنن أبي داود، وكان عن يمينه، أو السيف!؛ المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص204).

(7) حيث فسر الدكتور علي محمد الصلابي ذلك بأن المنصور لا يحب التعمق في آراء الفقهاء البعيدة عن الدليل؛ دولة الموحدين (ص159).

(8) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص204).

(9) المنوني، العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين (ص51).

(10) وبهذا يقول ابن الياسمين أحد شعراء المنصور:

نبذتم مقالة هذا وذا *** فزال المراء وقل الخصوم

وأثبتم قول من لفظه *** هو الحق والشرع منه يقوم؛

جلاب، الدولة الموحدية (ص69).

(11) أبو نعيم، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (ج131/1).

2- إحياء علوم القرآن والحديث: عندما فهم حقيقة العلم وهي تقوى الله عز وجل، أمر جماعة ممن كان عنده من العلماء المحدثين بجمع أحاديث من المصنفات العشرة: الصحيحين، والترمذي، والموطأ، وسنن أبي داود، وسنن النسائي، وسنن البزار، ومسند ابن شيبة، وسنن الدارقطني، وسنن البيهقي في الصلاة وما يتعلق بها؛ فأجابوه إلى ذلك، وجمعوا ما أمرهم بجمعه؛ فكان يمليه بنفسه على الناس ويأخذهم بحفظه؛ وانتشر هذا المجموع في جميع المغرب، وحفظه الناس من العوامِ والخاصة، فكان يجعل لمن حفظه الجُعل السني من الكُسا والأموال، ونال عنده طلبة العلم -علم الحديث- ما لم ينالوا في أيام أبيه وجده؛ وانتشر في أيامه لأهل علم الحديث صِيت، وقامت لهم سوق، وعظمت مكانتهم منه ومن الناس[1]، فقد أمر بتدريس حديث النبي ﷺ[2]، وبهذا أحيا الناس على الكتاب[3] والسنة.

ولقد كان من أثر هذه النهضة أن ظهر بالمغرب محدثون كبار[4]، فانشغل الناس بحديث الرسول عن علوم الكلام والجدل والمناظرات، فتوحد الصف وجمعت الكلمة، وغادرت الفرقة.

وقد قال الفضيل بن عياض: "إِنَّمَا الْفَقِيهُ الَّذِي أَنْطَقَتْهُ الْخَشْيَةُ وَأَسْكَتَتْهُ الْخَشْيَةُ إِنْ قَالَ قَالَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَإِنْ سَكَتَ سَكَتَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَإِنِ اشْتَبَهَ عَلَيْهِ شَيْءٌ وَقَفَ عِنْدَهُ وَرَدَّهُ إِلَى عَالِمِهِ"[5]، كما قال النبي ﷺ: "الْعِلْمُ عِلْمَانِ: عِلْمٌ فِي الْقَلْبِ فَذَاكَ الْعِلْمُ النَّافِعُ ، وَعِلْمٌ عَلَى اللِّسَانِ فَتِلْكَ حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ"[6]، ومن هذه المبادئ السامية أرسى المنصور رحمه الله القواعد في نشر العلم وتأصيله، حيث أمر العلماء أن لا يفتوا إلا بالكتاب العزيز والسنة النبوية، ولا يقلدون أحداً من الأئمة المجتهدين المتقدمين، بل تكون أحكامهم بما يؤدي إليه اجتهادهم من استنباطهم القضايا من الكتاب والحديث والإجماع والقياس[7]، وذلك منعاً للتقليد الاعمى وجلب المشاحنات والجدل، في الوقت الذي استجد فيه على البلاد أحوال وظروف تحتاج إلى الإبداع العلمي باستنباط الأحكام من القرآن والسنة بما يوافق ظروف العصر، ما يؤدي لوحدة الصف والكلمة.

---

(1) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص202-204).

(2) مراكشي مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار (ج210/1).

(3) رفع إلى المنصور عام 592هـ أراجيز حسان للقارئ الحافظ المتقن يحيى بن محمد بن خلف الهوزني، في القراءات والتجويد للقرآن، ومخارج الحروف، فأجازه عليها؛ ابن بشكوال، صلة الصلة (مج410/3-411)؛ المنوني، العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين (ص46).

(4) المنوني، العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين (ص47).

(5) ابن أبي يعلى، طبقات الحنابلة (ج150/2).

(6) ابن أبي شيبة: الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، الزهد/ما ذكر عن نبيناﷺ، 82/7: رقم الحديث 34361].

(7) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (ج11/7)؛ العينى، عِقْدُ الجُمَان "العصر الأيوبي" (ج87/3)؛ مقديش، نزهة الأنظار (ج473/1).

وَكَانَ المنصور يدين بِمَذْهَبِ الظَّاهِرِيَّةِ[1] في دولته[2]، فَعَظُمَ أَمْرُ الظَّاهِرِيَّةِ[3] فِي أَيَّامِهِ، وَكَانَ بِالْمَغْرِبِ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ مثل مُحَمَّدِ بْنِ جَرْمٍ[4]، أبي الخطاب بن دحية[5] وأخيه أبي عمر[6] ومحيي الدين ابن العربي[7].

إلا أن الدكتور حسن جلاب أورد في كتابه رأياً خاصاً بالأستاذ عبد الهادي أحمد الحسيسن يقول فيه الأخير: أن المنصور لم يكن ظاهرياً داودياً أو حزمياً، وإنما كان ظاهرياً في شكل آخر يرغب في تجديد الدين أكثر من رغبته في تطبيق المذهب الظاهري الحزمي، يدعو إلى الاجتهاد ونبذ التقليد[8]، وقد أكَّد المؤرخ محمد المنوني أن الفقه استفاد من هذه الحركة الظاهرية، حيث نبغ في هذا العصر فقهاء عظام، يستنبطون الفقه من معين الكتاب والسنة، ويفتون ويحكمون بها، فظهرت مؤلفات مهمة في أحاديث الأحكام استدراكاً ونقداً وشرحاً،

---

(1) كان المنصور يشكو من تعدد الآراء والأحكام المذهبية في المسألة الواحدة، ويرى من وجهة نظره أن الأخذ بالمذهب الظاهري يحسم كثيراً من هذه الخلافات؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس (ج240/5).

(2) السَّمْلالي، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات (ج264/10)؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج162/10).

(3) كان المنصور معظماً للإمام بن حزم فعندما مرَّ المنصور بأرض شلب، وقف على قبر الحافظ أبي محمد ابن حزم، وقال: عجباً لهذا الموضع، يخرج منه مثل هذا العالم، ثم قال: كل العلماء عيال على ابن حزم؛ المقري، نفح الطيب (ج238/3).

(4) بِالْمَغْرِبِ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ يُقَالُ لَهُمُ الْجَرْمِيَّةُ، وَمَنْسُوبُونَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ جَرْمٍ، رَئِيسِ الظَّاهِرِيَّةِ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج162/10).

(5) هو الشيخ الفقيه، المحدث الحافظ المتقن، النحوي اللغوي التاريخي، أَبُو الخطاب عُمَر بْن حسن بْن عليّ بْن مُحَمَّد بن فرح الكلبي بْن دحية، من أوعية العلم، ظاهري المذهب، ولد سنة 544هـ، طاف في أقطار اللدان، فتعلم في بغداد، وله سماع بالاندلس وتونس، وارتحل إلى المشرق في مدة بني أيوب فرفعوا شأنه، وأدب الملك الكامل في شبابه، ولما حكم الملك الكامل بن العادل، قبله وأمره على مدرسة الكاملية بالقاهرة، توفي فِي سنة 633هـ؛ البغدادي، تاريخ بغداد (ج282/15)؛ الغِبْرِيني، عنوان الدّراية (ص272،269)؛ ابن الفوطي، مجمع الآداب في معجم الألقاب (ج483/4)؛ الذهبي، ميزان الاعتدال في نقد الرجال (ج186/3)؛ برهان الدين، الاغتباط بمن رمي من الرواة بالاختلاط (ص368)؛ أبو الفضل، لسان الميزان (ج83/6)؛ السُّوْدُوْنِي، الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة (ج275/7)؛ القِنَّوجي، التاج المكلل (ص81)؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج278/16).

(6) أَبُو عَمْرٍو عُثْمَان بن حَسَنِ بنِ عَلِيّ بنِ مُحَمَّدِ بنِ فَرْح الجُمَيّلُ، السَّبْتِيُّ، اللُّغَوِيُّ، العَلاَّمَة، المُحَدِّثُ، كثير السماع، متزهداً، حافظاً، وَلِيَ دَارَ الْحَدِيثِ الكَامِلِيَة، حِينَ عُزِلَ أَخُوهُ عَنْهَا، حَتَّى تُوُفِّيَ فِي سنة 634 عن عمر 88 سنة؛ أبو الفضل، لسان الميزان (ج377/5)؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج26/23-27)؛ ابن كثير، البداية والنهاية (ج230/17).

(7) ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج162/10)؛ مقديش، نزهة الأنظار (ج474/1).

(8) الدولة الموحدية (ص44).

ويشجعهم المنصور[1]، على الدراسات الدينية، ليقضي على الاختلافات المذهبية، وخاصة التعصب للمالكية[2].

لكن الشيخ علي محمد الصلابي يقول أنه ينبغي للحاكم أن يوسع دائرة المذاهب، والاطلاع مادمت على أصول أهل السنة والجماعة، وإن أنكر على من قدم كتبه على القرآن والسنة، لكن هذا التضييق الذي فعله أبو يوسف يعقوب المنصور وبعض حكام الموحدين، من النظرة المعادية والمعاملة القاسية لمن خالفهم، أثارت موجة من الذعر والخوف لدى بعض العلماء والفقهاء، مما جعل أسباب تفجر الثورات الداخلية متواجداً[3]، ويؤخذ على المنصور الضربات التي وجهها لعلماء المالكية في قضائه على مذهبهم[4]، حيث لا يعالج العلم ولا يصلح الدين بالتعصب والظلم، فهذا ليس من هدي الإسلام ومبادئه.

ثالثاً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

بعد أن قوى المنصور وأعلى من شأن العلماء، ووضع لهم طريقاً واضحاً يسيرون عليه، انتفض بهم ليهدموا البدع والمنكرات.

فَكَانَ الْمَنْصُور يشدد فِي إِلْزَام الرّعية بِإِقَامَة الصَّلَوَات الْخمس[5]، وكان يعاقب على ترك الصلاة، ويأمر بالنداء في الاسواق بالمبادرة إليها، فمن غفل عنها بالمعيشة عزره تعزيراً بليغاً[6]، فقد قال النبي ﷺ: "الصَّلَاةَ عَمُودُ الدِّينِ"[7]، وهي الركن الثاني من أركان الإسلام الخمس، ولا شك أن في إقامتها وإحيائها بين الناس هي إقامة لدين الله تعالى، بما يجلب النصر للمسلمين، فهي الفرقان بين أهل الإيمان والكفر، وبهما يتمايزان، وقد قال النبي ﷺ: "إِنَّ الْعَهْدَ

---

(1) انظر: العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين (ص53-54).

(2) النجار، المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي (مج2/481).

(3) انظر: الصَّلاَّبي، دولة الموحدين (ص159-160، 162).

(4) وقد ذكرت قصص لبعض الانتهاكات التي تعرض لها بعض العلماء بسبب تمسكهم بمذهب الإمام مالك، في دولة الموحدين؛ انظر: حسن: حسن علي، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس (ص467-468).

(5) السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج2/200)؛ ابن الموقت، السعادة الأبدية (ص180)؛ مقديش، نزهة الأنظار (ج1/473).

(6) اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان (ج3/364)؛ مقديش، نزهة الأنظار (ج1/474).

(7) [المروزي: تعظيم قدر الصلاة، 1/218: رقم الحديث 194].

الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كفر"[1]، وقد قال النبي ﷺ: "أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلاَمِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ"[2]، فالصلاة من دعائم دعوة الإسلام وإقامتها تجلب رضوان الله فهي صلة المخلوق بالخالق، وبها النجاة في الآخرة والظفر والنصر في الدنيا.

عندما بويع المنصور بالخلافة رأى انهماك الناس بالشهوات وشرب الخمور وتوسع سوق القانيات والمغنيات مع المجاهرة والاستهتار بما حرم الله، فغضب لله وأصدر الإنذارات، فأريقت المسكرات وقطعت[3]، وحذر الموت على استعمالها[4]، وأرسل تلك الفرمانات إلى سائر ولاته بالأمصار[5]، ومن تلك الرسائل التي أرسلها تحريم مشروب الرب بشكل نهائي، لما فيه من الشبهات والملابسات، حيث أن بعض أفراد الشعب اتخذوه كمادة مسكرة بزيادة تخميره، وتساهلوا فيه، فأمرهم المنصور بالتشدد في هذا الأمر، والمعاقبة عليه بأشد أنواع العقوبة[6]، من باب سد الذرائع، وقد قال النبي ﷺ: "الْحَلَالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ

---

(1) [ابن حبان: الإحسان في تقريب صحيح بن حبان، الصلاة/الوعيد على ترك الصلاة، 305/4، رقم الحديث: 1454].

(2) [البخاري: الجامع الصحيح، الإيمان/فإن تابوا وأقاموا الصلاة، 14/1: رقم الحديث 25].

(3) كَانَ الْمَنْصُور قد أبطل الْخمر وشدد بِأَن لَا تكون عِنْد أحد، وبعد ذَلِك بِمدَّة طلب الْمَنْصُور من أبي جَعْفَر بن الغزال – صانع الْأَدْوِيَة المركبة والمعاجين – جمع متطلبات الترياق الْكَبِير وتركيبه، فامتثل أمره وَجمع متطلباته، واحتاج الْخمر الَّذِي يعجن بِهِ أدوية الترياق، فأمره الْمَنْصُور بالبحث عنه في كل نَاحيَة، لَعَلَّه يكون عِنْد أحد مِنْهُ وَلَو شَيْء يسير لإكمال الترياق، فتطلبه أَبُو جَعْفَر من كل أحد وَلم يجد شَيْئا مِنْهُ، فَقَالَ الْمَنْصُور وَالله مَا كَانَ قصدي بتركيب الترياق فِي هَذَا الْوَقْت إِلَّا لأعتبر هَل بَقِي من الْخمر شَيْء عِنْد أحد أم لَا؛ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء (ص536)؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج431/15).

تقول الدكتورة ليلى النجار أن هذا المثال يدلل على اهتمام الخليفة برعيته، ويبين طاعة الشعب لحاكمه؛ المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي (مج427/2).

(4) قتل المنصور أبو يعقوب الموحدي في بعض الأحيان على شرب الخمر؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (ج11/7)؛ مقديش، نزهة الأنظار (ج473/1).

(5) ابن عذارى، البيان المغرب "قسم الموحدين" (ص172–173)؛ رزوق، الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب (ص39).

(6) انظر: بروفنصال، مجموع رسائل موحدية (ص164–167).

اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا إِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ.."[1].

كما أمر صاحب الشرطة بالقبض على المغنيين وأصحاب الملاهي، فتفرقوا في الأوطان، وبارت سوقهم، وكان زاهداً في هذا الأمر[2]، وهكذا لعبت المبادئ الدينية[3] التي قامت عليها الدولة في محاربة المغنين[4]، فالمتتبع للتاريخ الإسلامي يجد أن من أسباب زوال الممالك وذلها وزوالها هي ارتكاب المحارم والمنكرات، وترك المعروف والطاعات، فقد قال تعالى: ﴿ **لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (78) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (79)** ﴾[5]، فكما أن فعل المنكرات وترك النهي عنها يجلب سخط الله ولعنته، فكذلك النهي عنها بمفهوم المخالفة تجلب رضوان الله ورحمته، وبالتالي التوفيق والسداد والنصر.

ويؤكد الدكتور حسن علي حسن أن مثل هذا النوع من الإجراءات جعل الشعب المغربي يعيش محافظاً على تأدية الفروض الدينية، وملتزماً بأحكام الشرع، لأن من تهاون أو تكاسل في تأديتها فإن حزم ولاة الأمر كفيل بردعه وإعادته إلى طريق الجادة والسلامة[6].

---

(1) ابن أبي شيبة: الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، البيوع والأقضية/أكل الربا وما جاء فيه، 448/4: رقم الحديث 22003].

(2) ابن عذارى، البيان المغرب "قسم الموحدين" (ص172-173)؛ رزوق، الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب (ص39).

(3) قامت الدولة الموحدية على مبادئ دينية واضحة في منع المنكرات ومحاربتها، فمحمد بن تومرت صاحب الدعوة الموحدية كان يتنقل بين مدن المغرب في أواخر حكم المرابطين، ويعمل على قطع الملهيات، وتكسير أدوات الموسيقى إن وجدها هو وأصحابه، إضافة إلى إراقة الخمور، ومحاربة اختلاط الرجال بالنساء، وما إلى ذلك من الشنائع التي كانت موجودة في نهايات الحكم المرابطي، والتي كانت من أسباب سقوط الدولة المرابطية، وقيام الدولة الموحدية على أنقاضها؛ انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج8/655-657).

(4) حسن: حسن علي، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس (ص432).

(5) [المائدة: 78-79].

(6) الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس (ص473).

المبحث الثالث:

محاربة البدع وأهل الضلالة

أولاً: القضاء على أهل البدع والضلالة:

بعد أن قام المنصور يتجييش العناصر والمكونات السابقة من توجيه العلماء، وإحياء الكتاب والسنة، ونشر المعروف وإزالة المنكرات، دخل في هذا المضمار الخطير، وفتح الحرب والمواجهة على البدع وأهل الضلال.

فعندما توجه المنصور إِلَى إشبيلية رفع إِلَيْهِ أمرٌ فِي القَاضِي أبي الْوَلِيد بن رشد[1] –وَكَانَ أحد الفلاسفة– مقالات نسب فِيهَا إِلَى الْمَرَض فِي دينه ومعتقده[2] وَوجد بَعْضهَا بِخَط يَده[3] فحبسه المنصور لذلك[4]، وأثيرت الشكوك حول هذا الفيلسوف، ولهذا يرى الباحث صلابة المنصور في ضرورة اعتقاله بالرغم من مكانته.

فقد نقل إلينا القِنَّوجي في كتابه – التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول – روايات عن ابن رشد، بأن أكثر تلامذته من اليهود والنصارى، وقلَّ من كان يقرأ عليه من المسلمين؛ بسبب ضعف عقيدته، حيث اتهم بتفضيل فلسفة القدماء على الإسلام، وقيل: أنه كان

---

(1) هُوَ أَبُو الْوَلِيد الحفيد مُحَمَّد بن أَحْمد بن مُحَمَّد بن رشد الأندلسي، ولد سنة 520هـ بقرطبة ، كان حافظاً مجتهداً، وعالماً بالفقه والأصول، والعربية والأدب، والطب، والخلاف، وبالكلام والفلسفة، وله تواليف ومصنفات كثيرة تدل على معرفته، وعنده طلبة علم بمجلسه، ولي قضاء إشبيلية وقرطبة، وكان متواضعًا، ذكيًا، رثّ الهيئة، قويّ النَّفس، وتوفي سنة 595هـ بمراكش فِي أول دولة النَّاصِر؛ الضبي، بغية الملتمس (ص54)؛ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء (ص530–532)؛ الأوسي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (ج4/22–23)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (ج42/196–199)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج2/81–82)؛ اليعمري، الديباج المذهب (ج2/257–259)؛ القِنَّوجي، التاج المكلل (ص290).

(2) ومن طوامه أنه أنكر وجود قوم عاد الذين ذكرهم الله ﷻ في قرآنه؛ الأوسي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (ج4/30).

وقيل أنه زعم أن كوكب الزهرة أحد الآلهة؛ المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص225).

(3) السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج2/193)؛ انظر: أبو الخيل، جهود علماء الأندلس (ص131–132).

(4) السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج2/193)؛ بريان، آخر بني سراج (ص99)؛ ريبيرا، التربية الإسلامية في الأندلس (ص201)؛ الجيوسي، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس (ج2/1109).

يهوديَّ الأصل يُظهر الإسلام، ويكتم اليهودية مع تمسكه بها، حيث أن مذهبه لاقى شهرة وقبولاً في المدارس النصرانية واليهودية، كما أن ابن رشد اتهم الغزالي في كتابه "التهافت" بالبعد عن مرتبة اليقين والبرهان، وأنه رجل أخطأ على الشريعة كما أخطأ على الحكمة[1]، ومن الغريب أن نرى اليهود قد قاموا بترجمة كتب ابن رشد الفلسفية وشروحاتها من العربية إلى اللغات الأوروبية ككتاب تهافت التهافت، فلعب اليهود دور الوسيط بين فلسفة بن رشد والفلسفة النصرانية[2]، وقد رد شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – في كثير من مقالاته على هذا الفيلسوف المسمى بابن رشد[3].

كما حبس المنصور مع ابن رشد القاضي أبا عبد الله بنُ إبراهيمَ الأصُوليُّ[4] واتهم بمثل هذا الكلام[5]، وممن نقم عليه المنصور بِسَبَب اشتغالهم بالفلسفة وعلوم الْأَوَائِل أَبُو جَعْفَر الذَّهَبِيّ[6] وَأَبُو الرّبيع الكفيف وَأَبُو الْعَبَّاس الْحَافِظ الشَّاعِر القرابي[7]، وقد فوَّضَ المنصور الْحَفِيد

---

(1) انظر: (ص290–291).

(2) النجار، المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي (مج515/2).

(3) القِنَّوجي، التاج المكلل (ص290–291).

(4) أبو عبد الله محمدُ بن إبراهيمَ الفَهْرِيُّ الأصُوليُّ البِجَائيُّ، رحل إلى المشرق لطلب العلم، وكان مجتهداً محققاً عالماً بالفقه والأصول والكلام والجدل والفلسفة، استُقضِيَ ببِجَايةَ، وبمُرْسِيَة، واستُتيبَ بمَرّاكُشَ، وكان جلداً صلباً قوي الجأش، نبيلاً صادعًا بالحقّ، شديدا على ولاة الأمر في الحق، جَزْلًا في أحكامِه، عَدْلًا في قضائه، توفّي في بجاية سنةَ 612هـ؛ الأوسي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (ج148/5–150)؛ الغِبْرِيني، عنوان الدّراية (ص208–210)؛ التكروري، نيل الابتهاج بتطريز الديباج (ص378)؛ نويهض، مُعجَمُ أعلام الجزائِر (ص18–19).

(5) الأوسي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (ج26/4).

(6) أَبُو جَعْفَر أَحْمد بن عَتيق بن الحَسَن بن زياد بن جُرْج البلنسي الذَّهَبِيّ، كان فيلسوفاً، أديباً، فقيهاً متقناً، عالماً بالشَّرِيعَة، يغلب عليه الفلسفة، ثاقبَ الذّهن، ذكياً، مدققاً في المعاني، بارعَ الاستنباط، له تصانيف، وكان يعلم العربية والحساب، وهو طَبِيب ماهر، خدم الْمَنْصُور وابنه الناصر بالطب والفتوى، وهو من أَصْحَاب ابْن رُشد، واختفي في محنته ببلد قاشْرُهْ حتى عفا عنه المنصور، ولد سنة 554هـ، وتُوفّي بتلمسان عِنْد غَزْوَة النَّاصِر إِلَى إفريقية سنة 601هـ، وعمره 47 سنة؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب (ج321/2)؛ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء (ص537)؛ الأوسي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (ج456/1–459)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (ج46/43–47).

(7) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء (ص532).

أبي بكر بن زهر[1] بإبادة كتب الْمنطق وَالْفلسفة فِي البِلَاد[2]، وإحراقها بالنَّار[3]، سوى الطّبّ، والحساب، والمواقيت[4]، وأمره أن يُلْحِقَ الضَّرر العَظِيم لكل أحد ينظر فِي علم الفلسفة والمنطق أَو عِنْده كُتبٌ مصنفة فِيهِ[5]، بكتاب كتبه في الفلاسفة[6] أمثال ابن رشد وبن إبراهيم الأصولي[7]، وقد أتى الْحَفِيد أَبُو بكر بن زهر طالبان يتعلمان منه صناعة الطِّبّ، وقد وجد معهم مرة كتاباً صغيراً في المنطق، فأنكر عليهم وشتمهم، وأَمرهم أَن يحفظوا الْقُرْآن وَيشتغلوا بِقِرَاءَة التَّفْسِير والْحَدِيث وَالْفِقْه وَأَن يواظبوا على مُرَاعَاة الْأُمُور الشَّرْعِيَّة والاقتداء بهَا، فامتثلوا أمره وأتقنوا معرفَة مَا أَشَارَ بِهِ عَلَيْهِم [8].

(1) الْحَفِيد أَبُو بكر مُحَمَّد بن أبي مَرْوَان بن أبي الْعَلَاء بن زهر الإيادي الإشبيلي، الملقب بالحفيد، كان من أهل بيت كلهم علماء رؤساء حكماء وزراء، تعلم صناعة الطب، حَفِظ الْقُرْآن وَسمع الحَدِيث واشتغل بالْأَدَب والشعر والعربية، لازم أمور الشرع، قوي النفس، متين الدين، عادلاً، جريئاً، محباً للخير، خدم عبد المؤمن وأبنائه الخلفاء، وُلِدَ سَنَةَ 507هـ، وتوفي سنة 595هـ بمراكش، في أيام الناصر، وله من العمر 88 سنة؛ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء (ص521–522)؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (ج434/4)؛ الأوسي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (ج440/4)؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج436/15)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (ج204/42–205).

(2) أَرَادَ المنصور من تفويض ابْن زهر بهذا الأمر حتى لَا يُقَال عَنهُ أَنه يشْتَغل بكتب الْمنطق وَالْفلسفَة وَلَا يَنَالهُ مَكْرُوه بِسَبَبِهَا، فامتثل ابْن زهر أَمر الْمَنْصُور فِي جمع كتب الفلسفة وإهانة المشتغلين بهَا، لما يعرف المنصور من متانة دين ابْن زهر وعقله، كما صرح بذلك؛ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء (ص523).

(3) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء (ص523).

(4) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (ج224/42).

(5) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء (ص523).

(6) وكتَبَ عن المنصُور في هذه القضيّة كاتبُ أبو عبد الله بنُ عَيّاش كتابًا إلى مَرّاكُشَ وغيرها يقولُ فيما يخُصُّ حالَه ومن على شاكلته من الفلاسفة: وصفهم بالغرق في بحار الأوهام، وابتعادهم عن الشريعة، وأنهم يعملون عمل أهل النار، وهم أضر من أهل الكتاب، وأن ظاهر كتبهم كتاب الله، وباطنها سُمٌ يدخل الإسلام، وحذر من أمثال هؤلاء، ومن كان عنده مثل هذه الكتب الفلسفية فسيحرق كتابه ويعذب مؤلفه وقارئه، ثم كتب [وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ] [هود: 113]، ووصف أمثال هؤلاء بالملحدين؛ الأوسي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (ج27/4–29).

(7) الغِبْرِيني، عنوان الدّراية (ص211).

(8) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء (ص523).

وقد وجد المنصور في قصر قرطبة بالزهراء[1] صورة للعذراء فقام بإزالتها بسبب معتقد الناس بأن لها طلسماً يحميها[2]، ولما أمر المنصور بقتل أخيه وعمه الذين خرجا عليه، ودفنهما، كتب إليه المفوض بالأمر أنه: بنى قبريهما بالكدان والرخام، وحسنهما، فكتب إليه: ما لنا ولدفن الجبابرة؟، ادفنهما كيف يدفن عامة المسلمين[3].

ولا شك أن البدع والضلالات تقود إلى الخزعبلات والأساطير، فتجلب على الأمة الهزائم والويلات، فتنسى الأمة الأخذ بأسباب القوة والعلم، لركونها إلى الأوهام والجهل، بل إن الأمر يكون أطم من ذلك فيتحول إلى فتن وقلاقل تثير العامة وتحرفهم عن منهج الله.

فقد خرج سنة 586هـ رجل دجال يسمى علي بن محمد بن رزين الجزيري[4] الثائر على المنصور، كان في أول أمره يتظاهر بطلب العلم، ويتخصص بعلم "حفظ المتشابهات"، فأمر المنصور بطرده من مراكش، فغادرها، وأخذ يتجول في الأقطار، ويبث دعوته سراً بين جهلة العامة فيحادثهم، ويسايرهم في أفكارهم، ويلبس عليهم، حيث أخذ ينشر الضلالات والفساد أمام الناس، حتى ظن الناس أنه يتصور في صورة حيوانات مثل الكلاب والسنانير والحمير، وانتشر ذلك بين العوام، وأخذ هذا الشيطان يتنقل بين المدن والقرى بشعوذته ودجله، فَأُمِرَ الوالي أبو الحسن بن أبي حفص بمطاردته والبحث عنه، فكان يقبض على أتباعه فيقتلون أو يسجنون، حتى

---

(1) الزَّهراء: مدينة صغيرة عظيمة حصينة تقع بالأندلس قرب قرطبة، في غربيها، اختطّها السلطان الناصر عبد الرحمن بن محمد الأموي سنة 325هـ، كانت عامرة بالسكان والديار، فيها بساتين ورياض، وقد أبيدت واندثرت، كما أصيبت قرطبة وغيرها من بلاد الأندلس؛ الحموي، معجم البلدان (ج161/3)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج677/2)؛ الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص295)؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس (ص95).

(2) ابن عذارى، البيان المغرب "قسم الموحدين" (ص205).

(3) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص202).

(4) هو أبو عبد الله علي الجزيري برع فِي الْعلم وجال وثار فِي رَأسه أَن يحيى سنة مهْدي المغرب بن تومرت، وَزعم أَن أَصْحَابه غيروا أمره، وَكَان يقول:- فِي أم رَأْسِي سر***يَبْدُو لكم بعد حِين...لأطلبن مرادي***إِن كَانَ سعدي معيني...أَولا فأكتب مِمَّن***سعى لإِظْهَار ديني،

واشتهر أمره وَعظم فِي النُّفُوس خَبره وَوضعت عَلَيْهِ الْعُيُون فِي جَمِيع بِلَاد بني عبد الْمُؤمن وشاع عِنْد النَّاس أَنه يتَصَوَّر فِي صُورَة قطّ وكلب وَكَانَت الْعَامَّة ترْجم الْكلاب والسنانير بِسَبَب ذَلِك إِلَى أَن قبض عَلَيْهِ فِي عمل بسطة وَحمل رَأسه مقطوعاً إِلَى مراكش؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب (ج323/1-324).

قبض على الجزيري الدجال بمالقة[1].

لكن القاضي الواني[2] أطلقه برشوة[3] بلغت ألف دينار[4] فلما علم المنصور أمر بضرب القاضي على عدد الدنانير التي أخذها[5] فأُسلم إلَى صَاحب الشرطة فهلك القاضي أثناء الضرب بالسوط[6]، ثم قبض علي الدجال في مرسية[7] وسيق إلى إشبيلية، فأخذ ينكر أفكاره ونظرياته الثورية[8] أمام حضرة مجلس الموحدين، فعذب ثم أعدم وصلب[9].

---

(1) مالقة: مدينة قديمة حصينة واسعة حسنة تقع بالأندلس على ساحل بحر الزقاق الرومي، بين الجزيرة الخضراء والمرية، وقد كانت عامرة، بها وادي جاري، وآبار مياه، وأنواع الثمار، وقد نسب إليها جماعة من أهل العلم؛ مجهول، حدود العالم من المشرق الى المغرب (ص183)؛ الحموي، معجم البلدان (ج43/5)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج1221/3)؛ ابن الخطيب، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار (ص87،91)؛ الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص517–518)؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس (ص177–179).

(2) هو أبو العباس أحمد بن عليّ بن أبي غالب العبدري ولي قضاء مالقة وامتحن في قصّة عليّ الجزيري الثائر حين اشتدّ الطلب عليه وقد خيب من كان يجلس إليه، وقيل إنَّه أطلق أخاه من السجن بمالقة بألف دينار رشوةً فأُسلم إلى صاحب الشرطة فضربه ألف سوط فهلك قبل استيفائها، وأُمر به فصُلب بإزاء جذع الجزيري، وذلك في سنة 586هـ؛ ابن الأبار، تحفة القادم (ص186)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج215/15).

(3) ابن عذارى، البيان المغرب "قسم الموحدين" (ص207–208)؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس (ج179/5–180).

(4) الصفدي، الوافي بالوفيات (ج215/15).

(5) ابن عذارى، البيان المغرب "قسم الموحدين" (ص207–208)؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس (ج179/5–180).

(6) الصفدي، الوافي بالوفيات (ج215/15).

(7) مرسية: مدينة أندلسية حصينة تقع على ساحل خليج بحر الروم، على أرض مستوية، اختطّها السلطان الناصر عبد الرحمن بن محمد الأموي، وهي ذات أشجار وحدائق ونعم، متنوعة الثمار، غزيرة المعادن، وبها نهر كبير يسقيها، وكانت قاعدة للأندلس، عامرة بأهلها؛ مجهول، حدود العالم من المشرق الى المغرب (ص183)؛ الحموي، معجم البلدان (ج107/5)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج1258/3)؛ الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص539–540)؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس (ص181–183).

(8) تؤكد الدكتوره ليلى النجار أن الثائر الجزيري كان على مذهب الخوارج الأزارقة في تكفير المسلمين، وقد تبعه عامة الناس عند ظهوره الأول بمراكش؛ المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي (مج161/1).

(9) ابن عذارى، البيان المغرب "قسم الموحدين" (ص207–208)؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس (ج179/5–180).

ثانياً: مخالفة منهج محمد بن تومرت:

حيث احتوى منهج هذا المهدي المزعوم مؤسس دولة الموحدين على الكثير من الضلالات[1]، والتي لم ولن تنطلي على يعقوب الموحدي.

ومما يثبت ذلك أن أبا يوسف خرج إلى تين ملل للزيارة ومعه الغز، فقعدوا تحت شجرة خروب مقابلة للمسجد؛ وقد كان ابن تومرت وعد أصحابه قائلاً: لِيُبصرن منكم من طالت حياته أمراء أهل مصر مستظلين بهذه الشجرة قاعدين تحتها!، عندها ارتفع صوت التكبير، وجاء النساء يُوَلْوِلْنَ ويضربْنَ بالدفوف، ويقلْنَ: صدق مولانا المهدي! نشهد أنه الإمام حقًّا!، فكان المنصور يتبسم استخفافًا لعقولهن؛ لأنه لا يرى شيئًا من هذا كله، وكان لا يرى رأيهم في ابن تومرت، وقال الشيخ الصالح أبو العباس المري ونحن بحِجْر الكعبة قال لي أبو يوسف: يا أبا العباس، اشهد لي بين يدي الله عز وجل أني لا أقول بالعصمة –عصمة ابن تومرت–، قال: وقال لي يومًا وقد استأذنته في فعل شيء يفتقر إلى وجود الإمام، فرد قائلاً: يا أبا العباس، أين الإمام ... ؟ أين الإمام ... ؟ – يقصد هلك فلم تعظمونه وتجعلون له العصمة–، ويقول الشيخ أبو بكر بن هانئ لما رجع المنصور من غزوة الأرك رفعت إليه، فسألني...: ما قرأت من العلم؟ قلت: قرأت تواليف الإمام –ابن تومرت– فنظر إلي بغضب، وقال: ما هكذا يقول الطالب! إنما حكمك أن تقول: قرأت كتاب الله، وقرأت شيئًا من السنة؛ ثم بعد هذا قل ما شئت، ويقول المراكشي في هذا الأمر حكايات لو أوردنا ذكرها لطال بنا هذا التلخيص[2]، ومن هذه القصص التي توصل إليها الباحث أن الثائر الجزيري السالف ذكره، والذي خرج على سلطان الموحدين في عهد المنصور، كان في بعض الروايات ذو نزعة إصلاحية مهدوية، وأنه كان يسعى لإعادة مراسيم المهدي المزعوم بن تومرت، ويطمح إلى إحياء سننه، ويبث دعوته بين الجميع بقوة وبراعة، حتى في شعره، إلى أن عظم أمره، وقبض عليه وتم صلبه[3]، وهذا مما يدلل أن ضلالات المهدي لم تعد مقبولة في العصر الذهبي الموحدين، زمن المنصور يعقوب.

كما أن المنصور عندما بدأ تحركه إلى قفصة لقتال الميارقة في سنة 582هـ زار قبر المهدي بن تومرت في تين ملل كعادة الموحدين في مراسيهم من تعظيم الإمام قبل التوجه

---

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج8/657–660).

(2) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص211–212).

(3) انظر: المقري، نفح الطيب (ج4/66)؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس (ج5/180)؛ المطوي، السلطنة الحفصية (ص44).

للغزو[1]، لكن المنصور لما اتجه سنة 591هـ إلى غزوة الأرك لقتال الأذفونش ملك قشتالة النصرانية[2]، يلاحظ أنه لم يتوجه إلى زيارة قبر المهدي أبداً على عادة المراسيم [3]، مع أنه حمل معه عند توجهه للمعركة الكثير من الصالحين والمنتمين إلى الخير وسيرهم بين يديه، وكان يستعين بهم[4] لتحقيق النصر[5]، فتظهر الصورة لنا مشرقة إذ أن المنصور لم يزر قبر هذا المهدي المزعوم وما عاد يتبرك به، ولعل الأمر التاريخي اللطيف الذي دفع المنصور لذلك، أنه لما توجه إلى تونس لفتح قفصة، وكان قد زار قبر المهدي في المراسيم المعهودة تعرض الجيش الموحدي لهزيمة منكرة في موقعة عمرة سنة 583هـ[6]، فعلم المنصور أن هذه الزيارات لا تخلو من الشركيات التي يتبرك فيها الأحياء بالأموات، فتركها، وتحقق النصر في غزوة الأرك، فازداد يقيناً بأن تلك المراسيم لا حاجة له فيها، فزهد بها.

وقد برز يقينه بذلك عندما أوصى أَن يدْفن على قَارِعَة الطَّرِيق ليترحم عَلَيْهِ كل من يمر بِهِ[7]، ثم نقل إلى رابطة تين ملل (فأقبر) لصق أبيه وجده[8]، فيتبين من وصية المنصور الدفن على قارعة الطريق، بأن هذا الأمر لغريبٌ بمكان، إذ كيف لا يوصي بأن يدفن في تين ملل وهي مكان دفنى أبيه وجده حيث هم من أسس ووطد دعائم حكم الدولة الموحدية، لكن لا نستغرب ذلك إذ أن المنصور في آخر عهده ما عاد يقتنع بعقيدة أبيه وجده الذين ماتا على العقيدة التومرتية، فزهد حتى بمكانهما، فضلاً عن أن تين ملل تحمل بجوار قبري أبي المنصور وجده قبر الضال الدجال المزعوم بالمهدي محمد بن تومرت، ولهذا لما نقل قبر المنصور إلى تين ملل لم يكن له علاقة بذلك، ومن فعل هذا يتحمل إثم مخالفة وصيته، ونهجه الذي سار عليه، فالمنصور برئ من هكذا فعلة وفرية.

---

(1) ابن عذارى، البيان المغرب "قسم الموحدين" (ص185-186).

(2) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس (ص222).

(3) النجار، المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي (مج2/373).

(4) ومن هؤلاء الصالحين الذين استعان بهم المنصور في معركته أَبُو عِمْرَانَ مُوْسَى المِيْرتُليُّ؛ الحِميري، صفة جزيرة الأندلس (ص175).

أبي خزر يخلف بن خزر الأوربي؛ السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج2/188).

الرجل الشريف؛ العينى، عِقْدُ الجُمَان "العصر الأيوبي" (ج3/86).

(5) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص206-208).

(6) انظر: ابن عذارى، البيان المغرب "قسم الموحدين" (ص185-188).

(7) السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج2/204).

(8) السَّمْلالي، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات (ج10/266).

كذلك فإن أخذ المنصور بالمذهب الظاهري الذي يستند على ظاهر القرآن والسنة، ضرب بهذا فكرة التأويل المعتمدة كأساس في عقيدة بن تومرت[1].

ولقد تفطن المنصور منذ البداية لأخطاء صاحب دعوة الموحدين وبلاياه، فلم يقع فيها وقد علم أن العصمة لا تكون إلا في الأنبياء، وأن المهدي الذي بشر به النبي هو الذي يؤم عيسى بن مريم ويقاتل الدجال –فهو مهتم بالحديث النبوي كما علم– وليس هذا المزعوم بن تومرت، وعلم أن العقيدة السليمة هي التي ترضي الله وتجلب نصره وتجعل المسلم يضحي بالغالي والنفيس من أجلها، فقد قال الله ﷻ: ﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (24) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (25) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ (26)** ﴾[2]، وأن الانحراف عن أصول العقيدة الثابتة كفر، وقد قال الله ﷻ: ﴿ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ﴾[3]، وتجلب الخسران والبوار في الدنيا والآخرة.

ويرى الدكتور حسن جلاب بأن من الأسباب التي شجعت المنصور على إعادة النظر في العقيدة التومرتية هي:

1– الزخم الشعبي ودعمه بعد الانتصار في موقعة الأرك.

2– استنجاد صلاح الدين به أبرز مكانته وقوته في المغرب.

3– اعتماده على الطلبة والحفاظ لمؤازرته، فرفع مكانتهم وقدمهم[4]، من أجل سلامة العقيدة وتماسك الدولة[5].

فلم يكتفِ المنصور بحرق الفروع بل طال الأمر إلى إحراق كتب الفلاسفة وأهل الكلام، حيث رفع إليه الفقهاء ما تحتويه من طامات كما في كتابات بن رشد وأبي عبد الله بنُ إبراهيمَ الأصُوليُّ[6] صاحبه[7]، كما سنذكر ذلك في الأتي بالتفصيل.

---

(1) جلاب، الدولة الموحدية (ص43).

(2) [الرعد: 24–26].

(3) [الزمر: 2].

(4) الدولة الموحدية (ص42).

(5) النجار، المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي (مج2/408).

(6) سيتم تعريف هذين العلمين من الفلاسفة بما يتناسب مع موضوع الدراسة لاحقاً بإذن الله سبحانه وتعالى.

(7) انظر: الأوسي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (ج4/27–30)؛ ابن عذارى، البيان المغرب "قسم الموحدين" (ص225–226)؛ السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج2/193).

وقد كسب المنصور بذلك ثقة الفقهاء وطبقات الشعب، ووضع حداً للانطلاقة الفكرية التي أرسى بن تومرت ركائزها[1].

وما يؤكد ذلك أن الخليفة الموحدي أبا العلا المأمون بن يعقوب المنصور هو الذي أظهر فساد العقيدة التومرتية، حيث أنه لما بايعه الموحدون صعد المنبر بجامع المنصور، وخطب الناس ولعن المهدي، وقال أيها الناس لا تدعوه بالمهدي المعصوم، وادعوه بالغوى المذموم، فإنه لا معصوم إلا الأنبياء ولا مهدى إلا عيسى، وإنا قد نبذنا أمره النحيس به[2]، ثمَّ نزل وَكتب إِلَى جَمِيع الْبِلَاد أمراً بمحو اسْم الْمهْدي من السِّكَّة النقدية[3] وَالْخُطْبَة[4]، وتغيير سنَنه الَّتِي ابتدعها للموحدين وَجرى عَلَيْهَا سلفهم وَأمر بتدوير الدَّرَاهِم الَّتِي ضربهَا الْمهْدي مربعة وَقَالَ كل مَا فعله الْمهْدي وَتَابعه عَلَيْهِ أسلافنا فَهُوَ بِدعَة وَلَا سَبِيل لإبقاء البدع[5]، ونعى عَلَيْهَا النداء للصَّلَاة باللغة البربرية وزيادته فِي أَذَان الصُّبْح وَلله الْحَمد وَغير ذَلِك من السّنَن الَّتِي اخْتصَّ بهَا الْمهْدي[6]، وقد تأثر المأمون بأفكار أبيه المنصور في عملية التغيير والتجديد والإصلاح التي قادها في عقيدة الدولة الموحدية[7] التي تقوم في بعض جوانبها على الضلالات والأوهام والأساطير.

---

(1) جلاب، الدولة الموحدية (ص45).

(2) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس (ص251)؛ السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج238/2).

(3) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس (ص251)؛ السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج238/2)؛ ابن عذارى، البيان المغرب "قسم الموحدين" (ص286).

(4) ابن دقماق، نزهة الأنام في تاريخ الإسلام (ص147)؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس (ص251)؛ ابن عذارى، البيان المغرب "قسم الموحدين" (ص286).

(5) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس (ص251)؛ السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج238/2).

(6) السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج238/2)؛ ابن عذارى، البيان المغرب "قسم الموحدين" (ص286).

(7) يؤكد المؤرخ محمد عبد الله عنان أن المأمون أحدث أعظم انقلاب ثوري في أصول العقيدة الموحدية وتعاليمها، فقد أصابها في الصميم، وقضى بصورة رسمية قاطعة، ببطلان أحداث الأسطورة التي مثلت في جبل إيجليز قبل 112 عاماً، وأعلن فيها محمد بن تومرت أنه المهدي المنتظر، والإمام المعصوم؛ دولة الإسلام في الأندلس (ج372/5).

وهذا هو النص الذي يعنينا من الرسالة المذكورة[1] " ... وقد أزلنا لفظة العصمة عمن لا تثبت له عصمة، فلذلك أزلنا عنه رسمه، فتسقط وتبت، وتمحى ولا تثبت، وقد كان سيدنا المنصورﷺ، هم أن يصدع بما به الآن صدعنا، وأن يرقع للأمة الخرق الذي رقعنا، فلم يساعده لذلك أمله، ولا أجّله إليه أجله، فقدم على ربه بصدق نية، وخالص طوية..."[2]، ويؤكد المؤرخ محمد عبد الله عنان على أن الخليفة يعقوب المنصور، لم يكن من الغلاة وكانت تساوره الأفكار نحو المهدي، ولم يكن مؤمناً بعصمته، فكان عمل المأمون في الواقع، وحسبما يشير إليه كتابه، تنفيذاً لما كان يجيش به والده المنصور، ولم يكن يجرؤ في وقته على المجاهرة به، أو الإقدام على تنفيذه[3]، لقوة الدولة الموحدية، ونفوذ سلطان أشياخ الموحدين[4]، ويؤكد المؤرخ الأستاذ الدكتور راغب الحنفي السرجاني على حقيقة أن عدم اعتراف المنصور بأفكار ابن تومرت يجعله من أهل السنة ومن الفئة الصالحة المصلحة، التي يُحَقِّق الله بها النصر والتمكين لدينه والعزَّة والمنعة لأهله[5].

---

(1) وهذه هي الرسالة المذكورة كاملة: " من عبد الله إدريس أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين، إلى الطلبة والأعيان والكافة، ومن معهم من المؤمنين والمسلمين، أوزعهم الله شكر أنعمه الجسام، ولا أعدمهم طلاقة أوجه الأيام الوسام، وإنا كتبناه إليكم، كتب الله لكم عملا منقاداً، وسعداً وقاداً، وخاطراً سليما، لا يزال على الطاعة قائماً مقيما، من مراكش كلأها الله تعالى، وللحق لسان ساطع، وحسام قاطع، وقضاء لا يرد، وباب لا يسد، وظلال على الآفاق لمحو النفاق بعد، والذى نوصيكم به تقوى الله والاستعانة به، والتوكل عليه، ولتعلموا أنا نبذنا الباطل، وأظهرنا الحق، وأن لا مهدى إلا عيسى بن مريم، وما سمى مهدياً إلا أنه تكلم في المهد، وتلك بدعة قد أزلناها، والله يعيننا على القلادة التي تقلدناها. وقد أزلنا لفظة العصمة عمن لا تثبت له عصمة، فلذلك أزلنا عنه رسمه، فتسقط وتبت، وتمحى ولا تثبت. وقد كان سيدنا المنصور، رضي الله عنه، هم أن يصدع بما به الآن صدعنا، وأن يرقع للأمة الخرق الذي رقعنا، فلم يساعده لذلك أمله، ولا أجّله إليه أجله، فقدم على ربه بصدق نية، وخالص طوية، وإذا كانت العصمة لم تثبت عند العلماء للصحابة، فما الظن بمن لم يدر بأي يد يأخذ كتابه، أف لهم قد ضلوا وأضلوا، ولذلك ولوا وذلوا، ما تكون لهم الحجة على تلك المحجة، اللهم اشهد، اللهم اشهد أنا قد تبرأنا منهم تبرأ أهل الجنة من أهل النار، ونعوذ بك يا جبار من فعلهم الرثيث، وأمرهم الخبيث، إنهم في المعتقد من الكفار، وإنا فيهم كما قال نبيكم عليه السلام " رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا " والسلام على من اتبع الهدى واستقام "؛ ابن عذارى، البيان المغرب "قسم الموحدين" (ص286-287)؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس (ج5/370-371).

(2) ابن عذارى، البيان المغرب "قسم الموحدين" (ص287).

(3) دولة الإسلام في الأندلس (ج5/372).

(4) الدعيج: التاريخ السياسي للمغرب والأندلس، الشريط 9/رقم الشريط 12409، الحلقة 13 (برنامج مسجل).

(5) السرجاني، قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط (ص581).

ولعل من أهم الأسباب التي يراها الباحث في رفض المنصور المجاهرة بالأمر، وإظهار حقيقة دعوة المهدوية الباطلة، **الأسباب التالية:-**

1- أن الدولة الموحدية كان إقليمها يعج بالصراعات الداخلية، من فتن العرب الأفارقة، وثوار بني غانية والميوريقيين[1]، ومشاكل المماليك[2] والأغزاز الترك بقيادة قراقوش[3]، وأن المنصور أعطى اهتماماً بالغاً في الحفاظ على الأمن الداخلي، وليس من الحكمة في هذا الوقت فتح أبواب أخرى تدخل النزاع في الأمور العقدية داخل البيت الموحدي في ظل هذه الفتن، مما قد يتسبب بمفاسد أكثر من المصالح المترتبة[4] على ذلك، وهذا الأمر فيه اقتداء بالخلفاء الراشدين المهديين، فعمر بن عبد العزيز ﷺ عندما سأله ابنه عبد الملك أن يحمل الناس على الحق جملة تعذر باستحكام الباطل وأن الأمر يحتاج إلى التدرج، وإلا عند حمل الناس على الحق جملة سيتركوه جملة.

---

(1) يؤكد الدكتور عصام سيسالم على ذلك فيقول أنه بمجرد موت أبي يعقوب، وبدايات بيعة ابنه أبي يوسف المنصور، استغل علي بن إسحق بن غانية الفرصة، حيث أعلنوا ثورة تهدف إلى اجتياح أرجاء الدولة الموحدية في إفريقية والمغرب والأندلس، حيث كانوا على اتصال بأنصارهم في المغرب وأفريقية؛ انظر: التاريخ الإسلامي لجزر البليار (ص352-353).

(2) المماليك: وهم من الرقيق الذين كانوا يُشْتَرون ويُسْتَخدمون لأغراض عديدة في المجتمعات منذ القدم، ويعتبر الرقيق الأتراك أول من استخدموا في الجندية في الدولة الإسلامية زمن الأمويين، وكانت بلاد ما وراء النهر المصدر الرئيسي للرقيق الأتراك، وفي عصور الإسلام ودوله تزايد إستخدام الأتراك في وظائف الدولة والجيش، وتوسعت أسواق النخاسة البيضاء، وكان فيهم عنصر الأتراك، والشراكسة والروم والأكراد والأوروبيين؛ الصلابي، المغول (التتار) بين الانتشار والانكسار (ص259).

(3) كان قراقوش من موالي تقيّ الدين عمر بن شاه نجم الدين (أخو صلاح الدين)؛ ابن أيوب، توجه إلى المغرب في طائفة من الترك، وأقام دعوة مع مواليه، وكان خارجا عن طاعة عبد المؤمن بن على – خليفة المغرب – وأولاده، فكثرت عساكر قراقوش، وجرت بينهم وبين المغاربة الموحدين حروب كثيرة، وقتل على يد يحيى بن غانية صاحب دعوة لمتونة؛ **ابن واصل**، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب (ج236/1)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (ج44/39)؛ ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر (ج335/5).

(4) وَمِنْ أَدِلَّةِ الْفِقْهِ: قَوْلُ الْفُقَهَاءِ "دَرْءُ الْمَفَاسِدِ أَوْلَى مِنْ جَلْبِ الْمَصَالِحِ، وَدَفْعُ أَعْلاهَا – أَيْ أَعْلَى الْمَفَاسِدِ – بِأَدْنَاهَا، يَعْنِي أَنَّ الأَمْرَ إذَا دَارَ بَيْنَ دَرْءِ مَفْسَدَةٍ وَجَلْبِ مَصْلَحَةٍ، كَانَ دَرْءُ الْمَفْسَدَةِ أَوْلَى مِنْ جَلْبِ الْمَصْلَحَةِ، وَإِذَا دَارَ الأَمْرُ أَيْضًا بَيْنَ دَرْءِ إحْدَى مَفْسَدَتَيْنِ، وَكَانَتْ إحْدَاهُمَا أَكْثَرَ فَسَادًا مِنْ الأُخْرَى، فَدَرْءُ الْعُلْيَا مِنْهُمَا أَوْلَى مِنْ دَرْءِ غَيْرِهَا، وَهَذَا وَاضِحٌ يَقْبَلُهُ كُلُّ عَاقِلٍ، وَاتَّفَقَ عَلَيْهِ أُولُو الْعِلْمِ؛ تقي الدين، مختصر التحرير شرح الكوكب المنير (ج447/4-448).

2- أن الدولة الموحدية كانت تعج بأخطار خارجية كبيرة تهددها من الخارج خصوصاً من ممالك النصارى الإسبان في الأندلس، وقد جاز يعقوب الموحدي من العدوى القصوى إلى بلاد الأندلس ثلاث مرات لدفع هذه الأخطار في غزوة شنترين وغزوة شلب وغزوة الأرك وكذلك طليطلة، فكانت الدولة مشغولةً عملياً بتلك الفتوحات، فلم يكن من الممكن فتح ذلك الباب في هذا الوقت.

ويؤكد الدكتور عصام سيسالم على اجتماع الأخطار الداخلية مع الخارجية، فيذكر أن المنصور الموحدي في ظل مواجهته للعدو النصراني في وقعة الأرك، كان ثوار بني غانية بقيادة يحيى بن غانية قد استولوا على مدينة قابس سنة 591هـ[1].

3- أن العقيدة المهدوية كانت متأصلة في الموحدين وأشياخهم[2]، وعملية إزالتها بالكلية تحتاج إلى وقت وضبط وفق فقه التدرج، وقد راعى المنصور ذلك، فكان منه المبادرة إلى القول والرفض الذاتي، وكتب الله التنفيذ الفعلي على يدي ابنه المأمون.

4- أن الناظر لفقه دولة المنصور يرى أنه حارب أفكار بن تومرت عملياً، ولكن بطريقة غير مباشرة، فحرقه[3] لكتب الفلاسفة وما تحويه من طوام، وإحيائه للكتاب والسنة في واقع دولته، وإزالته للبدع والضلالات عن عقول الناس، لهي البيئة الخصبة اليي وفرها المنصور، والحائط الصلب الذي استند عليه ابنه المأمون في محو العقيدة التومرتية من عقول الناس والدولة والمجتمع[4]، وإلا لما تأتى للمأمون النجاح لولا الجهد الذي زرعه أبوه - في إرجاع الناس للكتاب

---

(1) التاريخ الإسلامي لجزر البليار (ص386-387).

(2) إن المنصور الموحدي لم يعلن صراحة بطلان مادعا إليه بن تومرت، لأن الكثير من الناس ببلاد المغرب الأقصى، لا سيما العامة وشيوخ الموحدين، وزعماء القبائل، قد تعلقوا بدعوة ابن تومرت، واقتنعوا بها، فلو واجههم المنصور بالنقد الصريح أو العمل الجاد للقضاء على دعوة ابن تومرت لنشأ عن ذلك رد فعل خطير من قبل اولئك القوم قد لايستطيع رده أو التصدي له، وهذا بلا شك جعله يكتفي ببيان موقفه منها دون اتخاذ أي خطوات عملية ضدها؛ الصلابي، دولة الموحدين (ص166).

(3) ويبدي الدكتور الشيخ علي محمد الصلابي نظرةً تحتمل رأياً رائعاً حيث يقول أنه لربما قام أبو يوسف يعقوب المنصور الموحدي بحرق كتب الفروع من أجل مؤلفات ابن تومرت والتي أخذ كثير من الموحدين بما فيها دون سواها، ولا يستبعد ذلك عن المنصور، بأن يتم الحرق من أجل مؤلفات ابن تومرت، لكنه لم يستطيع أن يفردها دون غيرها حتى لايثير الناس؛ دولة الموحدين (ص164).

(4) بالرغم من قلة ماقام به المنصور من جهد، أو عمل مضاد لدعوة ابن تومرت، إلا أنَّ عمله حمل نتائج ايجابية وطيبة، حيث أنه بهذا الاجراء كسر السياج الذي أحيط بدعوة ابن تومرت، مما دفع كثيراً من الموحدين إلى التمعن في حقيقة هذه الدعوة ودراستها بموضوعية وانصاف، فتبين لهم حقيقتها وما تحمله من جنوح في تفكيرها مما دفعهم إلى التحلل عن تعاليمها شيئاً فشيئاً؛ الصلابي، دولة الموحدين (ص166).

والسنة وإزالة البدع عن حياتهم طوال فترة حكمه – ليجني ثماره ابنه في تحقيق هذا النجاح الباهر.

ولهذا يقول المؤرخ محمد عبد الله عنان أن عمل المأمون في إزالة رسوم المهدي وتعاليمه، لم يكن له كبير صدى، ولم يترتب عليه أية معارضة أو بوادر انتقاض، وبالعكس فقد أشاد الشعراء بتصرفه، وأزجوا إليه مدائحهم[1] في قصائد عديدة[2].

ويؤكد الدكتور حسن علي حسن بذلك قائلاً: أن العقيدة التومرتية تم إزالتها على مرحلتين الأولى في عهد المنصور وهي مرحلة الضيق والتبرم بدعوى العصمة والاستنكار الخفي دون المجاهرة خوفاً من تصدع بنيان الدولة وتمزقها نتيجة الطعن في الدعوة التي قامت على أسسها، وتعهد جد المنصور وأبيه برعايتها وصيانتها.

الثانية في عهد المأمون وهي مرحلة الهجوم على آراء بن تومرت، وإزالة تعاليم دعوته، والقضاء على سلطة كبار رجال الدولة من أشياخ الموحدين المتعصبين للمهدوية التومرتية[3].

ومما لا شك فيه أن محاربة هذه البدع والضلالات وأصحابها يجلب نصر الله فهو يضيء عقول الناس بنور الحق بعيداً عن الشبهات، كما ويجمع صفوفهم، ويجعل من المجتمع والمسلمين أمة مجيدة نشطة تفهم واقعها جيداً بعيداً عن الأكاذيب، كما يثبت عقيدة التوحيد الحق في قلوب الناس والتي بها نجاتهم وفلاحهم في الآخرة، وكم دجال خرج وأهلك وراءه أمماً بكذبه وخداعه، وقد صدق رسول الله ﷺ حينما قال: "لَيَكُونَنَّ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ الْمَسِيحُ الدَّجَّالُ وَثَلاثُونَ كَذَّابًا وَأَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ"[4].

وبهذا تظهر معالم التجديد الديني والفكري التي أرسى المنصور الموحدي قواعدها وثبت أركانها، وقام ابنه من بعده بتفعيلها بشكل أوضح وأصرح، حتى أن المأمون كما أسلفنا أنكر المهدوية وسب ابن تومرت على المنبر، فكانت إشعاعات المنصور تهدف إلى ترك الفلسفة وما فيها من فساد، والمذاهب وما يترتب عليها من جدال وصراع، ونبذ المهدوية وما فيها من بدع وضلالات وأساطير وأوهام، ورد الناس إلى معين الكتاب والسنة، والتصوف الصحيح.

---

(1) انظر مدح الشعراء له: ابن عذارى، البيان المغرب "قسم الموحدين" (ص287–288).

(2) دولة الإسلام في الأندلس (ج372/5).

(3) انظر: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس (ص461–463).

(4) [الهيثمي: المقصد العلي في زوائد ابي يعلى الموصلي، الفتن/كم كذاب بين يدي الساعة، 424/4–425: رقم الحديث 1862].

الفصل الثاني:
الأسباب الإدارية والحضارية والسياسية لنصر وتمكين الدولة الموحدية في عهد المنصور

المبحث الأول:
منظومة العقيدة الإدارية

أظهر المنصور عقلية إدارية بارعة في منظومة دولته، ظهرت أشكالها الهندسية الفعالة في إدارته لأمور الدولة على جوانب عدة، منها:-

الأولى: اختيار البطانة الصالحة والكفؤة:

كَانَ مجْلِس[1] الْمَنْصُور رَحمَه الله مكون من الْفُضَلَاء[2] والعلماء[3] والأدباء[4] وأرباب المعارف والفنون[5] العلمية[6]، وكان لا يوسد الأمر إلا أهله الذين يتوسم فيهم الصلاح والكفاءة، وذلك لخير دولته ورعيته، فكان يختار الصالحين والمجاهدين والزاهدين لأمر دولته، وقد فهم قول رسول الله ﷺ: "مَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ نَبِيٍّ، وَلاَ اسْتَخْلَفَ مِنْ خَلِيفَةٍ، إِلَّا كَانَتْ لَهُ بِطَانَتَانِ: بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، وَبِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، فَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللَّهُ تَعَالَى"[7]، وفي رواية: "ما من والٍ إلا وله بطانتان؛ بطانة تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر، وبطانة لا

---

(1) يقول المؤرخ محمد المنوني أن المجامع التي كان يعقدها خلفاء الموحدين مع كبار العلماء في مختلف الفنون، كانت حافلة بالمذاكرة والمناظرة في أنواع العلوم؛ انظر: العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين (ص39-45).

(2) كان من جلساء المنصور أَبُو الْوَلِيد الشقندي، لهُ رِسالةً فِي الْأَدَب، وَكَانَ شَاهدا عدلا يتَوَلَّى الْقَضَاء فِي مثل بياسة وأبدة، وتفنن فِي الْعُلُوم الْقَدِيمَة والحديثة؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب (ج1/218-219).

(3) من الْفُقَهَاء الَّذين كَانُوا يجالسونه ويسامرونه الْفَقِيه الْحَافِظ أَبُو بكر بن الْجد والفقيه القَاضِي أَبُو عبد الله بن الصَّقْر وَغَيرهم؛ السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج2/201).

(4) كان من جلساء المنصور أبو الحسن علي بن سعد الخير وَكَانَ حسن التَّعْلِيم والتفهيم عَالما بِالْعَرَبِيَّةِ والنحو واللغة والآداب إِمَامًا فِي ذَلِك وَكَانَ من أحسن النَّاس خطا وأجودهم ضبطا كَاتبا بليغا شَاعِرًا مجيدا، وَقد كتب لبَعض الْوُلَاة وَله كتب وشروحات؛ ابن سعيد، رايات المُبرَّزين وغايات المميزين (ص208)؛ ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة (ج3/212).

(5) كان من جلساء المنصور أبو جعفر أحمد بن عتيق الذهبي من العلماء والفقهاء القراء الأدباء وكان ماهراً في كل فنون العلوم النظرية، وقَدَّمه المنصورُ للشُّورى والفَتْوى في القضايا الشّرعية، وتوفي بتلمسان سنة 601هـ وهو قاصداً للجهاد مع جيش المغرب؛ ابن سعيد، رايات المُبرَّزين وغايات المميزين (ص207)؛ ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة (ج1/85)؛ الأوسي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (ج1/456-457).

(6) السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج2/201).

(7) [البخاري: الصحيح الجامع، الأحكام/بطانة الإمام وأهل مشورته، 77/9: رقم الحديث 7198].

تألوه خبالاً؛ فمن وُقِيَ شرَّها فقد وقي، وهو من التي تغْلِبُ عليه منهما"[1]، ويمكن تقسيم اختيار المنصور للأكفاء والصالحين حسب نوع الوظيفة إلى قسمين:-

1- الوظائف العامة: ومن أقسامها:

أ- الوزراء: كان وزير المنصور الشيخ العالم الفاضل أبي حفص عمر بن أبي زيد إينتي حتى توفي، ثم ولى بعده أبو يحيى أبو بكر بن عبد الله بن أبي حفص عمر إينتي الذي استشهد -رحمه الله- ببلاد الروم في وقعة الأرك الكبرى فقد كان في مقدمة الجيوش؛ ثم وقع الاختيار على أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن الشيخ أبي حفص، وهو ابن عم الوزير الشهيد أبي يحيى، فقام بالوزارة أيامًا يسيرة، ثم تركها مختارًا وهرب إلى نواحي إشبيلية؛ فخلع ثيابه ولبس عباءة وتزهد؛ فأرسلوا إليه من رده؛ وأعفوه من الوزارة[2]، وإن أمثال هذه النخبة من الوزراء الذين يكون منهم العالم الصالح، والمجاهد الشهيد، والزاهد في الأمر... لنعم الحاشية المخلصة للسلطان، وهذا من حسن توفيق الله وتنزيل النصر على عباده، فقد قال رسول الله ﷺ: " من ولي منكم عملا، فأراد الله به خيرا جعل له وزيرا صالحا إن نسي ذكره، وإن ذكر أعانه"[3].

ب- القضاة: يقول المفكر والأديب محمد رشيد ملين: "أن اختيار المنصور لقضاته لم يكن مبنياً إلا على ما يعلمه من كفاءتهم واستحقاقهم للقيام بخطتهم أحسن قيام، فإذا لم يتحقق بأهلية أحد لذلك، ترك للأمة نفسها تعيين من ترتضيه حامياً لحقوقها"[4].

عندما عقدت للمنصور البيعة كان والي أمور القضاء القاضي أبو محمد عبد الحق الاشبيلي[5] وقد توفي سنة 581هـ[6]، وأما قضاته من بعد فكان منهم، المحدث العالم أبو جعفر أحمد بن

---

(1) [النسائي: السنن الكبرى، السير/بطانة الإمام 83/8: رقم الحديث 8703].

(2) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص193).

(3) [النسائي: السنن الكبرى، البيعة/وزير الإمام، 191/7: رقم الحديث 7779].

(4) عصر المنصور الموحدي (ص102).

(5) له كتاب "الأحكام الصغري" و"الوسطى" وأيضا كتاب "الأحكام الكبري"، وولي خطابة بجاية، ذكره الحافظ أبو عبد الله البلنسي الأبار، فقال كان فقيها، حافظا، عالما بالحديث وعلله، عارفا بالرجال، موصوفا بالخير والصلاح والزهد والورع ولزوم السنة والتقلل من الدنيا قام بعمل "الجمع بين الصحيحين" بلا إسناد على ترتيب مسلم، وأتقنه، وجوده، قال الأبار وله مصنف كبير جمع فيه بين الكتب الستة، وله كتاب "المعتل من الحديث" وكتاب "الرقاق"؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (ج111/41-112).

(6) الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية (ص15).

مضاء[1]، وأبو عبد الله محمد بن علي بن مروان[2]، ثم ولى بعده أبا القاسم أحمد بن محمد، رجلا من ولد بَقِيّ بن مخلد الفقيه المحدث الذي يروي عن أحمد بن حنبل[3]، واستقضى المنصور على مدينة بلنسية[4] أحمدُ بن أبي الحَسَن[5] القَيْسيُّ[6]، كما ولَّى المنصور قضاء فاس العالم هبة الله بن الحسين المصري، ثم ولاه على قضاء أفريقية – تونس حالياً–، وولي قضاء فاس محمد بن عبد الله بن طاهر[7]، وكان المنصور يكرمه بالعطايا ويجزيه الأموال الوفيرة[8]، كما ولَّى عَبْد اللَّه

(1) قُلِّد أبو جعفرٍ أحمد بن عبد الرحمن ابن مضاء اللخمي قضاءَ الجماعة زمن أبو يعقوبَ بن عبد المؤمن، ولما صار الأمرُ إلى ابنِه أبي يوسُفَ يعقوبَ المنصور، فأقرَّه على قضاء الجماعة، ثم استقَرَّ بإشبيلِيَةَ يُسمِعُ الحديث ويؤخَذُ عنه ضروبُ ما كان عندَه من علوم الفقه، وتبع الخليفة المنصور يعقوب في حركته إلى إفريقية، وكان من كبار نبهاء قرطبة؛ الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص578–579)؛ الأوسي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (ج1/402–403).

(2) قد تقدم معنا أمر هذا القاضي الذي بالغ في إقامة منار العدل، حيث أشار على المنصور برد أخته إلى زوجها، وإلا فسيعتزل القضاء، فوافق المنصور على ذلك، وكان نعم القاضي الذي يؤز الخليفة في الطاعة.

(3) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص194).

(4) بلنسية: مدينة بحرية قديمة فسيحة سهلية حصينة مشهورة تقع على ساحل خليج بحر الروم، بالأندلس شرقي قرطبة، وتعرف بمدينة التراب، وهي ذوات نعم، وبها بساتين وجنات كثيرة، وثمار متنوعة، ونهر جاري، وهي طيبة التربة والبحر، عامرة السكان، كثيرة التجارات، وينسب إليها جماعة من أهل العلم والصلاح، سقطت بيد الفرنج نهائياً سنة 636هـ، واستولى عليها ملك أراجون جاقمه؛ مجهول، حدود العالم من المشرق الى المغرب (ص183)؛ الحموي، معجم البلدان (ج1/490–491)؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد (ص513)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج1/220)؛ الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص97)؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس (ص47–49).

(5) وكان وجيهاً، قَديراً، فاضلاً، كاملَ الاستقلال بعلم الحديث حافظًا له متَّسعَ الرّواية، ثقةً عَدْلًا ضابطًا، نبيلَ الخَطّ، حريصًا على الإفادة والاستفادة عالماً بالعربيّة والأَدبِ والتاريخ والنسَب، معَ الدِّين المتين، استُقضيَ ببَلَنْسِيَةَ بتقديم المنصُور أبي يوسُفَ وعُرِف بالعدالة والذّكاء وإعداءِ المظلوم على الظالم ورَدْع المُفسِدين وإقامةِ الحقّ والصَّدْع به؛ الأوسي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (ج1/337).

(6) الأوسي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (ج1/335).

(7) كان واعظاً صوفياً، وكان له معرفة بأصول الفقه وأصول الدين، اتصل بأمير المؤمنين أبي يوسف سنة 587هـ، فحظي عنده وكانت له منه منزلة كريمة؛ المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص230).

(8) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص230).

بن سُلَيْمَان بن دَاوُد[1] قضاء إشبيلية وقرطبة ومرسية[2]، وسبتة وسلا وميورقة[3].

وإن ملكاً قضاته من العلماء المحدثين، والصالحين، والذين لا يخشون في الله لومة لائم، وكما قال النبي ﷺ: "الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ"[4]، وقال النبي ﷺ: "الْقُضَاةُ ثَلَاثَةٌ: قَاضِيَانِ فِي النَّارِ، وَقَاضٍ فِي الْجَنَّةِ، فَأَمَّا اللَّذَانِ فِي النَّارِ فَرَجُلٌ جَارَ مُتَعَمِّدًا فَهُوَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ اجْتَهَدَ، فَأَخْطَأَ فَهُوَ فِي النَّارِ، أَمَّا الَّذِي فِي الْجَنَّةِ فَرَجُلٌ اجْتَهَدَ، فَأَصَابَ الْحَقَّ فَهُوَ فِي الْجَنَّةِ. قَالَ قَتَادَةُ: فَقُلْتُ لِأَبِي الْعَالِيَةِ: مَا ذَنْبُ هَذَا الَّذِي اجْتَهَدَ، فَأَخْطَأَ؟ قَالَ: ذَنْبُهُ أَنْ لَا يَكُونَ قَاضِيًا إِذَا لَمْ يَعْلَمْ"[5]، ففهم المنصور الأمر وأنه تكليف ثقيل فالتزم تحري الحق ما أمكن، فسلك القضاء به تقوم منار العدل والحق، وبه يستوجب نصر الله، فالله يحب المقسطين، وقد أمر بالعدل.

ج- الولاة: لما قَدَّم أبو يوسُفَ المنصورَ بَنِيه وصِغارَ إخوتِه وبني أعمامِه وذوي قَرابتِه وُلاةً في البلاد ترشيحًا لهم وإشادةً بمكانتِهم لديه وتنبيهًا لقَدْرِهم، ووافَقَ ذلك فَصْلُ شدّة القَيْظ، فأنكَرَ ذلك أبو العبّاس[6] وأنكَره غيرُه من رُؤساءِ الدولة، فسَنَحَ له أو سُئل منه الاحتيالُ في فَسْخ ذلك التقديم فكان فعلُ أبي العبّاس هذا سببًا في فَسْخ ذلك التقديم وصَرْف أولئك الأصاغِرِ عن تلك الوِلايات في البلاد[7]، وتولية الأكفاء بدلاً منهم.

---

(1)هو الحافظ الإمام المتقن محدث الأندلس، أبو محمد بن حوط الله الأنصاري، اعتنى بالطلب، وألف كتابًا في تراجم رجال كتب الحديث الخمسة، ولم يكن في زمانه أكثر سماعًا منه، وَكَانَ فقيهاً، عالماً،، خطيباً، بيغاً، ورعاً، أديباً، خَطِيْباً، بارعاً، كاتباً، شَاعِراً، نَحْوِيّاً، حميد السيرة، محبوباً، تَصَدَّرَ لِلْقِرَاءاتِ وَالعَرَبِيَّةِ، أَقرَأ الْقُرْآن والنحو بقرطبة، وكان عادلاً، ديناً فاضلاً، من العلماء العاملين، سنّيًا، مجتهداً، ظاهري الطريقة، شجاعاً في الحق، مجانبا لأهل البدع والأهواء؛ انظر: الذهبي، تذكرة الحفاظ (ج128/4)؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج78/16)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج106/17)؛ ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة (ج318/3).

(2) الذهبي، تذكرة الحفاظ (ج128/4)؛ ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة (ج317/3-318).

(3) ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة (ج318/3).

(4) [ابن حنبل: المسند، تتمة مسند الأنصار/حديث أبي مسعود الأنصاري، 43/37: رقم الحديث 22360].

(5) [ابن جعد: المسند، قتادة عن غير واحد، ص155: رقم الحديث 989].

(6) أبو العبّاس/أبو جعفرٍ أَحْمَد بْن يحيى بن أحمدَ بن سُعود العَبْدَريُّ القُرْطُبيّ، نَزَل مَرّاكُش، وكان محدثاً، عالماً متبحراً متصدراً، أديباً، كاتبًا، بليغًا، مفوَّهًا، ظريفًا، قويّ العارِضة، مقبولاً عندَ الأُمراءِ، وعندَ الخاصّةِ والعامة، وكان جريئاً على الأُمراء من آل عبد المؤمن في تشنيع أحوالِهم فاستَثْقلوهُ منه، وكان في آخر عمره خاملاً، وتوفِّي سنة 599هـ، عن عمر 80 سنة؛ الأوسي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (ج741/1-744)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (ج380/42-381).

(7) الأوسي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (ج742/1-743).

د- المساعدين الإداريين في الدولة:

-الكتبة: وَمن كُتَّابِ المنصور الْكَاتِب البارع أَبُو الْحسن عبد الْملك بن عَيَّاش[1] الْقُرْطُبِيّ[2]، إلا أن هذا الكاتب توفي سنة 568هـ حسب أكثر من رواية تاريخية في المصادر والمراجع[3]، ونحن نعلم أن دولة المنصور الموحدي بدأ عهدها في سنة 580هـ، ويذكر صاحب كتاب المعجب في تلخيص أخبار المغرب أنَّ أَبَا الْحسن عبد الْملك بن عَيَّاش كتب في عهد عبد المؤمن بن علي وابنه يوسف، وأن أَبَا الحسن علي بن عياش بن عبد الملك بن عياش كتب في عهد الناصر[4] وبهذا أشار محمد عبد الله عنان[5]، وعليه يمكن الجمع بين الروايات وأن الأقرب للصحة أن أبو الحسن علي بن عياش بن عبد الملك بن عياش من الممكن أن يكون هو من كتب في عهد المنصور والناصر، فوقع المؤرخ السلاوي في خطأ تأريخي دون قصد في وضع أبو الحسن الجد، وغفلة وضع أبو الحسن الحفيد، والله أعلم.

وكذلك من كتاب يعقوب المنصور الفقيه البارع أَبُو الْفضل بن طَاهِر من أهل بجاية[6]، المعروف بسعة الرواية، وغزارة الحفظ، وذكاء النفس؛ لم يزل كاتبًا له إلى أن توفي، وكان من كتبة المنصور أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز التجيبي، وأيضاً كتب للمنصور أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن عياش[7] .....

---

(1) أبو الحَسَن عبدُ الملِك بن عَيّاش بن فَرَج الأَزْديُّ، القُرطُبيٌّ، وكان أديبًا كاتبًا بليغًا، شاعرًا جِيدًا، بارعَ الخَطّ جميلَ الوِراقة، رَوى الحديث، وكان مستقيماً زاهداً وَرَعاً فاضلاً فقيهاً، مجتنباً الفتن، منقطعًا إلى العبادة، كتب لعبد المؤمن بن عليّ، وأبي يعقوبَ بن عبد المؤمن، ونال دنيا وثروة من الدولة، توفّي مريضاً سنة 568هـ، وقد ندم على تجاوزاته؛ الأوسي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (ج3/20-24)؛ موقع الموسوعة الشعرية، معجم الشعراء العرب (ص672)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (ج39/320-321).

(2) السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج2/201).

(3) انظر: الأوسي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (ج3/20-24)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (ج39/320-321)؛ موقع الموسوعة الشعرية، معجم الشعراء العرب (ص672).

(4) المراكشي، (ص229).

(5) دولة الإسلام في الأندلس (ص326).

(6) الأوسي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (ج5/134).

(7) أَبُو عَبْد اللَّه مُحَمَّد بن عَبْد الرَّحْمَن بن عَيَّاش الْأَنْدَلُسِيّ المَغْرِبِيّ: كاتبُ السِّر للدَّوْلَة المؤمنية، فكَانَ حَميد السَّيرة، حسنَ الطّريقة، بارعًا في الْأدب، علّامةً في فنّ الإنشاء، وتوفي سنة 619هـ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (ج44/461).

من أهل بُرشانة[1]، من بلاد الأندلس[2]، ويذكر الدكتور حسن علي حسن أن هؤلاء الكتاب قاموا بدور مهم في دعم وظيفة الكتابة بما اكتسبوه من خبرة وثقافة ومعرفة من الأندلس[3].

-**الحجبة:** أما حاجب المنصور فكان عنبر الخصي ثم وليها ريحان الخصي[4]، وعمل الحجاب على تنظيم الصلة بين الحكام والرعية[5].

2- الوظائف الخاصة: ومن أقسامها:

أ- **الأطباء:** حرص المنصور على استخدام الكفاءات في سلطان حاشيته؛ فمن أطباء الْمَنْصُور الْوَزِير الطَّبِيب الشهير أَبُو بكر بن طفيل[6] صاحب الصناعة في الطِّبّ والجراحات[7] وَابن زهر الإيادي[8]، أحد جلساء المنصور وخواصه[9]، وَكَانَ ممن قد خدم المنصور بصناعة الطِّبّ كثير

---

(1) بَرْشانَة: قرية حصينة تقع في إشبيلية بالأندلس، على مجتمع نهرين، وهي من أمنع الحصون مكاناً وأوثقها بنياناً وأكثرها عمارة؛ الحموي، معجم البلدان (ج384/1)؛ ابن الخطيب، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار (ص106)؛ الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص88)؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس (ص42).

(2) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص193)؛ حسن: حسن علي، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس (ص119).

(3) الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس (ص116).

(4) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص193).

(5) النجار، المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي (مج355/2).

(6) أبو بكر محمدُ بن عبد الملِك بن محمد بن طُفَيْلٍ القَيْسيُّ، الحِلْيَانيٌّ: وكان فقيهًا وشاعراً أديباً، فيلسوفاً، ألف في الفلسفة كتابه الشهير (حي بن يقظان)؛، وكان كثير من العُلَمَاء يفضلونه على فيلسوف الأندلس أبي بكر ابْن باجة، وكانت بينه وبين ابن رُشْد (الفيلسوف)؛ مراجعات ومباحث، وكان طبيبًا حاذقًا، عمل طبيباً في غرناطة، وَكَانَ يُوسُف بن عبد الْمُؤمن يجالسه ويستفيد مِنْهُ وَلما مَاتَ يُوسُف اتهمَ بِأَنَّهُ سمه فوضع تحت الإقامة الجبرية في منزله، ولد أبو بكر سنة 494هـ، وتوفي بمراكش سنة 581هـ، وحضر السلطان المنصور جنازته؛ الزركلي، الأعلام (ج249/6)؛ الأوسي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (ج444/4)؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب (ج85/2)؛ موقع الموسوعة الشعرية، معجم الشعراء العرب (ص183).

(7) السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج201/2)؛ الجيوسي، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس (ج1105/2).

(8) أخذ صناعة الطبّ عن أبيه عبد الملك، وباشر أعمالها ففاق فيها أهل زمانه وخدم بها دولة دولة الموحدين، ومات في أول دولة الناصر محمد، وكان حسن المعالجة جيد التدبير لا يماثله أحد في ذلك، وكان صحيح البنية قويّ الأعضاء، وبلغ الشيخوخة ولم يفقد قوة عضو من أعضائه إلا ثقل في السمع اعتراه في أواخر عمره؛ الحموي، معجم الأدباء (ج201/6).

(9) ابن سعيد، رايات المُبرِّزين وغايات المميزين (ص56).

منهم أَبُو الْحجَّاج ابْن موراطير[1]، وأَبُو مَرْوَان عبد الْملك بن قبلال[2]، وأَبُو يحيى بن قَاسم الإشبيلي[3]، وأَبُو الحكم بن غلندو[4]، وأَبُو جَعْفَر أَحْمد بن حسان[5]، وأَبُو جَعْفَر بن الغزال[6]، وابْن الحلاء المرسي[7]، فكانوا قريبين من المنصور ووجهاء عنده[8].

ب- المعلمين: اختار المنصور عليُّ بن محمد بن يوسُفَ، أبو الحَسَن الفَهْميُّ[9] وأمَّره على تعليم أولاده وألزمه تعليم بناته بعد أن اختبر أحواله وامتحن صدقه وصونه وعفافه، وأغناه عن السؤال[10]

---

(1) هو الأديب الشاعر يُوسُف بن موراطير كَانَ فَاضلا فِي صناعَة الطِّبّ خَبِيرا بهَا مزاولا لأعمالها مَحْمُود الطَّرِيقَة حسن الرَّأْي عَالما بالأمور الشَّرْعِيَّة وَسمع الحَدِيث وَقَرَأَ الْمُدَوَّنَة، وَكَانَ حظيا عِنْد الْمَنْصُور مكينا عِنْده رفيع الْمنزلَة، يدخل على المجلس الخاص بالأشياخ لمذاكرة العربية؛ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء (ص533-534).

(2) وَكَانَ جيد النّظر فِي الطِّبّ حسن العلاج؛ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء (ص534).

(3) كَانَ فَاضلا فِي صناعَة الطِّبّ، خَبِيرا بقوى الْأَدْوِيَة المفردة والمركبة، كثير الْعِنَايَة بهَا، وَكَانَ صَاحب خزانَة الْأَشْرِبَة الَّتِي يَأْخُذهَا الْخَلِيفَة الْمَنْصُور من عِنْده وَكَذَلِكَ كَانَ وَالِده فِي خدمَة أبي يَعْقُوب وَالِد الْمَنْصُور؛ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء (ص534).

(4) كان أديبا شَاعِرًا، متميزا فِي صناعَة الطِّبّ مَحْمُود الطَّرِيقَة، وَكَانَ مكينا عِنْد المنصور وجيها فِي دولته، وَكَانَ ابْن غلندو صَاحب كتب كَثِيرَة وَيكْتب خطين أندلسيين؛ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء (ص534-535).

(5) نشأ بغرناطة واشتغل بصناعة الطِّبّ، وأجاد فِي عِلْمِهَا وعَمَلِهَا، وَلِأبي جَعْفَر بن حسان من الْكتب كتاب تَدْبِير الصِّحَّة أَلفه للمنصور؛ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء (ص535).

(6) أتى إِلَى الْحَفِيد أبي بكر بن زهر ولازمه حق الْمُلَازمَة وَقَرَأَ عَلَيْهِ صناعَة الطِّبّ وعَلى غَيره حَتَّى اتقن الصِّنَاعَة، وَكَانَ الْمَنْصُور يعْتَمد عَلَيْهِ فِي الْأَدْوِيَة المركبة والمعاجين ويتناولها مِنْهُ؛ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء (ص536).

(7) كَانَ مَوْصُوفا بجودة الْمعرفَة بصناعة الطِّبّ؛ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء (ص537).

(8) انظر: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء (ص533-537).

(9) وكان حافظًا للقرآنِ العظيم مجوّدًا لهُ عارفًا بالقراءاتِ قائمًا عليها، آيةً من آياتِ الله في حُسنِ الصَّوت، آخِذًا بطَرَف صالح من العربيّة، ذا حَظّ من روايةِ، الحديث، ذَكِيًّا فَهِمًا يَقِظًا ضَريرًا؛ الأوسي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (ج3/336-337).

(10) حيث كانت كُبرى ديارِ أبي الحَسَن الفَهميّ لرجل اجتازَ به أبو الحَسَن الفَهْميُّ وتكفَّفَه فلم يُجْرِ اللهُ له على يدِه شيئًا، وانصَرفَ من عندِه خائبًا؛ ثم دارتَ الأحوالُ وافتقر صاحب الدار فباع الدار وتداوَلَها المُلّاكُ إلى أنْ صارت إلى أبي الحَسَن الفَهْمي؛ وبينَا هو قاعدٌ يومًا بمَدخلِها عَرَضَ له ذلك الذي كان صاحب الدار الأول بالسؤال، فعَرَفَه أبو الحَسَن وأكرم عطائه، فانصرَفَ الرجل، وحمِدَ الله أبو الحَسَن على ما خَوَّله من نِعَمِه، فسبحانَ مُديلِ الأمور الفَعّال لِما يريد؛ الأوسي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (ج3/338-339).

بالأموال الجزيلة والفضل الواسع[1]، كما قرأ بعض أولاد المنصور على محمدُ بن إبراهيمَ الرُّعَيْنيُّ[2] بمَرّاكُشَ[3]، واستأدب المنصور لبنيه عبد الله بن أحمد اللخمي[4]، فانتفعوا بتعليمه لتجويده وإتقانه ومعرفته بالقراءات وطرقها ومشاركته فِي الْعَرَبيَّة والآداب، فقد كَانَ مهيبًا فِي تأديبه مشددًا عَلَى تلاميذه [5]، وكذلك استأدب المنصور لبنيه الإمام الحافظ عبد الله بن سليمان بن داوود بن حوط فأقرأهم بمراكش وأدبهم[6].

ج- النساء: جعل المنصور حفصة بنت الحاج الرّكوني[7]، وكانت أستاذة وقتها، تعلم النساء في دار المنصور[8]، وَكَانَت أُخْتُ أبي بكر بن زهر وابنتها[9]، تدخلان إِلَى نسَاء الْمَنْصُور وَلَا يقبل للمنصور وَأَهله ولدا إِلَّا أُخْت الْحَفِيد أَو بنتهَا لما توفيت أمهَا[10]، فكان هناك نصيب كبير للاعتناء بثقافة المرأة[11]، وهذا يؤكد مشاركة المرأة في بعض الأعمال التي تليق بها في الحياة العامة[12]، إذ كانت تشارك في الأعمال التي لا يصلح لها إلا نساء، مما يبين فهم المنصور لدين الله وورعه فيه.

---

(1) الأوسي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (ج3/336-337).

(2) وكان متحقِّقًا بعلوم اللِّسان نَحْويًّا ماهرًا، أديبًا بارِعًا، شاعرًا مُجيدًا، كاتبًا بليغًا، طيّبَ النَّفْس حَسَنَ الأخلاق، جميلَ المُعاشَرة فاضلَ الطِّباع، وله اختصاراتٌ في كثيرٍ من كُتُب العلم والآداب والتواريخ، كـ "اختصارِ تفسير القرآن"؛ الأوسي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (ج4/105).

(3) الأوسي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (ج4/105).

(4) يكنى أَبَا مُحَمَّد وَيعرف بِابْن علوش، من أَهْل إشبيلية وَسكن مَرّاكُش، سمع من جده، وَمن أَبِي بَكْر بْن الْعَرَبِيّ، وَأخذ الْقرَاءَات عنْ أَبِي الْحَسَن شُرَيْح، وَأخذ عَنْهُ ابْنُ الطيلسان، وروى عَنْهُ عنْ شُرَيْح عنْ بْن حزم، تُوفِّي سنة 599هـ؛ ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة (ج2/283).

(5) ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة (ج2/283).

(6) الذهبي، تذكرة الحفاظ (ج4/128)؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج16/78)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج17/106)؛ ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة (ج3/317).

(7) من أهل غرناطة، الشاعرة الأديبة المشهورة بالجمال، والحسب والمال، وكانت نبيلة، جيّدة البديهة، سريعة الشعر؛ انظر: ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة (ج1/277)؛ المقري، نفح الطيب (ج4/171)؛ حسن: حسن علي، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس (ص362).

(8) ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة (ج1/280).

(9) حيث كانتا عالمتين بصناعة الطِّبّ والمداواة وَلَهُمَا خبْرَة جَيِّدَة بِمَا يتَعَلَّق بمداواة النِّسَاء؛ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء (ص524).

(10) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء (ص524).

(11) النجار، المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي (مج2/531).

(12) حسن: حسن علي، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس (ص363).

إنَّ المسؤولية وأمور الحاشية والسلطان لتحتاج إلى القوة، فلا تكفي الأمانة والصلاح فقط، بل لا بد من حسن الإدارة وكفاءة العمل، وما إلى ذلك، وقد قال رسول اللهﷺ: "يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةُ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا"[1]، والبطانة الصالحة هي التي تستجلب النصر، وأما زوال الممالك والدول[2] فقد يكون لسوء البطانة وظلمها.

الثانية: مباشرة أمور الرعية:

حيث كان المنصور في أول أمره يريد السير على سنن الخلفاء الأول..[3]، امتثالاً لقول النبي ﷺ: "عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ بَعْدِي عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ"[4]، فكان المنصور يجلس بنفسه لقضاء حوائج العامة وسماع شكواهم، من صلاة الضحى إلى قرب الزوال في المسجد الجامع يقضي حوائج الناس ويسمع شكاواهم ودعاواهم في الأعيان والوجهاء[5]، لا يُحجَب عنه أحد صغير أو كبير؛ حتى اختصم إليه رجلان في نصف درهم، فقضى بينهما[6]؛ لكنه وجد العامة تثير الصخب والغوغاء وتدعي ما ليس لها، فترك المجلس ظاناً بأنه لا فائدة منه[7]، فأصبح يجلس في أيام مخصوصة لمسائل مخصوصة، لا ينفذها غيره[8]، وقد علمت الرعية حقيقة اهتمام المنصور بشئونها، وسماعه لشكاواها.

---

(1) [مسلم: المسند الصحيح، الإمارة/كراهة الإمارة بغير ضرورة، ج1457/3: رقم الحديث 1825].

(2) سئل بعد شيوخ بني أمية عن سبب زوال دولتهم؟، فقال: "إنا شغلنا بلذاتنا عن تفقد ما كان تفقده يلزمنا.. ووثقنا بوزرائنا، فآثروا مرافقهم على منافعنا، وأمضوا أمورا" دوننا أخفوا علمها عنا.. وكان استتار الأخبار عنا من أوكد أسباب زوال ملكنا".

(3) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص207).

(4) [المروزي: السنة، ذكر السنة على كم تتصرف، ص27: رقم الحديث 72].

(5) ابن عذارى، البيان المغرب "قسم الموحدين" (ص172-173).

(6) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص208)؛ حسن: حسن علي، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس (ص174).

(7) ابن عذارى، البيان المغرب "قسم الموحدين" (ص172-173).

(8) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص208).

فرفعت إليه الأديبة الشاعرة الشِّلْبيّةُ[1] مشتكية بأبياتٍ من الشعر[2] تتظلم فيها على ولاة بلدها وصاحب خراجها[3]، فيقال: إنها ألقيت يوم الجمعة على مصلى المنصور، فلما وقف على حقيقتها، أمر للمرأة بصلة[4].

الثالثة: متابعة الوظائف العامة:

اعتمد المنصور في متابعة علاقة الرعية مع السلطات العامة للدولة أساسين قام بتنظيمهما، كي تحصل الفائدة المرجوة منها:

1- الرقابة على السلطات العامة: وكانت على نوعين:-

أ- الرقابة الشخصية: اهتم المنصور بالرقابة الذاتية على أولي الأمر، فعندما وَلَّى أبا القاسم بن بقي بن مخلد القضاء، اشترط عليه أن يكون حاضراً بحيث يسمع حكمه في جميع القضايا؛ فكان المنصور يجلس في موضع بينه وبين القاضي سِتْرٌ من الألواح[5]، وكان المنصور يذهب إلى بيمارستان مراكش كل جمعة، يتفقد أحوال المرضى، ويسألهم عن أحوال القائمين عليهم، إلى غير ذلك، ثم يخرج، واستمر على هذا حتى توفي رحمه الله[6]، فامتثل لقول الله ﷻ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ﴾[7]، ومراقبة الولاة هي من هدي النبي ﷺ، والخلفاء الراشدين ﷺ، وهي مما يحفظ أمور العباد والبلاد ويحقق نصر الله، فلا تقع المكائد والنزاع والضغائن، طالما الحقوق مستردة، والظلم مقيد.

---

(1) لم يقف الباحث على اسمها أو أي ترجمة خاصة بها.

(2) قد آن أن تبكي العيونُ الآبِيهْ ... ولقد أرى أنّ الحجارةَ باكيهْ
يا قاصدَ المِصر الذي يُرجَى بهِ ... إنْ قدَّر الرّحمنُ رفْعَ كراهيهْ
نادِ الإمامَ إذا وقَفْتَ ببابِهِ: ... يا راعيًا إنّ الرعيّةَ فانيه
أرسلتَها هَمَلًا ولا مرعى لها ... وتركتَها نَهْبَ السِّباع العافيهْ
شِلبٌ كلا شِلبٍ وكانت جَنّةً ... فأعادها الطاعونُ نارًا حاميهْ
خافوا وما خافوا عقوبةَ ربِّهمْ ... واللهُ لا تخفي عليه خافيهْ؛
الأوسي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (ج5/428).

(3) الأوسي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (ج5/428).

(4) المقري، نفح الطيب (ج4/294).

(5) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص208).

(6) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص210)؛ بك، تاريخ البيمارستانات في الإسلام (ص281).

(7) [المائدة: 8].

ب- الرقابة من خلال الرعية: حيث أمر المنصور أن يدخل عليه أمناء الأسواق وأشياخ الحضر مرتين في الشهر، يسألهم عن أسواقهم وأسعارهم وحكامهم، وإذا ما وفد عليه أهل بلد فأول ما يسألهم عن عمالهم وقضاتهم وولاتهم؛ فإذا أثنوا خيرًا قال: اعلموا أنكم مسئولون عن هذه الشهادة يوم القيامة؛ فلا يقولن امرؤ منكم إلا حقًّا[1]، ويتلو عليهم قوله تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ** ﴾[2]، ولما رجع المنصور من غزوة الأرك سنة 591هـ سأل الشيخ أبا بكر بن هانئ عن أحوال البلد وأحوال قضاته وولاته وعماله -على ما جرت عادته- حتى فرغ من جوابه[3]، كما ضمنت كتبه لولاته التأكيد على العدل مع الرعية بإرضائهم وقضاء حقوقهم، وكف الظالمين عنهم، بل أباح للمظلومين بجواز البحر لرفع شكواه إليهم، فحسنت أحوال البلاد، وتوالى الناس يدعون له، فجعل الله قبوله في الأرض[4]، وهذا يبين مدى اهتمامه برعيته، وولاته، وممارسته لمهمة المحتسب[5] بنفسه.

3: محاسبة السلطات العامة: فقد كان المنصور يعزل الولاة والقضاة الظالمين، ويمنعهم عن الاستمرار في مسؤوليتهم، لكي تبقى البطانة صالحة صافية، لا تعكرها الشوائب فتبقى محبة الله ورضوانه ونصره على عباده مستمراً.

ومن ذلك لما وصل المنصور إشبيلية وهو في طريقه لقتال الروم أخذ يسأل عن أحوال الناس مع ولاتهم، فأمر بالقبض على ابن سنان لما علم أنه ولى الأدبار في وقعة حصن المنار فسلبه أمواله، ثم أمر بإزالة المنكرات والملهيات في حاضرة إشبيلية[6]، وهذا ما يدل على فساد ابن سنان، وفراره يوم الزحف وتوليه الأدبار حيث يتبوأ بذلك غضب من الله، وقد فهم المنصور أن هذا من أسباب الهزيمة، فامتثل لقول الله تعالى: ﴿ **يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ** ﴾[7]، ليحافظ على النصر، وهذا يدلل على التقوى والخوف من غضب الله عز وجل.

---

(1) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص204)؛ حسن: حسن علي، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس (ص140).

(2) [النساء: 135].

(3) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص212).

(4) ابن عذارى، البيان المغرب "قسم الموحدين" (ص172-173).

(5) تؤكد الدكتوره ليلى النجار أن الحسبة ساهمت بدو كبير في إقرار العدل إلى جانب القضاء، إذ تساعد على تنفيذ التشريعات المتعلقة بأحوال الناس ومصالحهم، وتعمل على حمايتهم؛ المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي (مج367/2).

(6) ابن عذارى، البيان المغرب "قسم الموحدين" (ص207).

(7) [الممتحنة: 13].

وعندما علم المنصور بأن أبا حفص الملقب بالرشيد[1] والي مرسية يسفك الدماء بالأندلس، ويأخذ أموال بيت المسلمين، ويقتل العمال، أمر المنصور بقتله فقطعت رقبته[2]، ولما ثبت للمنصور أن أبا العباس أحمدُ بن يحيى العَبْدَريُّ[3] شرب المسكر أمَرَ المنصورُ بإقامةِ الحدِّ عليه وجَلْدِه بين يدَيْه ثُمَّ صَرَفَه المنصورُ إلى منزلِه، واستمرَّ هِجرانُه إياه ومَنْعُه حضورَ مجلسِه إلى أن توفِّي المنصورُ[4].

وكان المنصور دائماً ما يوصي القاضي أبا عبد الله بن مروان بتفقُّدِ السّجون والنظرِ للمسجونينَ وتعاهُدِهم بما يُخرجُه لهم من الصَّدَقات، فكان كلّما سأله عن شيءٍ من ذلك أجابَه بأنه شديدُ العنايةِ بأحوالِهم؛ فلمّا كان في بعض الأسحار سَمِعَ ضَجّةً عظيمة، فسأل عنها، فأُخبِر أنه صياحُ المسجونينَ واستغاثتُهم، فأرسَلَ من وَثِقَ به في التطلُّع على أحوالِهم، فلمّا دخَلَ عليهم وسألهَم عن حالِهم أخبَروه بأنّهم في جَهْدٍ شديد، وأنّهم قد هَلَكوا جُوعًا وبردًا، ورغِبوا إليه في إيصال رَغَباتِهم إلى المنصُور بأن يَمُنَّ عليهم بالقتلِ ليستريحوا من عظيم سُوءِ الحال وشدّة النَّكال، فأوصَلَ شِكايتَهم إلى المنصُور، فعَظُمَ ذلك عليه وأمر لهم بما يُصلحُ أحوالَهم، وأمَرَ بسِجن القاضي في منزلِه فأقام به مسخوطًا عليه شهرًا، وصَرَفَه عن قضاء إشبيلِيَةَ سنةَ 592هـ، وقَدّم لخُطّةِ القضاء أَبا القاسم بن بَقِيّ، فبقِيَ قاضيًا إلى أن توفِّي المنصور[5].

---

(1) أبو حفص عمر بن يوسف بن عبد المؤمن الموحدي، الملقب بالرشيد، ولي أمر مرسية لشرقي الأندلس، فقتل قاضي مرسية أبو جمرة من دون سبب، وأخذ يتنقص من (المنصور)؛ ويتحفز للخروج عليه، فنهض المنصور مسرعا إليه، وأمر بالقبض عليه وتقييده، وأمر به، فقتل بسلا، ودفن هناك سنة 583هـ؛ الزركلي، الأعلام (ج5/69-70).

(2) ابن عذارى، البيان المغرب "قسم الموحدين" (ص198-200).

(3) كان أبو العباس يُحاضرُ طلبةَ العِلم بمجلسِ المنصُور الخاصّ بهم ويُذاكرُهم بينَ يدَيْه مَرْعيَّ الجانب ملحوظًا بعَيْن التكرِمة محترَمًا لشاخِته واضْطلاعِه بالمعارِف إلى أن وُجِدَ منه يومًا بمجلس المنصُور ريحُ مُسكِر فاستُثبِتَ أمرُه بالاستنكاه وتُحقِّق من ذلك؛ الأوسي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (ج1/743).

(4) الأوسي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (ج1/743-744).

(5) الأوسي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (ج5/237).

وعندما ولي عتيق بن علي بن حسن الصنهاجي[1] قضاء الجزيرة الخضراء[2]، تم صرفه عنها بعد أن أكثر أهل الجزيرة التشكي منه، ولم تحمد سيرته[3].

كما اعتقل المنصور ولاته أبا سليمان وأبا علي عمر بن أيوب بعد أن أحصى أموالهما وعلم أنهما يأخذان من خزانة الدولة، ولما علم المنصور أن القاضي أبا الوليد بن رشد يحكم على غير شريعة الإسلام، وله كتب منحرفة في الأحكام غضب فحبسه وفرق تلاميذه[4]، فكان يحرص على سلامة بطانته، بطاعة الله في قوله: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ** ﴾[5]، لا كما يزعم المؤرخ محمد عبد الله عنان أن هذه وصمة في تاريخ الخليفة المنصور الموحدي، وأن هذا تزمت عميق اتسم به الموحدون في التفكير الديني[6]، وقد توسع المؤرخ حسن علي حسن في ذكر طريقة الموحدين الحضارية في تعيين القضاة والحجبة والولاة والكتبة وسن القوانين ومحاسبة أولي الأمر وطرق التواصل بين ولايات الدولة، بما ينبع من مناهج الإسلام الصحيحة، وذكر أطرافاً من أخبار المنصور الموحدي في هذا المجال أثناء دولته[7].

الرابعة: إرساء مبادئ العدل على الجميع:

قامت علاقة المنصور مع الرعية على مبادئ العدل في وجوه وأشكال عدَّة، كان لها أثرٌ كبيرٌ في تحقيق النصر، منها:

---

(1) يكنى أبو بكر، ويعرف بالفصيح، نشأ بمدينة فاس وأخذ عن شيوخها، وسمع بمكة وبغداد ومصر، وقدم مراكش سنة 588هـ، ولازم دار الإمارة؛ المكناسي، جذوة الاقتباس (ص455).

(2) الجزيرَةُ الخضْرَاءُ: مدينة حصينة شريفة مشهورة تقع بالأندلس شرقي شذونة على نهر برباط، مقابلة لمدينة سبتّة في بلاد المغرب، أرضها طيبة، وبها مرسى عظيم، وينسب إليها جماعة من أهل العلم؛ الحموي، معجم البلدان (ج136/2)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج332/1).

(3) المكناسي، جذوة الاقتباس (ص455).

(4) ابن عذارى، البيان المغرب "قسم الموحدين" (ص225-226).

(5) [آل عمران: 118].

(6) دولة الإسلام في الأندلس (ج228/5-229).

(7) انظر: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس (ص116، 119، 124، 143، 144، 159، 163، 168، 170، 173-176).

1- العدل في سلطان دولته:

كان المنصور في جميع أيامه وسيره مؤثرًا للعدل، متحريًا له بحسب طاقته وما يقتضيه إقليمه والأمة التي هو فيها؛ فقد أراد في أول أمره السير على سنن الخلفاء الأول[1]، لما تمت لَهُ الْبيعَة رد الْمَظَالِم[2] الَّتِي ظلمها الْعمَّال فِي أَيَّام أَبِيه[3]، بل وقتل أحياناً العمال[4] الذين تشكو الرعايا من ظلمهم وفسادهم[5]، ومن مظاهر عدله أنه عندما أمر ببناء حومة الصالحة[6] في مراكش، قام بتعويض كل من كان له فيها مساكن أو شيء صغيراً كان أم كبيراً[7]، ولم يستبد بها زاعماً أنها حقه ورثها كابراً عن كابر.

وكان ملكاً جواداً عادلاً يقف للمرأة[8] والضعيف، فيأخذ لهم حقهم من كل ظالم عنيف[9]، فعندما كان المنصور متوجها لاستعادة مدينة قفصة استراح في مدينة فاس، فقام ببسط العدل في تلك المدينة، فلما بلغه أن أبا القاسم بن الملجوم[10] بنى غرفة يشرف منها على بعض جيرانه

---

(1) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص207).

(2) وهذا يذكرنا بسير الخلفاء الراشدين المهديين أمثال عمر بن عبد العزيز، عندما رد مظالم بني أمية للناس.

(3) السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج2/158-159).

(4) ربما سياسة المنصور هذه لها وجاهة، فلقتل عامل واحد، خير من إبقائه فيجر على البلاد فتناً كقطع الليل المظلم، تزهق فيها أرواح لا تحصى، ويحصل بها فساد عريض في الدنيا والدين، فالاحتياط واجب، ويد الله مع الجماعة.

(5) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (ج7/11).

(6) حومة الصالحة: مدينة في بلاد المغرب، أمر باختطاطها المنصور يعقوب بن يوسف الموحدي، وشرع في بنائها وأجرى وسطها الماء العذب إلى أن كمل أمرها؛ الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص354).

(7) ابن عذارى، البيان المغرب "قسم الموحدين" (ص172-173).

(8) يؤكد الدكتور حسن علي حسن بناءً على ذلك أن المرأة تمتعت بمكانة طيبة ونالت التقدير والاحترام من ولاة الأمر بالمغرب الأقصى؛ الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس (ص356-357).

(9) اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان (ج3/364)؛ ابن الموقت، السعادة الأبدية (ص180)؛ مقديش، نزهة الأنظار (ج1/472).

(10) أَبو الْقَاسِم عبد الرَّحِيم بن عِيسَى بن يُوسُف الْأَزْدِيّ الزهْرَانِي الفاسي، وَيُعْرَف بِابْن الملجوم، وكان عالماً جليلاً، رفيع القدر، فقيهاً محدثاً حافظاً، عنده خزانة علمية كبيرة اشتهرت بالمغرب، له برنامج الاشياخ، وأخذ عنه الناس، وقد ولد سنة 524هـ وَتُوفِّي سنة 604هـ، وله 80 سنة؛ مخلوف، شجرة النور الزكية (ج1/238)؛ ابن الآبار، التكملة لكتاب الصلة (ج3/63-64)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (ج43/151)؛ الكتاني، فهرس الفهارس والأثبات (ج2/581)؛ كحالة، معجم المؤلفين (ج5/210-211).

واستوثق من ذلك أمر بهدمها وتغيير رسمها، فكان يتتبع بالعدل[1] قضايا العباد[2]، كما أنه لما فتح الأرك قسم الْمَنْصُور الْغَنَائِم بَين الْمُسلمين بِمُقْتَضى الشَّرْع[3]، ولما رجع المنصور من غزوة الأرك سأل مشايخ المصامدة عن امتلاك الموضع الذي بنيت فيه مراكش، فقالوا نصفه كان لهيلانة ونصف لهزميرة، فأعطى أصحاب الموضع ثمنه ثم دخل مراكش[4]، وبسط العدل ونشر الأحكام[5]، وهذا مما يرضي الله، فقد قال تعالى ذكره: ﴿.. وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾[6]، وقال عز وجل: ﴿ **لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ..**﴾[7]"، ويثيب عليه في الآخرة، حيث قال رسول الله ﷺ: "سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ. يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ.."[8]، ويسدد صاحبه في الدنيا وينصره لامتثاله لأمره، فالعدل من مقومات الأمم وأسباب بقائها ونهضتها ونصرها، والتاريخ يشهد على أن الممالك عند قرب زوالها يسودها الظلم، وقد قال رسول الله ﷺ: "الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"[9].

وقد هَمَّ المنصورُ وهُو بإشبيلِيَةَ بانتزاع الأملاكِ التي بأيدي أهلِها بإقطاع أبيه وجَدِّه إيّاها لهم، فاستشار المنصور أبا بكر محمدُ بن الجَدِّ الفِهْرِيُّ[10] في ذلك فأثناه عن ذلك بفقهه فكفَّ المنصورُ عن النَّظرِ في ذلك، وأمَرَ بصَرْفِ تلك الظّهائرِ إلى أربابِها، وتمكينِهم من أملاكِهم[11].

---

(1) ويؤكد الدكتور حسن علي حسن أن الخلفاء الموحدين ساهموا في إقرار العدل بين الناس حين تولوا خطة المظالم؛ الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس (ص174).

(2) ابن عذارى، البيان المغرب "قسم الموحدين" (ص187)؛ حسن: حسن علي، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس (ص174).

(3) السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج192/2).

(4) ابن عذارى، البيان المغرب "قسم الموحدين" (ص230).

(5) ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر (مج325/6).

(6) [المائدة: 42].

(7) [الحديد: 25].

(8) [مالك: الموطأ، الجامع/ما جاء في المتحابين في اللهﷻ، 1389/5: رقم الحديث 3505].

(9) [الطيالسي: مسند ابي داوود، ما أسند عمر بن الخطابﷺ عن النبيﷺ/، 408/3: رقم الحديث 2002].

(10) هو محمدُ بن عبد الله بن يحيى بن فَرْح بن الجَدِّ الفِهْرِيُّ، إشبيليٌّ، وكان فقيهًا حافظًا، نَحْويًّا بارعًا، خَطيبًا مُفوَّهًا بليغًا، مؤرخاً، نسابة، وقال فيه أبو القاسم ابنُ المَلْجوم: حافظُ أهل المغربِ غيرَ مُدافَع، بحرٌ يَغرِفُ من محيط، وكان الحاجُّ أبو بكر بنُ عليّ يقول: هو أحفَظُ منَ ابن القاسم صاحبِ مالك؛ وقال أبو محمد طلحةُ: سألتُ أبي عنه فقال: هو البَحْر؛ الأوسي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (ج353/4-354).

(11) الأوسي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (ج355/4-356).

2- العدل الشخصي في خصوصيته:

امتثل المنصور للعدل في ذاته، وعقل قول الله عز وجل: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ.. فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا** ﴾[1]، وَأَقَام الْحُدُود حَتَّى فِي أَهله وعشيرته الْأَقْرَبين كَمَا أَقَامَهَا فِي سَائِر النَّاس أَجْمَعِينَ فاستقامت الْأَحْوَال فِي أَيَّامه[2]، فقد حدثت منافرة بين الأمير الشيخ أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص وزوجه أخت المنصور، فجاءت إلى بيت أخيها يعقوب، فطلبها الأمير عبد الواحد فامتنعت عليه، فشكاها إلى قاضي الجماعة بمراكش أبي عبد الله محمد بن علي بن مروان[3]، فاجتمع القاضي بالأمير يعقوب وقال له: إن الشيخ أبا محمد عبد الواحد يطلب أهله، فسكت الأمير يعقوب، ومضت أيام، ثم إن الشيخ عبد الواحد اجتمع بالقاضي في قصر المنصور بمراكش، وقال له: أنت قاضي المسلمين، وقد طلبت أهلي فما جاءوني بها، فاجتمع القاضي بالأمير يعقوب وقال له: يا أمير المؤمنين، الشيخ عبد الواحد قد طلب أهله مرة وهذه الثانية، فسكت الأمير يعقوب؛ ثم بعد مدة لقي الشيخ عبد الواحد القاضي بالقصر قادماً لخدمة الأمير يعقوب فقال له: يا قاضي المسلمين، قد قلت لك مرتين وهذه الثالثة: أنا أطلب أهلي وقد منعوني عنهم، فاجتمع القاضي بالأمير يعقوب وقال له: يا مولانا إن الشيخ عبد الواحد قد تكرر طلبه لأهله، فإما أن تسير إليه أهله وإلا فاعزلني عن القضاء، فسكت الأمير يعقوب، وقيل إنه قال له: يا أبا عبد الله ما هذا إلا جد كبير، ثم استدعى خادماً وأسر له: بحمل أهل الشيخ عبد الواحد إليه، فحملت إليه في ذلك النهار، ولم يتغير على القاضي ولا قال له شيئاً يكرهه، وتبع في ذلك حكم الشرع المطهر وانقاد لأوامره، وهذه حسنة تعد له وللقاضي أيضاً، فإنه بالغ في إقامة منار العدل[4]، فامتثل لقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا**

---

(1) [النساء: 135].

(2) السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج2/199).

(3) أبو عبد الله محمدُ بن عليّ بن مَرْوانَ بن جَبَل الهَمْدانيُّ الوَهْرانيُّ التلمساني: وكان فقيهًا حافظاً، ماهرًا في النّظر، بارعَ الخَطّ، عظيم الهمّة، ولي قضاء تِلِمْسان، ثُمَّ ولي قضاء الجماعة بِمَرّاكُش سنة 585هـ بأمر المنصورُ، وكذلك ولده الناصر، فكان محمودَ السّيرة، شديدَ الهيبة، سريعَ الفصلِ بين الخصوم، بصيراً بالاحكام، موصوفًا بالعدل والأناة، لم يجلد أحد طول ولايته بسوط، وقد استمرّ ابنُ مروانَ ناهضًا بأعباءِ الخُطّة، إلى أنْ توفّي سنة 601هـ، وصلى عليه الإمام الناصر ابن المنصور؛ الأوسي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (ج5/235-237)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (ج43/68-69)؛ نويهض، مُعجَمُ أعلام الجزائِر (ص350).

(4) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (ج7/10-11)؛ مقديش، نزهة الأنظار (ج1/472-473).

وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾[1]، فكان حقاً على الله أن ينصرهم، كيف وقد أرسى العدل في رعيته وفي شخصه، وفي بطانته التي أعانته بإقامة العدل في نفسه، فرحمهم الله رحمة واسعة.

وحدث في أثناء دولته أن ابن أخت يعقوب[2] أخذ امرأة رجل غريب قدم من بلاد بعيدة بعدما استحسنها غصباً، فشكى الرجل أمره للمنصور الموحدي، فتحقق المنصور من الأمر، ولما تثبت من صحته، أنكر هذه الفعلة على ابن أخته، ثم ردَّ المرأة وما عليها من الزينة والجواهر التي تحلت بها في القصر إلى زوجها، وقال لابن أخته: قصرك مملوء بالجواري الحسناوات، وأنت تمد عينيك إلى امرأة رجل غريب جاء من بلاد بعيدة فتأخذها غصباً؟!، ثم استدعى الرَّمَّاح، وأمره بقتله، فخرجت أمه أي أخت المنصور تبكي بين يديه، وتقول: ما لي غيره، فقال المنصور: لأهذبن ملوك الغرب وغيرهم، فقتله[3]، فكان لا يخشى في الحق لومة لائم، وامتثل لقول النبي ﷺ: "إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا"[4]، بمعنى الحديث أن حدود الله تطال الشريف والوضيع في الأمة، عندها فقط يكون الثبات للدول والممالك، ولا ينخرها الزوال والمهالك.

فالحاكم العادل هو القادر على تطبيق الأحكام الشرعية على أهل بيته أولاً ثم على الرعية ثانياً، وبهذا يقود شعبه بإطمئنان كامل، ويحظى بثقتهم واحترامهم[5].

3- العدل مع أهل الذمة:

عمل المنصور الموحدي بكلام الله عز وجل وأرسى العدل مع أهل الكتاب.

فقد كتب كاتبه أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز التجيبي[6] يوماً كتاباً ليهودي، فكتب فيه: ويحمل على البِر والإكرام، فقال له المنصور: من أين لك أن تقول في كافر: يحمل على البِر

---

(1) [النساء: 58].

(2) لم يقف الباحث على اسمه أو أي ترجمة له.

(3) العينى، عِقْدُ الجُمَان "العصر الأيوبي" (ج3/86)؛ سبط بن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان (ج22/74).

(4) [البخاري: الصحيح الجامع، أحاديث الأنبياء/حديث الغار، 4/175: رقم الحديث 3475].

(5) النجار، المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي (مج1/158).

(6) وكان مشهوراً جليل القدر، يظهر له في كتبه بلاغة وفصاحة تدل على معرفته وحفظه، وكتبه مشهورة، وكان شاعراً مؤثراً عالي الهمة، حافظًا للُّغاتِ والآداب، حَسَنَ الخُلُق كريمَ الطَّبع، معظماً مقرباً من الملوك، انتفع البعض من إمكانياته وحيله، وكان صاحبَ القَلَم الأعلى عند كتبة المنصُورِ؛ ابن عسكر وابن خميس، أعلام مالقة (ص155)؛ الأوسي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (ج4/419-420).

والكرامة، قال: ففكرتُ ساعة، وقد علمتُ أن الانفصال يلزمني عما ذكرتُ، فقلت له: قال رسول ﷺ: "إذا أتاكُم كريم قوم فأكرموه"[1]، وهذا عام في الكافر وغيره، فقال لي: نعم، هذه الكرامة، فالمبرة من أين أخذتها، قال: فَسَكتُ لم أجِد جواباً، قال: فقرأ المنصور: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، ﴿ **لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** ﴾[2]، قال: فسررتُ بذلك كثيراً وشكرتُه عليه[3].

وهذا مع ما سبق يوضح أن عدل المنصور استقاه من كتاب الله وسنته، وشمل بذلك رعيته من المسلمين وأهل الذمة، ففهم مقصد النبي ﷺ من عدم الانتقاص من أهل الذمة وتكليفهم فوق طاقتهم، بل تعلم من النبي كيف يحملهم على البر والكرامة، فقد قال رسول الله ﷺ: "أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا، أَوِ انْتَقَصَهُ، أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ، فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"[4]، فالتزم المنصور بذلك.

---

(1) [ابن أبي شيبة: الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، الأدب/الوسادة تطرح للرجل، 234/5: رقم الحديث 25584].

(2) [الممتحنة: 8].

(3) ابن عسكر وابن خميس، أعلام مالقة (ص155).

(4) [أبو داوود: السنن، الخراج والإمارة والفيء/في تعشير أهل الذمة، 170/3: رقم الحديث 3052].

المبحث الثاني:
البنيان الحضاري الإسلامي

كان المنصور الموحدي صاحب رسالة حضارية، فلم يكن رجل حرب وسياسة فقط، فقد فهم الإسلام بصورته الشاملة في المزج بين الديانة والدولة، والعبادة والمدنية، والقرآن والسيف، حيث عمل بشكل متواز على تلك الأصعدة، في تطور مدني ملحوظ يهيئ للقائد السبل في استمرار رسالته، ومن أهم هذه الأصعدة:-

أولاً: بناء المدن وسك العملة:

بدأ المنصور ببناء ما هُدِم من أسوار مدينة فاس في عهد جده عبد المؤمن بن علي[1]، وعندما وصل المنصور إلى إشبيلية[2] أمر ببناء مدينة رباط الفتح[3] في المغرب[4]، فأسست سنة 593هـ، وأكمل سورها[5] وَركبت أَبْوَابهَا[6] سنة 594هـ[7]، وهي على هيئة الإسكندرية في اتساع الشوارع وحسن التقسيم وإتقان البناء[8] وتحسينه

---

(1) الجزنائي، جَنَى زهرة الآس (ص42-43).

(2) المكناسي، جذوة الاقتباس (ص556).

(3) تقع رباط الفتح على شاطيء المحيط الأطلسي، وتمتد اليوم بشوارعها وعمرانها وميادينها على مساحة 12 ألف هكتار، وتتمتع المدينة بجو معتدل؛ السويسي، تاريخ رباط الفتح (ص8).
وهي عاصمة بلاد المغرب الأقصى في وقتنا الحالي، ويطلق عليها الرباط؛ حسن: حسن علي، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس (ص384).

(4) انظر: ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس (ص229)؛ السَّمْلالي، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات (ج265/10)؛ رزوق، الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب (ص37)؛ السويسي، تاريخ رباط الفتح (ص89-90).

(5) يمتد السور الموحدي على طول 5263 متراً غربي وجنوبي المدينة، ويبلغ عرضه مترين ونصف، ويصل ارتفاعة لـ 10 أمتار، ويوجد فوق السور طريق للحرس، فيه ثغرات للمراقبة، ويشتمل السور على 74 برجاً؛ انظر: السويسي، تاريخ رباط الفتح (ص113-114).

(6) السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج195/2)؛ حتامله، الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة (ص897).

(7) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص195).

(8) يرى الدكتور أحمد مختار العبادي أن سبب اهتمام الموحدين بموقع هذه المدينة:-
1- وقوعها على الساحل قرب مضيق جبل طارق في نقطة بين فاس ومراكش وبين البلاد الشمالية والجنوبية.
2- خصوبة المنطقة وغناها، مما يجعلها قادرة على تجهيز الجيوش وتموينها قبل ذهابها للجهاد في الأندلس؛ صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس (ص214-215).

وتحصينه[1]، وبناها بالقرب من البحر المحيط[2] وبنى المنصور مرصداً[3] سنة 591هـ بمدينة إشبيلية من بلاد الأندلس بمعرفة الحكيم أبي الليث الصقلي وغيره[4]، وهو أول مرصد بني في أوروبا، وقد وضع المنصور أزياجاً فلكية عن كسوف الشمس[5]، كما بَنَى مَدِينَةً مُحَاذِيَةً لمدينة سَلَا وَسَمَّاهَا الْمَهْدِيَّةَ[6]، مِنْ أَحْسَنِ الْبِلَادِ وَأَنْزَهِهَا[7]، فقد كان مهتمًّا بالبناء، وفي طول أيامه لم يخل من مدينة يعمُرُها؛ حيث أُوْسِعَت مدينة مراكش في عهده بزيادة كبيرة[8] كما أجرى فيها ساقية[9] عام 585هـ[10]، وقام ببناء الأقواس الممدودة، وعليها قنوات المياه الموجودة بالمدن المغربية، بناها النصارى الذين أحضرهم قادة المنصور عند غزوه للأندلس[11]، وقد شهدت العاصمة اهتماماً كبيراً من حيث توفير المياه، وهذا مما ساعد على استقرار الحياة بها وازدهارها[12]، وكان تشييد المدن يقوم نظراً لازدياد عدد السكان، وتوسيع مدن أخرى يكون لاستيعاب القادمين إليها[13].

---

(1) اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان (ج364/3).

(2) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (ج9/7).

(3) كان الهدف منه الاشتغال بعلم الفلك، ورصد النجوم، والأذان بدخول ميقات الصلاة؛ انظر: حسن: حسن علي، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس (ص505)؛ المنوني، العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين (ص109).

(4) السَّمْلالي، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات (ج267/10).

(5) المنوني، العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين (ص109).

(6) المَهْدِيّةُ: مدينة تقع قرب سلا، أول من أنشأ خطتها عبد المؤمن بن عليّ الموحدي، وتعرضت للهدم على يد أسطول صاحب برشلونة سنة 663هـ؛ الحموي، معجم البلدان (ج229/5)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج1337/3)؛ ابن زيدان، إتحاف أعلام الناس (ج90/2).

(7) ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج161/10).

(8) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص212).

(9) أجرى المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن في وسط المدينة ساقية ظاهرة، يخرج ماؤها الطاهر من قصره فيشق المدينة من القبلة إلى الجوف ويُستسقى منها الناس والخيل والدواب؛ الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص541)؛ مراكشي مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار (ج210/1)؛ السَّمْلالي، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات (ج59/1).

(10) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس (ص218).

(11) المنوني، العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين (ص252).

(12) حسن: حسن علي، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس (ص386).

(13) النجار، المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي (مج538/2).

وقد أمرنا الله بذلك، بل هو منهج للأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وطاعة الله في عمارة الأرض تجلب النصر والظفر، فقد قال تعالى: ﴿.. **يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ..** ﴾[1]، وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً..** ﴾[2]، وقل جل ثناؤه: ﴿ **يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ..** ﴾[3].

وإلى المنصور الموحدي تنسب الدنانير اليعقوبية[4] المغربية[5]، وقد اهتم المنصور بالدينار الموحدي فقام على الإبداع في صناعته وتفخيم مادته اختراعاً وزيادة وزنه[6] بما يتناسب مع عظمة الدولة الموحدية وفخامة[7] سلطانها وقوة مقدراتها ومظاهر هيبتها[8]، وهذا يدلل على قوة الدولة وهيبتها فأحياناً تقاس قوة الدولة اقتصادياً ودولياً بقياس قوة عملاتها وفخامة صناعتها.

وعلى أساس هذا الرخاء الاقتصادي، لم تتردد الدولة الموحدية في الإنفاق بسخاء على جنودها، وموظفيها الذين كانوا بدورهم مجندين[9]، فقد عمل النظام المالي على استقرار الأوضاع الاقتصادية بإقامة التوازن بين النفقات والدخل، فتنظيم العلاقة المالية بين الحكام والرعية يحقق الأمن، ويدفع البلاد نحو الرقي والتقدم[10].

---

(1) [هود: 61].

(2) [البقرة: 30].

(3) [ص: 26].

(4) بلغ زنة الدينار اليعقوبي من حب الشعير المتوسط 84 حبة؛ الحكيم، الدوحة المشتبكة (مج6/83).

(5) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (ج12/7)؛ الأوسي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (ج356/4)؛ العينى، عِقْدُ الجُمَان "العصر الأيوبي" (ج84/3)؛ أبو خليل، الأرك بقيادة يعقوب المنصور الموحدي (ص74).

(6) حيث رفع وزن الدينار من 3.960 غراماً ذهبياً في العهد المرابطي إلى 4.729 غراماً ذهبياً كما كان في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، في خطوة كبيرة نحو الإصلاح المالي، والسير على ميدان الخلافة الراشدة والتأسي بها، في تحقيق استقرار المعاملات بين الناس؛ السويسي، تاريخ رباط الفتح (ص16).

(7) يؤكد الدكتور حسن علي حسن أن هذه الزيادة تشير إلى الرخاء الاقتصادي الذي تنعم به البلاد، وإلى كثرة وجود الذهب؛ الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس (ص229).

(8) ابن عذارى، البيان المغرب "قسم الموحدين" (ص182).

(9) العبادي، صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس (ص181).

(10) النجار، المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي (مج2/358).

وقد قال تعالى: ﴿ **وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ** ﴾[1]، وإن الحرص على رفاهية الناس، واستقلال الأمة اقتصادياً بعملتها، ليقوي جانبها وركنها أمام الأعداء، فلا يسعى الناس في رفاهيتهم وتحسين أوضاعهم السكنية إلى النزاع والمشاحنة، بل يتجهوا إلى الأخوة والرابطة التي تدفع بالنصر إلى الأمام.

ثانياً: الاهتمام بالمرافق العامة:

1- تشييد معالم الإسلام:

أ- المساجد: حيث بنى المنصور في مدينة الرباط مسجدًا عظيمًا كبير المساحة واسع الفناء جدًّا، لا يعلم في مساجد المغرب أكبر منه، وعمل له مئذنة في غاية الارتفاع، على هيئة منار الإسكندرية، يصعد فيه بغير درج، تصعد الدواب بالطين والآجُرّ والجِصّ وجميع ما يحتاج إليه إلى أعلاها، ولم يزل العمل في المسجد طول مدة ولايته إلى سنة 594هـ[2].

ولما انتصر المنصور في وقعة الأرك فتح إشبيلية [3]، وأمر ببناء الجامع الكبير[4] فيها[5] ومنارتها[6]، التي قيل إِنَّه لَيْسَ فِي بِلَاد الْإِسْلَام مناراً[7] أعظم مِنْها[8]، وَعمل لهَذَا الْمنَار تفافيح عظيمة[9] موهت بمئة ألف دينار ذهباً وزنة العمود الَّذِي ركبت عَلَيْهِ أَرْبَعُونَ ربعا من

---

(1) [القصص: 77].

(2) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص195).

(3) ابن عذارى، البيان المغرب "قسم الموحدين" (ص222)؛ الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص27).

(4) وكان الأديب البارع والفقيه المحدث والحافظ أبو بكر محمدُ بن عبد الملِك الحفيد الإشبيلي هو الناظرَ في إتمام بناءِ جامع إشبيلِيَةَ الأعظم، حتّى كَمُلَ حسبَما رَسَمَه لهُ المنصورُ أبو يوسُفَ يعقوبُ الموحدي؛ الأوسي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (ج4/435-436).

(5) ابن عذارى، البيان المغرب "قسم الموحدين" (ص222).

(6) المكناسي، جذوة الاقتباس (ص556)؛ السَّمْلالي، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات (ج10/265)؛ عنان، الآثار الأندلسية الباقية (ص54).

(7) انظر صورة منارة أشبيلية: عنان، الآثار الأندلسية الباقية (ص52-53).

(8) المقري، نفح الطيب (ج1/208).

(9) ولا زالت هذه المنارة قائمة حتى الآن وإن كانت قد فقدت تفاتيحها الذهبية منذ زمن بعيد، وحولت – مع الأسف – إلى برج للأجراس لكنيسة إشبيلية، وهي التي قامت فوق أنقاض الجامع الأعظم، وتحمل اسمها الإسباني "لا خير الدا" لكنها ما زالت تحتفظ بروعتها الإسلامية القديمة؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس (ج5/232-233).

الْحَدِيد[1] وَكَانَ الَّذِي صنعها ورفعها الْمعلم أَبُو اللَّيْث الصّقليّ، وَلما كمل جَامع إشبيلية[2] صَلَّى المنصور فِيهِ، كما أمر المنصور بِبِنَاء الْمَسْجِد الْأَعْظَم بطالعة سلا ومدرسته الجوفية مِنْهُ قَالَ صَاحب الرَّوْض المعطار حيث عمل فِي بنائِهِ وَنقل حجارته وترابه 700[3] أَسِير من الفرنج وهم مقيدون، كما أمر بتشييد منار جَامع الكتبيين صاحب الِارْتِفَاع وَعظم الهيكل وطول صومعة الكتبيين بمراكش مائَة ذِرَاع وَعشر أَذْرع[4]، كما بنى الجامع المكرم وصومعته[5]، ومنار جامع الكتبيين[6]، وبنى في مدينة الرباط جامع حسان[7] ومناره[8]، وعندما فتح قلعة رباح[9]، أمر بتحويل كنيستها إلى مسجد[10]؛ يصلى فيه المسلمون[11].

ولما رأى مسجد القيروان الذي تقادم بناؤه وطمست معالمه، أمر بكسوته وفرشه بنسيج الأندلس[12]، كما أمر المنصور ببناء الْجَامِع الْأَعْظَم بمراكش[13] وتشييد مناره، وصناعة 8

---

(1) انظر شرح وافي عن تفاصيل وفخامة البناء وعظمته؛ المنوني وآخرون، التاريخ الأندلسي من خلال النصوص (ص208–210).

(2) لقد حولت صومعة المسجد الموحدي إلى قبة جرس للكاتدرائية؛ انظر الصورة: طارق السويدان، الأندلس التاريخ المصور (ص363).

(3) لما فتح المنصور بلنسية قبض على قائدها مع 150 من أعيانها الكفار، ووجههم إلى خدمة بناء الجامع الكبير بسلا مع أسرى الأرك؛ الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص27).

(4) السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج195/2).

(5) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس (ص229)؛ المكناسي، جذوة الاقتباس (ص556)؛ المنوني وآخرون، التاريخ الأندلسي من خلال النصوص (ص208–209).

(6) انظر صورة منار جامع الكتبيين بمراكش: عنان، الآثار الأندلسية الباقية (ص55).

(7) أشار الأستاذ عبد الله السويسي إلى معلومات هامة حول بناء مسجد حسان، وتواريخ إنشائه، وكيفية بنائه، وحقيقة ظروفه الوقتية، ومدى تمام البناء وأشكاله؛ انظر: تاريخ رباط الفتح (ص127–130).

(8) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس (ص229)؛ المكناسي، جذوة الاقتباس (ص556)؛ السَّمْلالي، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات (ج265/10)؛ عنان، الآثار الأندلسية الباقية (ص54).

(9) قلعةُ رَباح: مدينة حصينة حسنة تقع بالأندلس بين قرطبة وطليطلة، من أعمال جيان، بناها الأمويون، بها مياه؛ الحموي، معجم البلدان (ج390/4)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج1118/3)؛ الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص469)؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس (ص163).

(10) أمر المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بتطهير جامعها، وصلى فيه، وقدم على قيادتها يوسف بن قادس؛ الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص469).

(11) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص206).

(12) ابن عذارى، البيان المغرب "قسم الموحدين" (ص190–191).

(13) ويعرف بمسجد القصبة بمراكش وجامع المنصور؛ السَّمْلالي، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات (ج265/10).

أبواب له، وأنفق ذلك من أخماس غنائم موقعة الأرك، واتخذ في هذا الجامع لمصلاه بِهِ مَقْصُورَة عَجِيبَة صنعت ببراعة هندسية[1] بِحَيْثُ تنصب إِذا اسْتَقر الْمَنْصُور ووزراؤه بمصلاه مِنْهَا وتختفي إِذا انفصلوا عَنْهَا[2]، وهذا مظهر من مظاهر النهضة الميكانيكية بالمغرب[3].

ب- المدارس: بنى المنصور المساجد والمدارس[4] في بلاد افريقية والمغرب والأندلس[5]، أي في طول البلاد وعرضها.

ومن هذه المدارس التي بناها المنصور مدرسة المهدية[6] بمراكش[7]، والمدرسة الجوفية بسلا عند الجامع الأعظم، وَعَمِلَ مكتباً لِلأَيتَام، فِيْهِ نَحْو أَلف صَبِيّ، وَعَشْرَة مُعَلِّمُوْنَ[8].

وهذا كان دافعاً قوياً في دفع عجلة البناء والتعمير في أرجاء البلاد إلى الأمام[9]، فنرى الموحدين يتزعمون خلال عصرهم حركة فنية زاهرة، برزت أصداء هذه الحركة العمرانية وأشكال صورها تتردد في المغرب والأندلس، ولا زالت بعض آثارها باقية إلى الآن[10].

إن بناء المساجد والمدارس الدينية لحق أن يجلب نصر الله ففيه تتخرج أجيال المسلمين التي ترفع اللواء وتجاهد الأعداء في جميع ميادين المواجهة الحرب والعلم والدعوة، كما كان مع الرعيل الأول صحب رسول الله ﷺ، وقد قال الله ﷻ: ﴿ **فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا**

---

(1) يذكر محمد المنوني: أن الهندسة الميكانيكية الهوائية والمائية كانت شائعة في هذا العهد بالمغرب؛ العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين (ص106).

(2) السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج2/194-196)؛ أبو رميله، علاقات الموحدين بالممالك النصرانية (ص412).

(3) المنوني، العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين (ص107).

(4) يذكر أن هناك عدة مدارس موحدية ومؤسسات تعليمية بناها المنصور، ولها أوصاف في قاعاتها التدريسية، وخزانتها المكتبية العلمية، ومؤلفات كتبها، وآلية التدريس، وأشكال مناهج التعليم، وأبواب التصنيف والتنسيق، وتراتيب الطلبة، وأصناف المعلمين، وأنواع القائمين على الأمر، والطرق المتبعة في هذه الأنظمة وفق أحدث طرق التعليم المواكبة للزمن الذي عاصرته؛ أنظر: المنوني، حضارة الموحدين (ص203-208).

(5) السَّمْلالي، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات (ج10/265).

(6) وفيها خزائن الكتب، وبها مجالسة العلماء؛ ابن فضل الله، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (ج4/200).

(7) العينى، عِقْدُ الجُمَان "العصر الأيوبي" (ج3/88).

(8) الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج15/431).

(9) حسن: حسن علي، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس (ص374).

(10) عنان، دولة الإسلام في الأندلس (ج4/725).

اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (36) رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (37) لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (38)﴾[1]، كذلك فإن إزالة صروح الشرك وإقامة المعالم الإسلامية بدلاً منها، وتجديدها لهو من مراد الله، وقد قال الله ﷻ: ﴿ **أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (109) لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (110)﴾[2]**.

وتحقيق مراد الله يجلب النصر أيضاً، ولا بأس مما فعله المنصور في تفخيم المساجد وتعظيم أمرها، لأن الرسول أمرنا أن لا نزخرف المحاريب والمساجد، ولكن لا بد أن نظهر لأعدائنا مدى عظمة الإسلام وفخامته حتى نلقي الروع في قلوبهم، وخصوصاً أن المسلمين كانوا في مواجهة مباشرة مع النصرانية في بلاد الأندلس وفي الوقت الذي يفخر به النصارى بعظمة بناء كاتدرائياتهم، وقد جاءت أفعال المسلمين بما ينم عن رقي حضاري، وذوق رفيع المستوى، فقد قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ الْعَبْدُ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ"[3]، بل إن ذلك أحياناً يعد من الإعداد، وقد قال الله ﷻ: ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ** ﴾[4]، ولما غضب عمر خليفة المسلمين الزاهد في هذه الأمور على معاوية رضي الله عنهما عندما علم بخروجه بمواكب عظيمة، رد عليه معاوية أن ذلك من قبيل إرهاب أعداء الله، فما كان جواب عمر إلا أن قال لذلك جشمناه ما جشمناه.

2- بناء مراكز الصحة والمستشفيات: أمر المنصور ببناء البيمارستانات للمجانين والمرضى والجذمان والعميان، وأجرى الإنفاق عليها[5]، فمثلاً بنى بمدينة مراكش بيمارستاناً، قيل لا يوجد في ذلك الزمان مثله[6]، وذلك أنه تخير ساحة فسيحة بأفضل 5 مواضع في البلد، وأمر البنائين

---

(1) [النور: 36-38].

(2) [التوبة: 109-110].

(3) ابن شبة، تاريخ المدينة (ج98/1).

(4) [الأنفال: 60].

(5) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس (ص217-218).

(6) أشرف مدن المغرب وأعدلها هواء، وبني البيمارستان سنة 585هـ للمرضى يدخله العليل فيعاين ما أعد فيه من المنازه والمياه والرياحين والأطعمة الشهية والأشربة المفوهة، فتنعشه من حينه بقدرة الله تعالى؛ =

بإتقانه على أحسن الوجوه؛ وأمر أن يغرس فيه مع ذلك من جميع الأشجار ذوات الروائح والمأكولات، وأجرى فيه مياهًا كثيرة تدور على جميع البيوت، زيادة على أربع برك في وسطه، إحداها رخام أبيض؛ ثم أمر له من الفُرُش النفيسة من أنواع الصوف والكتان والحرير والأديم وغيره، وأجرى له ثلاثين دينارًا يومياً برسم الطعام وما ينفق عليه خاصة، خارج تغطية حسابات الأدوية، وأقام فيه[1] الصيادلة لصناعة الأشربة والأدهان والأكحال؛ وأعد فيه للمرضى ثياب ليل ونهار للنوم، من جهاز الصيف والشتاء؛ فإذا نقه المريض فإن كان فقيرًا أمر له عند خروجه بمال يعيش به ريثما يستقل، وإن كان غنيًّا دفع إليه ماله وتركه، ولم يقصره على الفقراء دون الأغنياء، بل كل من مرض بمراكش من غريب حمل إليه وعولج إلى أن يستريح أو يموت[2]، فهذا يظهر فترة ازدهار عظيمة في تاريخنا فالعلاج مجاني، ويشمل جميع الفئات، وتوفر العقاقير والأدوية، والاعتناء بالنظافة، والرقابة الأسبوعية المستمرة على البيمارستان، ما يعكس تقدم المستوى العلاجي للدولة في عهد المنصور[3]، ويؤكد الدكتور حسن علي حسن أن ذلك يدلل على الارتقاء الطبي في الدولة، مما ساهم في ارتفاع المستوى الصحي للسكان[4].

والأمم لا شك لا تقوم إلا على الأقوياء البنية صحيحي الأجسام، وهذا من مؤهلات النصر، فالأجيال لا بد أن تكون سليمة لا ضعيفة وعاجزة ومريضة، فقد قال رسول الله ﷺ: "الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ..."[5]، كما أن في ذلك طاعة لهدي رسول الله، فالإسلام أوصى بالمريض، والمحافظة على رعايته والاهتمام به، وقد قال رسول الله ﷺ: "حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ،.. وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ"[6]، وهذا من مؤهلات النصر.

= الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص541)؛ مراكشي مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار (ج210/1).

(1) كانَ أَبُو إِسْحَق إِبْرَاهِيم الداني أَمِين البيمارستان وطبيبه بالحضرة، فقد كَانَت لَهُ عناية بَالِغَة فِي صناعَة الطِّبّ؛ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء (ص534).

(2) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص209–210).

(3) النجار، المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي (مج518/2).

(4) الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس (ص414).

(5) مسلم: المسند الصحيح، القدر/في الأمر بالقوة وترك العجز، 2052/4: رقم الحديث 2664؛ ويروى بمثله في: البزار: البحر الزخار، مسند أبي حمزة أنس بن مالك، 309/15: رقم الحديث 8835].

(6) [المدني: حديث علي بن حجر السعدي عن إسماعيل بن جعفر المدني، أحاديث العلاء بن عبد الرحمن، ص339: رقم الحديث 272].

3- العناية بالرفاهية العمرانية للمسلمين: فقد بنى في مدينة سلا المتنزهات البديعة[1]، وبنى منازل من السوس الأقصى إلى سويقة بني مكتود[2]، كما بنى قناطر المياه وعليها المنارات[3]، وقد اعتنى بمدينة فاس حتى غدت فيها الغبطة والعمارة والرفاهية والدعة والأمن والعافية ما لم تبلغه مدينة من مدن المغرب[4] في عهده[5]، واهتم الموحدون بإنشاء القصور في قرطبة[6] وإشبيلة[7] وعندما أمر باختطاط حومة الصالحة في مراكش، أحضر العمال والبناة والآلات، وأمرهم بالإتقان[8]، حيث قسمت المساكن الجديدة بما يستصلحها من منافع[9]، كما بنى المنصور بالقرب من مراكش – في حومة الصالحة – قصوراً وجامعاً وأسواقاً وفنادق، وجلب التجار إلى

---

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (ج9/7).

(2) سُوَيْقَةُ ابن مكتود: بلدة صغيرة تقع بين أوائل بلاد إفريقية وآخر برقة؛ الحموي، معجم البلدان (ج288/3)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج760/2).

(3) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس (ص217-218).

(4) كان عدد المساجد في مدينة فاس سبعمئة وخمسة وثمانين، ودور الوضوء اثنتين وأربعين، والسقايات ثمانين، والحمامات ثلاثة وتسعين، وارحى الماء أربعمئة واثنتين وسبعين، ودور السكنى تسعة وثمانين ألفا ومئتين وستة وثلاثين، والمصارى سبع عشرة ألفاً وإحدى وأربعين، والفنادق أربعمئة وتسعة وستين، والحوانيت تسعة آلاف ومئتين وثمانين، وقيساريتان اثنتان، واحدة في كل عدوة منها. وداران للسكة واحدة في كل عدوة منها. والأطروحة ثلاثة آلاف وأربعة وتسعين، ودور عمل الصابون سبعاً وأربعين، ودور الدباغ ستاً وثمانين، ودور الصباغ مئة وست عشرة داراً، ودور سبك الحديد والنحاس اثنتي عشرة، ودور عمل الزجاج إحدى عشرة، وكوش الخبز مئة وخمساً وثلاثين، وأفران الخبز ألفاً ومئة وسبعين، وأحجارُ عمل الكاغد أربعمئة، كل ذلك بداخل المدينة، ودور الفخارة ثمانمئة وثماناً وثمانين بخارج المدينة، نقل ذلك عن المشرف علي بن عمر الأوسي قال نقلته من خط الغريغر مشرف المدينة في أيام الناصر بن المنصور سنة خمس وثمانين وخمسمئة. وكان إذ ذاك بضفة الوادي الكبير من حيث يبتدئ دخوله إليها إلى أن يخرج منها دورُ الصباغين وحوانيتهم ودور الدباغ والصابون وحوانيت الخناقين والقصابين والسفاجين والمواضُ المعدةُ لطبخ الغزل والفوالين؛ الجزنائي، جَنَى زهرة الآس (ص44).

(5) الجزنائي، جَنَى زهرة الآس (ص43-44).

(6) ومن أبدع قصورها قصر السيد أبي يحيى بن أبي يعقوب بن عبد المؤمن، وهو على متن النهر الأعظم، تحمله أقواس، وقال بعد إتقانه، أحببت أن يبقى لي في بلاد قرطبة أثر أذكر به على رغمهم لما بقي في رؤوسهم من الخلافة المروانيّة؛ المقري، نفح الطيب (ج470/1)؛ سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس (ج151/1).

(7) انظر صورة قاعة قصر لسفراء في إشبيلية؛ السويدان، الأندلس التاريخ المصور (ص362).

(8) عندما شرع المنصور في بنائها أجرى وسطها الماء العذب إلى أن كمل أمرها؛ الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص354).

(9) ابن عذارى، البيان المغرب "قسم الموحدين" (ص182).

قيسارية عظيمة لم يبن في مدن الإسلام أعظم منها، وأمر بعمارتها أول سنة 585هـ[1]، ولذلك صارت مراكش مركزاً للتجارة الداخلية بين مدن الشمال ومدن الجنوب، مما أدى لازدهارها التجاري[2]، وقد حظيت كعاصمة للإمبراطورية الموحدية، بكل ما يناسبها من رعاية وتحصين عسكري[3]، كما بنى المنصور في فاس بحيرة، فيها من المتنزهات، والبساتين، والعمران العظيم، والمصانع، والبركة[4].

وأخيراً نرى أن المنصور استطاع أن يمزج بين المدنية الحضارية والقوة الجهادية في إنشاء الممالك والدول الراسخة للإسلام وأهله، ويشهد التاريخ أن القيادات إن كانت تعتمد فقط على الحرب والقتال دون رؤية حضارية مدنية فقد تسقط، فالمدنية جزء أساسي تقوم عليه حضارات الشعوب والأديان، ولذلك لما هاجر الرسول ﷺ إلى يثرب سماها المدينة المنورة فقد حمل هذا الاسم التأصيلي الطابع الديني الثقافي حيث سميت بنور الإسلام، وحمل الطابع الحضاري المدني فسميت المدينة نسبة إلى التمدن والحضارة، ليؤكد أن الإسلام دين يجمع بين روحانيات الهدى وأنوارها وعراقة الحضارة ومدنيتها.

ويمكن القول أن دولة الموحدين وغيرها من الدول الإسلامية أنشأت حضارة عريقة في الأندلس لا تزال آثارها باقية إلى الآن[5]، لا سيما في عهد يعسوبهم يعقوب المنصور خاصة، الذي شيد واهتم بعظمة البناء[6]، ويمكن مشاهدة صور حية لتلك الحضارة الإسلامية وبقاياها من مساجد ومنارات وقصور وحصون ومدن وغيرها الكثير، في كتاب الأندلس التاريخ المصور[7] حيث ملأت الصور الحية عن بلاد الأندلس معظم صفحات الكتاب، وزخرت به، وكذلك كتاب الآثار الأندلسية الباقية في أسبانيا والبرتغال[8]، وقد احتوت صفحاته على عدد كبير لا بأس به، من الصور الأندلسية الحية، عن التراث الديني، والفني، والعمراني، والصناعي، والعلمي، والزراعي، والجغرافي، وغيرها من الآثار، والبرنامج الذي عرضته الجزيرة الوثائقية عن الأندلس[9].

---

(1) السَّمْلالي، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات (ج1/ص59).

(2) حسن: حسن علي، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس (ص269).

(3) العبادي، صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس (ص209).

(4) ابن فضل الله، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (ج184/4).

(5) يؤكد الدكتور حسن علي حسن أن الرخاء الذي شهدته المنطقة كان ناتجاً عن إدارة مالية منظمة، فضلاً عن ازدهار زراعي وتقدم صناعي، ونشاط تجاري؛ الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس (ص183).

(6) المنوني، العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين (ص252).

(7) انظر: سويدان.

(8) انظر: عنان.

(9) الأندلسيون (فيلم).

المبحث الثالث:

حسن التدبير السياسي

كان المنصور أكثر الخلفاء الموحدين إصابة بالظن، كان لا يكاد يظن شيئًا إلا وقع، مجربًا للأمور، عارفًا بأصول الشر والخير وفروعهما، ولي الوزارة أيام أبيه فبحث عن الأمور بحثًا شافيًا، وطالع أحوال العمال والولاة والقضاة وسائر من ترجع إليه الأمور مطالعة أفادته معرفة جزئيات الأمور؛ فدبرها بحسب ذلك، فجرت أموره على قريب من الاستقامة والسداد، حسبما يقتضيه الزمان والإقليم[1]، وبهذا إن خبرة المنصور السابقة أهلته لأن يكون ملك الموحدين، وذا تدبير سياسي ناجح بينهم، وقد ظهرت حنكته السياسية في خمسة مواضع:

الأولى: فن معالجة الأزمات، وإدارة أمور الدولة:

كَانَ الْمَنْصُور رَحمَه الله ذَا رَأْي وحزم وَدين وسياسة[2]، وكان له من إخوته وعمومته منافسون لا يرونه أهلاً للإمارة، ولما استوثق أمره عبر البحر بعساكره وسار حتى نزل مدينة سلا، وبها تمت بيعته واستجاب له من تلكأ من أعمامه بعد أن ملأ أيديهم أموالاً وأقطعهم الأقطاع الواسعة[3]، وَكَانَ الْمَنْصُور يحسن التوقيع بقوة، كمَا وَقع على كتاب الأذفونش حين تحداه في وقعة الارك على ما سنفصل، وطلب يوماً من قاضيه أن يضبط له رجلين يعلماه، وذلك لكي يحسن الخلافة من بعده، وعندما قدم إلى مراكش، أَخذ الْبيعَة لوَلَده أبي عبد الله مُحَمَّد الناصر[4] لدين الله، فَبَايعهُ كَافَّة الْمُوَحِّدين وَسَائِر أهل الْأَمْصَار فَلَمَّا تمت الْبيعَة للناصر الْمَذْكُور وَجلسَ فِي مَحل الْخلَافَة وَجَرت الْأَحْكَام والأوامر باسمه وعَلى يَدَيْهِ فِي حَيَاة أَبِيه، دخل الْمَنْصُور قصره فَلَزِمَهُ[5]، وبذلك جمع الأمة ووحد الكلمة فلا يحصل النزاع والخروج على السلطان كما كان في عهده، وحسن تدبيره مع الأذفونش هو الذي أهله للنصر عليه في غزوة الأرك، كما أن سياسته مع أعمامه حالت بينهم وبين رفض بيعته، فتوحيد الصف يجلب النصر، وتشتيته وتقسيمه يأتي

---

(1) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص192).

(2) السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج198/2).

(3) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص195)؛ مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس (ص223)؛ السرجاني، قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط (ص584).

(4) تؤكد الدكتوره ليلى النجار أن الملوك الموحدون حرصوا على إعداد ولي العهد قبل استلامه مقاليد الحكم، بتوليته بعض الأقاليم، وتثقيفه، وهذا ما فعله المنصور مع ابنه الناصر، حيث جعله يمارس مهام الحكم تحت إشرافه، واختار له عدداً من الأساتذة البارزين لتعليمه؛ المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي (مج350/2-351).

(5) السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج201/2-203).

بالهزيمة، وقد أمر رسول الله ﷺ بلزوم الجماعة، فقال: "لَيْسَ أَحَدٌ يُفَارِقُ الجَمَاعَةَ شِبْرًا فَيَمُوتُ، إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً"[1]، وقال ﷺ: "فَعَلَيْكَ بِالْجَمَاعَةِ، فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ مِنَ الْغَنَمِ الْقَاصِيَةَ"[2].

الثانية: تفخيم البلد وتحسين السلطان:

لما مات أبو المنصور كان في صحبته، فباشر تدبير المملكة من الأندلس، فرتب قواعدها، وأصلح شأنها وقرر المقاتلين في مراكزها ومهد مصالحها في مدة شهرين[3]، وهذا يرد على المستشرق إستانلى لين بول الذي زعم أن اختيار الموحدين للمغرب كحاضرة لملكهم، أضعف قبضتهم على الأندلس، وزلزلت اقدامهم فيها، بسبب صعوبة ضبط ولايات الأندلس المضطربة بنواب يرسلون من مراكش[4]، مع العلم أن الموحدين كانوا يجعلون على الأندلس ولاة وقضاة منها، كما ذكرنا بعض أسمائهم خلال الدراسة.

ثم اتجه المنصور إلى المغرب فضبط الثغور وحصن الْبِلَاد وَبنى الْمَسَاجِد والمدارس فِي بِلَاد إفريقية وَالْمغْرب والأندلس وَبنى البيرمانستانات للمرضى والمجانين وَبنى الصوامع والقناطر وحفر الْآبَار للْمَاء فِي الْبَريَّة وَاتخذ عَلَيْهَا الْمنَازل من السوس الْأَقْصَى إِلَى سويقة بن مصكوك فَكَانَت أَيَّامه زِينَة للدهر وشرفا لِلْإِسْلَامِ وَأَهله[5]، فكان أسطوله من أكبر الأساطيل في وقته[6]، وكان قد عظم ملكه واتسعت دائرة سلطانه حتى لم يبق بجميع أقطار بلاد المغرب من البحر المحيط إلى برقة[7] إلا من هو في طاعته وداخل ولايته، إلى غير ذلك من جزيرة الأندلس[8]، فهو وَاسِطَة عقد مُلُوك الْمُوَحِّدين الَّذِي ضخم الدولة[9] وشرفها [10]، ويعد عصره أفضل عصور

---

(1) [البخاري: الجامع الصحيح، الأحكام/السمع والطاعة للإمام، 63/9: رقم الحديث 7143].

(2) [الحاكم: المستدرك على الصحيحين، الطهارة/الإمامة وصلاة الجماعة، 330/1: رقم الحديث 765].

(3) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (ج4/7).

(4) قصة العرب في إسبانيا (ص184).

(5) اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان (ج365/3).

(6) المنوني، العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين (ص13).

(7) سيتم التعريف بمكان هذه المدينة وموقعها جغرافياً لاحقاً بإذن الله تعالى.

(8) السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج198/2)؛ العينى، عِقْدُ الجُمَان "العصر الأيوبي" (ج89/3)؛ مقديش، نزهة الأنظار (ج474/1).

(9) يقول الأستاذ عبد الله السويسي أن المنصور أقام إمبراطورية امتدت حدودها من ساحل المحيط الأطلسي إلى طرابلس الغرب شرقاً، ومن إسبانيا شمالاً إلى نهري النيجر والسنيغال جنوباً؛ تاريخ رباط الفتح (ص14).

(10) السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج198/2)؛ العينى، عِقْدُ الجُمَان "العصر الأيوبي" (ج89/3).

الموحدين[1] وهو العصر الذهبي لدولتهم[2]، ويؤكد الأستاذ عبد الله السويسي على ذلك قائلاً أن مؤهلات المنصور، واختياره لرجال الدولة، جعلته في طليعة العباقرة، كرجل دولة من الطراز الأول، وجعلت دولته أقوى دولة عرفتها أفريقية والأندلس، وجعلت عصره فترة ذهبية في تاريخ الإسلام[3]، والذروة التي وصل إليها التطور السياسي في المغرب نحو التوحيد واقامة الدولة الكبرى الموحدية[4]، وإن تعظيم الممالك وضبطها وإدارتها بكفاءةٍ عالية لهو من أسباب النجاح والنصر وتركها وإهمالها يكون ثغرة للأعداء للولوج إليها واقتحامها وانتزاعها.

الثالثة: نشر الأمان في سلطان مملكته:

كَانَت أَيَّامه أَيَّام دعة وَأمن ورخاء ورفاهية وبهجة صنع الله عز وَجل فِي أَيَّامه الْأَمْن بالمشرق وَالْمغْرب والأندلس فَكَانَت الظعينة[5] تخرج من بِلَاد نول لمطة[6] حتى تصل برقة[7]

---

(1) الصَّلاَّبي، دولة الموحدين (ص162).

(2) المراكشي، وثائق المرابطين والموحدين (ص118)؛ السرجاني، قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط (ص578)؛ الصَّلاَّبي، دولة الموحدين (ص166).

(3) تاريخ رباط الفتح (ص38).

(4) الصَّلاَّبي، دولة الموحدين (ص166).

(5) وهذا يذكرنا بالحديث الذي يرويه عَدِيّ بْنِ حَاتِمٍ، حيث قَالَ له رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَيْفَ بِكَ إِذَا أَقْبَلَتِ الظَّعِينَةُ مِنْ أَقْصَى الْيَمَنِ إِلَى قُصُورِ الْحِيرَةِ لَا تَخَافُ إِلَّا اللَّهَ»، وقد حدث ما أخبر به النبي ﷺ؛ انظر: (الحميدي: مسند الحميدي، حديث عدي بن حاتم الطائي، 160/2: رقم الحديث 940].

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لعَدِيّ بْنِ حَاتِمٍ: «فَإِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ، لَتَرَيَنَّ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الحِيرَةِ، حَتَّى تَطُوفَ بِالكَعْبَةِ لاَ تَخَافُ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ»، وقد حدث ما أخبر به النبيﷺ؛ [البخاري: الصحيح الجامع، المناقب/علامات النبوة في الإسلام، 197/4: رقم الحديث 3595].

(6) نول لَمْطَةُ: مدينة كبيرة لقبيلة من البربر تقع بأقصى المغرب من بلاد السوس الأقصى بالجنوب، في أول الصحراء على نهر كبير يصب في البحر المحيط، وبينها وبين درعة ثلاث مراحل، وبها ثروة حيوانية كبيرة، وبها معادن ملحية، ومياه عذبة، وقد كانت حاضرة لقبيلة المغرب لمطة؛ الحموي، معجم البلدان (ج23/5)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج1208/3)؛ الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص584)؛ البكري، المسالك والممالك (ج854/2)؛ الحموي، معجم البلدان (ج312/5)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج1396/3).

(7) برقة: مدينة جليلة كبيرة بحرية واسعة قديمة حصينة، تقع في الإقليم الثالث من بلاد المغرب بين الإسكندرية وإفريقية، وهي متصلة بحدود مصر، والطريق من برقة إلى المغرب إلى مليتية 15 ميلاً، وطول مدينة برقة 63 درجة وعرضها 33 درجة، افتتحها المسلمون بقيادة عمرو بن العاص صلحاً سنة 21هـ، وألزم أهلها الجزية، وقد أسلم كثير منهم، وقد كانت ذات تجارات كثيرة، عامرة بالبربر، وبها عيون ماء جارية، وضياع ومزارع ومروج حسنة، وثمار متنوعة، وخيرات كثيرة، وهوائها صحيح، وأرضها خصبة =

وحدها لا يعترضها أحد بسوء[1]، وكان من نتائج هذه العملية أن مُهِّدَت الطريق لمن أراد أن يسافر من المغرب أو إليه للعلم أو للسياحة[2].

ولتحقيق الأمن أمر المنصور بتمييز اليهود في سنة 595هـ بارتداء ملابس طول قمصانها وعرضها ذراع[3]، وكانت ثيابهم كُحلية ذات أكمام مفرطة السعة تصل إلى أقدامهم، وبدلًا من العمائم[4]، جعل لهم قلانس زرق[5]، كلوتات على أشنع صورة كأنها البراديع تبلغ إلى تحت آذانهم؛ فشاع هذا الزي في جميع يهود[6] المغرب[7].

وذلك لما علم أن جماعات من تجار اليهود كانوا في صفوف الروم عند وقعة الأرك الكبرى، أحضروا أموالهم لشراء المسلمين الأسرى وأسلابهم إن حلت الهزيمة على الموحدين[8]،

= وعرة، وبها مرسى للسفن، وثروة حيوانية، ويُنْسَبُ إِلَى برقة جَمَاعَة من أهل العلم؛ مجهول، حدود العالم من المشرق الى المغرب (ص180)؛ العزيزي، المسالك والممالك (ص46-47)؛ زين الدين، الأماكن (ص116)؛ الهروي، الإشارات إلى معرفة الزيارات (ص51)؛ الحموي، معجم البلدان (ج1/388-389)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج1/186-187)؛ ابن فضل الله، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (ج3/502-504)؛ ابن خرداذبة، المسالك والممالك (ص85)؛ الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص91)؛ اليعقوبي، البلدان (ص181).

(1) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس (ص217-218)؛ ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار أفريقية وتونس (ص114).

(2) المنوني، العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين (ص17).

(3) الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية (ص16).

(4) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص223)؛ الجزائري، تاريخ الجزائر في القديم والحديث (ج2/331).

(5) الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية (ص16).

(6) يؤكد الأستاذ الدكتور خالد الخالدي قائلاً أنه عند التأمل في هذه الرواية يتبيّن وجود يهود في الأندلس يعلنون عن دينهم، بدليل أنه يفرض عليهم زياً خاصاً، ولو أنهم كانوا يُكرهون على الإسلام، ويضطرون للتظاهر به، لما فرض عليهم زياً ؛ الخالدي، اليهود في الأندلس (ص197).
فيفهم من ذلك أن الحرية الدينية كانت مكفولة لهم، وإنما جاء فرض الزي بهذا الشكل الغريب من باب الحذر وتحقيق الأمن.

(7) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص223)؛ الجزائري، تاريخ الجزائر في القديم والحديث (ج2/331).

(8) الضبي، بغية الملتمس (ص45)؛ الحجي، التاريخ الأندلسي (ص486).

حتى أن ابن الفخار اليهودي[1] هو الذي أنشأ الكتاب المتعجرف الذي أرسله الأذفونش يتحدى به ملك الموحدين المنصور يعقوب[2]، كما أنهم كانوا يتشبهون في لباسهم بملابس علية القوم في الدولة الموحدية، ويتظاهرون بالإسلام في أحوالهم، ويبطنون الكفر والنفاق[3]، بل إن اليهود كما أورد صاحب كتاب الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة[4]، كانوا يحتالون في صناعة الدنانير الموحدية وغيرها، ويعملون على خداع من يسعى في تبديله في معاملات الصيرفة[5].

وقد كان اليهود صناعتهم البناء في زمن دولة بني الناصر، أما في زمن المنصور فهم تجار البلاد وأغنياؤها وخاصة بمدينة فاس ومنهم من يملك الأموال الطائلة والرجال، وكانوا يتعاملون بالرشوة والربا، ويخدعون التجار ويسرقوهم[6]، فقام المنصور بعزلهم عن هذه المهنة ونزع ممتلكاتهم[7]، ومن هنا تأثرت حركتهم التجارية بالأوضاع التي اتخذتها الدولة ضدهم نظراً لعدم ثقتها بهم[8]، وهذا دفع عدد كبير من اليهود إلى مغادرة المدن الإسلامية في عهد الموحدين والانتقال إلى أوروبا، من جراء تلك العقوبات الرادعة[9]، كما فطن المنصور أن اليهود أهل غدر في الدولة التي تحتويهم وأهل فساد في اقتصادهم وتجارتهم فأراد أن يميزهم بلباس كي يحذر

---

(1) الطَّبِيب أَبُو إِسْحَاق إِبْرَاهِيم بن الفخار الْيَهُودِيّ: سَاد فِي طليطلة وَصَارَ رَسُولا من ملكهَا النَّصْرَانِي أذفونش إِلَى أَئِمَّة بني عبد الْمُؤمن بِحَضْرَة مراكش وَكَانَ وَالِدي يصفه بالتفنن فِي الشّعْر وَمَعْرِفَة الْعُلُوم الْقَدِيمَة والمنطق وَقد أبصرته فِي إشبيلية وَله جاه عريض وأنشدني لنَفسِهِ قَوْله فِي أذفونش:- حَضْرَةُ الأذفونش لابرحت ... غَضةً أَيامُها عُرُسُ___فاخلَعِ النَّعْلَينِ تَكْرِمَةً ... فِي ثَرَاها إِنَّها قُدُسُ؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب (ج23/2).

(2) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (ج6/7)؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس (ج198/5)؛ السويسي، تاريخ رباط الفتح (ص26).

(3) النجار، المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي (مج399/2).

(4) السكة: وهي الختم على الدّنانير والدّراهم المتعامل بها بين النّاس بطابع حديد ينقش فيه صور أو كلمات مقلوبة ويضرب بها على الدّينار أو الدّرهم، بوزن معيّن صحيح يصطلح، ولفظ السّكّة كان اسما للطّابع وهي الحديدة المتّخذة لذلك ثمّ نقل إلى أثرها وهي النّقوش الماثلة على الدّنانير والدّراهم ثمّ نقل إلى القيام على ذلك والنّظر في شأنه وهي الوظيفة ؛ ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر (مج322/1).

(5) الحكيم، (مج59/6).

(6) مراكشي مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار (ج202/1).

(7) النجار، المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي (مج457/2-458) = نقلاً عن: Hirschberg، Ahistory of the Jews in north africa [p. 202].

(8) النجار، المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي (مج458/2).

(9) النجار، المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي (مج516/2).

المسلمون منهم وأن يذلهم[1] فيكونوا كالشواذ كما كانت نياتهم أن يذلوا المسلمين، فطبق فيهم قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ.. (71)**﴾ [2]"، وقوله: ﴿ **أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾[3]، ففهم الوصية العمرية، وبهذا أطاع اللهَ واستحق نصره بالحذر من أعداء الله ورسوله كاليهود والنصارى، الذين يقاتلون المسلمين كافة.

الرابعة: احتواء أهل دولته وأعدائه بالحكمة والموعظة الحسنة:

فعندما هزم الموحدون في اللقاء الأول مع ثوار بني غانية، وقتلوا وهلك أكثرهم عطشًا، ورجع بقيتهم إلى تونس[4] حيث يعقوب المنصور، لم شَعَثهم، وجَبَر ضعف أحوالهم[5]، وسرح أعيان الطلبة إلى المنهزمين بتهوين الخَطْب[6]، فلم يؤنبهم بل احتواهم برفق ولين كما فعل النبي ﷺ مع مجاهدي معركة مؤتة، فارتفعت بذلك معنوياتهم.

بل وخرج بنفسه حتى لقي علي بن غانية بموضع يعرف بحامة دُقْيُوس، وهزمهم[7].

---

(1) ينقل الدكتور هشام أبو رمليه عن هيرسبرج قوله بأن اليهود دفعوا ثمناً باهظاً مقابل إقامتهم بالمغرب، إلا أن وضعهم في المغرب والأندلس تحت حكم المسلمين كان أفضل بكثير من وضع بني جلدتهم تحت حكم النصارى؛ علاقات الموحدين بالممالك النصرانية (ص343) = نقلاً عن:Hirschberg ، Ahistory of the Jews in north africa [p. 201، 204.]383

(2) [النساء: 71].

(3) [المائدة: 54].

(4) تونس: مدينة إسلامية جليلة كبيرة حصينة قديمة البناء، تقع بالمغرب على سفح جبل أم عمرو، على ساحل بحر الروم، تقابل الأندلس، بها بحيرة كبيرة، ومياه أبار مالحة، بها ثروة سمكية، وهي خصبة الأرض، بها بساتين كثيرة، متنوعة الزرع، طيبة الثمار، صحيحة الهواء، طيبة الماء، كثيرة الخيرات، وكان اسمها القديم ترشيش، افتتحها حسّان بن النعمان وهزم الروم فيها، وملكها عنوة سنة 70هـ، واختطها سنة 80هـ، وقد كانت قصبة بلاد إفريقية، وينسب إليها كثيراً من أهل العلم والفقه، دخلها عبد المؤمن بن علي فاتحاً لها سنة 554هـ؛ مجهول، حدود العالم من المشرق الى المغرب (ص180)؛ العزيزي، المسالك والممالك (ص48)؛ البكري، المسالك والممالك (ج2/693-698)؛ الهروي، الإشارات إلى معرفة الزيارات (ص51)؛ الحموي، معجم البلدان (ج2/60-62)؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد (ص173-174)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج1/282)؛ الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص143-144).

(5) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص199).

(6) الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص414).

(7) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص199).

وقد عرف عن المنصور احتوائه لأعدائه بالحكمة واللين وذلك لتقوية الروابط ولم الشمل وتوحيد الصف، وقد قال تعالى: ﴿**وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (46)**﴾ [1]"، فقد عفى المنصور في عهده عن أبي العباس أحمد بن حنون الإشبيلي[2] الذي اتهم بالخروج على سلطان الموحدين[3] بإشبيلية في زمن يوسف بن عبد المؤمن[4]، وفي مواجهة المنصور مع ثوار بني غانية عندما فتح مَدِينَة قابس[5] نقل من كَانَ بهَا من حرم ابْن غانية وَذَوِيهِ فِي الْبَحْر إِلَى تونس[6]، ثم اتجه لفتح مدينة قفصة التي استولى عليها الثوار، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ التُّرْكُ الَّذِينَ فِيهَا يَطْلُبُونَ الْأَمَانَ لِأَنْفُسِهِمْ وَلِأَهْلِ الْبَلَدِ[7]، فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ وَخَرَجَ الْأَتْرَاكُ مِنْهَا سَالِمِينَ[8] فنقلهم إلى الثغور لشجاعتهم واحتواهم في أمور الجهاد[9]، وقد أتاه

---

(1) [الأنفال: 46].

(2) أَبُو الْعَبَّاس أَحْمد بن حنون الإشبيلي: من بيُوت اشبيلية وأغنيائها وكان شاعرًا مجُيدًا حسَنَ التصرُّف في أفانينِ النّظم بارعَ التشبيهاتِ بديعَ الاستعاراتِ متقدّمًا في المُقَطَّعات، وَله موشحات مَشْهُورَة؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب (ج249/1)؛ الأوسي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (ج288/1).

(3) المقري، نفح الطيب (ج206/3).

(4) ابن سعيد، رايات المُبرَّزين وغايات المميزين (ص58).

(5) قابِسٍ: مدينة جليلة كبيرة بحرية صحراوية حصينة منيعة قديمة تقع في الإقليم الرابع بالمغرب من بلاد إفريقية، بين طرابلس وصفاقص ثم المهدية على ساحل البحر، وعرضها خمس وثلاثون درجة، بها مرفأ للسفن من كل مكان، فتحها المسلمون سنة 27هـ، فيها مياه جارية مطردة ووديان، وبساتين مثمرة، وجنات مخضرة،، بأصناف الثمار المتنوعة، وهي صحيحة الهواء، ويُنْسَبُ إليها نفرٌ من أهل العلم؛ العزيزي، المسالك والممالك (ص50)؛ زين الدين، الأماكن (ص753)؛ الحموي، معجم البلدان (ج289/4–290)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج1054/3)؛ الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص450–452).

(6) الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص201)؛ السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج161/2).

(7) رغب الأغزاز في عتق رقابهم على أن يكونوا مماليكا للخليفة، وأسلموا من سواهم، فعفي الخليفة عن جرمهم وأعتقهم، وترك أهل قفصة في بلدهم؛ مراكشي مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار (ج151/1).

(8) ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج13/10)؛ مراكشي مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار (ج151/1).

(9) العيني، عِقْدُ الجُمَان "العصر الأيوبي" (ج87/2).

قراقوش كذلك منيباً فقبله[1] هو وأحد زعماء الأغزاز الترك المعروف بأبي زيان[2]، ثم اتجه إِلَى عرب إفريقية ففتك بهم، فجاؤوه تَائِبين خاضعين فَنقل أهل الْفِتْنَة وَالْخلاف مِنْهُم إِلَى الْمغرب الْأَقْصَى[3]، وَرجع إِلَى مراكش[4]، ثم نقل الْكثير مِنَ العرب إِلَى الْمغرب الْأَقْصَى فاستوطنوه[5] بحللهم وخيامهم[6]، وذلك ليكونوا تحت رقابته المستمرة[7]، وليأمن شرهم، وينجيهم من أذى أنفسهم، ولا يطعنوه في ظهره أثناء جهاده مع عدوه النصراني مرة أخرى.

حتى سادت كلمة الموحدين سنة 587هـ، في بلاد الصحراء متصلة من طرابلس[8]

---

(1) مراكشي مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار (ج111/1)؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس (ج165/5).

(2) بروفنصال، مجموع رسائل موحدية (ص198).

(3) السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج161/2-162)؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس (ص275).

(4) كتب أبو الفضل بن محشرة إلى طلبة مراكش سنة 584هـ، يخبرهم برجوعه من إفريقية إلى المغرب الأقصى؛ انظر: بروفنصال، مجموع رسائل موحدية (ص210-218).

(5) وَكَانَ الَّذين قَاتلُوا المنصور أَولا ثمَّ راجعوا طَاعَته ثَانِيًا هم قبائل هِلَال بن عَامر وجشم بن مُعَاوِيَة بن بكر، فَأنْزل قَبيلَة ريَاح من بني هِلَال بِبِلَاد الهبط فِيمَا بَين قصر كتامة الْكَبِير إِلَى أزغار الْبَسِيط الأفيح هُنَاكَ إِلَى سَاحل الْبَحْر الْأَخْضَر فاستقروا بهَا وطاب لَهُم الْمقَام، وَأنزل قبائل جشم بِلَاد تامسنا الْبَسِيط الأفيح مَا بَين سلا ومراكش وَهُوَ أَوسط بِلَاد الْمغرب الْأَقْصَى وأبعدها عَن الثنايا المفضية إِلَى القفار لإحاطة جبل الدَّرن بهَا فَلم يبمموا بعْدهَا قفرا وَلَا أبعدوا رحْلَة؛ السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج168/2-169).

(6) السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج168/2-169).

(7) حسن: حسن علي، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس (ص314).

(8) مدينة طرابلس: مدينة إفريقية جليلة عظيمة حصينة قديمة تقع في الإقليم الرابع على ساحل البحر الرومي، وتبعد عن خط المغرب 36 درجة، وعن خط الاستواء 34 درجة، فتحها عمرو بن العاص عنوة من الروم سنة 23هـ، والمدينة عامرة بالسكان، فيها آبار مائية، وبساتين كثيرة، متنوعة الثمار، كثيرة الخيرات والتجارات، وفيها مرسى عظيم للسفن؛ المنجم، آكام المرجان (ص96-97)؛ الحموي، معجم البلدان (ج25/4)؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد (ص408)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج882/2)؛ الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص389-391).

إلى مدينة غانة[1] وكوكو[2] في قارة أفريقيا[3].

وهذا يرد على افتراءات المستشرق يوسف أشياخ في كتابه تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، حيث أورد أن المنصور لما هزم الثوار في فاس استرد المدينة، وقتل أهلها عقاباً لهم، بل حتى وصل من كذب أشياخ هذا أن عمم هذا الموقف فقال بأنه تم إخماد الثورة في الولايات بمثل هذا الإرهاب والعنف[4]، ضارباً بعرض الحائط كتب المؤرخين المسلمين التي وصلت لأكثر من مصدر تشهد باللين والحكمة التي اتصف بها يعقوب في احتواء أهل دعوته، بل كما سنذكر لاحقاً أنه لما قدم الأغزاز والترك تألفهم المنصور وأكرمهم بالعطايا، وبعد ثوراتهم استكانوا بل شارك أعداد كبيرة منهم في معركة الأرك الخالدة، في موقف وحد فيه العرب والبربر[5] والسودان[6] .....

(1) غانة: مدينة كبيرة تقع بسمرقند في جنوبي المغرب متصلة ببلاد السودان، وقد انقسمت لمدينتين سهليّتين إحداهما للعامة كبيرة، وأخرى لبيت الملك، وهي عامرة بالسكان، وفيها العلماء والفقهاء والصالحون والزهاد، وبها معادن متنوعة كثيرة، وغابة وأشجار، ومياه آبار عذبة؛ البكري، المسالك والممالك (ج871/2-874)؛ الحموي، معجم البلدان (ج184/4)؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد (ص57)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج981/2)؛ الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص425-426).

(2) كوكو: مدينة كبيرة مشهورة تقع في الإقليم الأول من بلاد السودان على ضفة النهر، وعرضها 10 درجات، بها ثروة حيوانية كبيرة، وفيها نوع غريب من النباتات؛ العزيزي، المسالك والممالك (ص55)؛ الحموي، معجم البلدان (ج495/4)؛ الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص502-503).

(3) مراكشي مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار (ج111/1).

(4) (ج329/2).

(5) البربر: وأمّا البربر فإنّ ديارهم كانت فلسطين من بلاد الشّام وكان ملكهم جالوت، الذي قتله نبي الله داود، فساروا إلى المغرب فتفرّقوا في بلاد إفريقية وطنجة إلى أقاصي بلاد المغرب على البحر المحيط، وفي الجنوب إلى بلاد السودان، والبربر أمم عظيمة وقبائل كثيرة وشعوب جمّة، وينسبون إلى بربر بن نبيط بن حام بن نوح، وهم جفاة الأخلاق، ومن أهم أسماء قبائلهم: أوربة، صنهاجة، كتامة، أوريغا، عجيسة، أسداجة، مصمودة، لمطة، هسكورة، كزولة، ضريسة، لواتة، أوداسة، نفوسة؛ البكري، المسالك والممالك (ج328/1-329)؛ الحموي، معجم البلدان (ج369/1)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج176/1).

(6) السودان: بلاد عظيمة كبيرة جليلة واسعة، آخذة في الطول من بحر المغرب إلى بحر القلزم، يحدها من الشرق الحبشة ومن الجنوب البراري، ومن الغرب بحر أوقيانوس، ومن الشمال بلاد المغرب، وهي بلاد كثيرة الوحوش والدواب العظيمة، وكثيرة الذهب، ومناخها شديد الحرارة، أشجارها عظيمة، وأهلها ينسبون إلى كوش بن كنعان، وقد كان أعظم ممالكها بلاد الحبشة؛ المنجم، آكام المرجان (ص103)؛ مجهول، حدود العالم من المشرق الى المغرب (ص205)؛ البكري، المسالك والممالك (ج320/1)؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد (ص24)؛ ابن فضل الله، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (ج185/5).

والحبشة[1] والأغزاز الترك[2] في الجهاد في سبيل الله تعالى، ولكن الحقد عند شياطين المستشرقين يدفعهم لإثارة النعرات والطائفية بين الصف الإسلامي، كما فعل ذلك الاستعمار الذي جاء بالخراب والدمار على المسلمين.

بل إن ابن خلدون الذي يؤرخ وينقل عنه أشياخ في عنف المنصور الموحدي ذكر أن المنصور بعد فتح قابس وبعد فتح توزر، واستسلم أهلها وأتوه طائعين عفا عنهم، فكان يقتل فقط الثوار الميورقيين، كما فعل بقفصة[3] لما نزلوا على حكمه[4].

الخامسة: مساندته لغرباء المسلمين، ونصرته لإخوانه:

فقد كان المنصور يستشعر جيداً أحوال الصحابة ﷺ عندما آخى الرسول ﷺ بين المهاجرين والأنصار، فقام بتطبيق ذلك الدور بشكل عملي على نحو آخر.

فعندما حضر الغز من مصر إلى المغرب عام 582-583هـ،.. أحسن المنصور نزلهم، وبالغ في تكرمتهم[5]، وجعل لهم مزية ظاهرة على الموحدين، وذلك أن الموحدين يأخذون راتبهم

---

(1) بلاد الحبشة: أرض هضبية واسعة طويلة صحراوية مرتفعة، تقع في قارة أفريقية غرب اليمن يفصلها عنهما البحر الأحمر، يحدها من الشمال الخليج البربري، ومن الجنوب البر، ومن الشرق بلاد الزنج، ومن الغرب البجة، مناخها حار جداً، قليلة الماء والمطر، وسواد لونهم لشدة الاحتراق، أعداد الناس بها كبير جداً، وأكثر أهلها نصارى يعاقبة، والمسلمون بها قليل، حيث أن الإسلام فتح عدة مناطق من أطرافها، فمنهم ملكهم النجاشي الذي آمن بالرسول، ومنهم أبرهة الحبشي الذ حاول هدم الكعبة في أول الزمان، ومنهم ذو السويقتين الذي سيهدم الكعبة ويخربها فعلاً في آخر الزمان كما أخبر بذلك الرسول، ويطلق اليوم على دولتهم أَثْيُوبْيَا وَعَاصِمَتُهَا أَدِيسْ أَبَابَا، وأصبحت دولة جمهورية؛ مجهول، حدود العالم من المشرق الى المغرب (ص203)؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد (ص20-22)؛ الحربي، معجم الْمَعَالِمِ الْجُغْرَافِيَّةِ (ص91-92)؛ شراب، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة (ص96)؛ سراج الدين، خريدة العجائب وفريدة الغرائب (ص448).

(2) التّرك: وهي بلاد عظيمة واسعة، تتصل بالبحر الشامي بالشمال، وبلاد التغزغز في الشرق، عدد مدائنها 16 مدينة، وهم أكثر أجناس العالم، والغز من أجناس الترك، أهل بأس، ومناخهم برد قارس، وببلادهم نهر؛ ابن الفقيه، البلدان (ص634)؛ المنجم، آكام المرجان (ص124-125)؛ الغزي، نهر الذهب في تاريخ حلب (ج101/3).

(3) حيث أن المنصور عندما استرجع قفصة ذبح الثوار الميورقيين عن آخرهم؛ الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية (ص16).

(4) ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر (مج257/6).

(5) وقد شملهم المنصور الموحدي في وصيته قبل وفاته، وأكد على حقهم، والاهتمام بأمرهم، وصيانة شئونهم؛ ابن عذارى، البيان المغرب "قسم الموحدين" (ص232).

في كل أربعة أشهر، أما راتب الغز ففي كل شهر بلا توقف، وقال: الفرق بين هؤلاء وبين الموحدين أن هؤلاء غرباء لا شيء لهم في البلاد يرجعون إليه سوى رواتبهم، أما الموحدون فلهم الأقطاع والأموال المتأصلة، هذا مع أنه أقطع أعيان الغز كأقطاع الموحدين وأوسع[1]، وعندما قدم تقي الدين قراقوش والقاضي عماد الدين مع جماعة في ثمانينيات القرن 6هـ، أكرمهم المنصور وأقطعهم، فقد أقطع رجلًا منهم يعرف بأحمد الحاجب، مواضع ليس لأحد من قرابته مثلها؛ وأقطع الأمير شعبان[2]، وهو أحد أمراء الغز قرى كثيرة تغل في السنة نحو 9 آلاف دينار، هذا فضلاً عن رواتبهم الكثيرة التي ليس لأحد من الأجناد غيرهم مثلها[3]، وقد صدق رسول الله ﷺ عندما قال: "يَا أَيهَا النَّاس أَلا إِن ربكُم وَاحِد أَلا إِن أَبَاكُم وَاحِد أَلا لَا فضل لعربي على أعجمي وَلَا لعجمي على عَرَبِيّ وَلَا لأسود على أَحْمَر وَلَا لأحمر على أسود إِلَّا بالتقوى إِن أكْرمكُم عِنْد الله أَتْقَاكُم أَلا هَل بلغت قَالُوا: بلَى يَا رَسُول الله"[4]، وقد قال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ﴾[5]، فهذه المعاني الإيمانية العميقة في رابطة الأخوة هي التي تبني الأسرة والمجتمع، وتجعله متماسكاً أمام أعدائه، فهي في المقام الأول امتثال لأوامر الله تعالى ووصية نبيه، ومن الطاعة يتحقق النصر.

وقد ناصر المنصور رحمه الله إخوانه المجاهدين في الشام، ضد العدوان الصليبي على الأرض المقدسة.

فقد أرسل إليه السلطان صلاح الدين الأيوبي رسولاً يستنجده على الفرنج الواصلين من بلاد المغرب إلى الديار المصرية وساحل الشام، ولم يخاطبه بأمير المؤمنين، بل بأمير المسلمين، فعز عليه ذلك، ولم يجبه إلى ما طلب منه وتحرير الخبر، كما هو عند اليافعي، وابن خلكان، والمقري: "وكان قد أرسل إليه السلطان صلاح الدين عبد الرحمن من بني منقذ[6] في سنة

---

(1) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص210).

(2) قيل لم يرد المغرب من هذه الطائفة –الغز– ألطف حسًّا ولا أزكى نفسًا ولا أحسن محاضرة ولا أطيب عشرة من شعبان، وكان ينشد الشعر ويسمعه؛ المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص210).

(3) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص210)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (ج42/220).

(4) السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (579/7).

(5) [الحجرات: 10].

(6) عبد الرَّحْمَن بن مُحَمَّد بن مرشد بن منقذ أَبُو الْحَارِث شمس الدولة الشيزري، وُلِد سنة 523هـ، وكان أديبا، عالما، نبيلا، شاعرا، مُحسِنًا، مترسِّلًا، من بيت الإمارة والإقدام والفضل والأدب، توفي سنة 600هـ؛ البغدادي، تاريخ بغداد (ج21/117–118)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (ج42/441)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج18/150).

587هـ، ليستنجده على الفرنج الواصلين من بلاد المغرب إلى الديار المصرية وساحل الشام، والمحاصرين لعكا، ولم يخاطبه بأمير المؤمنين، بل بأمير المسلمين، فعز عليه ذلك، ولم يجبه إلى ما طلب منه"، وحمل الرسول على البر والكرامة[1]، لكن الباحث يؤكد على ضرورة دراسة الأوضاع الجغرافية والسياسية والعسكرية في هذه الفترة، ومدى تطوراتها، للحكم النهائي في العلاقة بين يعقوب المنصور الموحدي والناصر صلاح الدين الأيوبي:

أولاً: المشرق الإسلامي: حيث تمكن المسلمون بقيادة الناصر صلاح الدين من هزيمة الصليبيين في موقعة حطين سنة 583هـ، واستعادة بيت المقدس وتطهيره من المحتلين، وعليه أخذت الحملات الصليبية تتقاطر من غرب أوروبا براً وبحراً للعدوان على بلاد الشرق الإسلامي.

ثانياً: الوضع في بلاد إفريقية والمغرب: في الفترة ما بين 583-585هـ كان المنصور مشغولاً بقتال الثوار من بني غانية والعرب في بلاد إفريقية والمغرب وجزر البليار.

ثالثاً: الأندلس: تشير الروايات أنه في عام 585هـ توجه الملك البرتغالي إلى مدينة شلب، وقد ساعده الصليبيون الفرنج بأنواع السفن الحربية، فتمكنوا من احتلال المدينة بعد حصارها[2]، يُذْكَر أنه قدم أسطول ألماني صليبي من ستين سفينة تحمل جيشاً من الصليبيين قوامه 10 آلاف مقاتل، إلى جليقية، وكان في طريقه إلى المشرق، كما قدم أسطول إنجليزي صليبي ورسا قبالة أشبونة، فقام ملك البرتغال سانشو بإغرائهم بالأموال والغنائم، واستطاع إقناعهم بتوجيه غزوة مشتركة ضد المسلمين[3]، بعد أن أمدهم بثلاثين سفينة أخرى ضمت إلى أساطيلهم، فتمكنت الحاميات الصليبية من احتلال باجة ويابرة، كما حاصروا شلب بقسوة، فضربوها بالمجانيق وآلات الحرب، واضطروها للاستسلام سنة 585هـ، فسبي وقتل منها آلاف المسلمين، بلغ عددهم 57 ألف بين أسير وقتيل، وقسموا الغنائم بين الصليبيين[4]، واستقر كثير من الإنجليز في شلب، وقد

---

(1) مرآة الجنان وعبرة اليقظان (ج365/3)؛ وفيات الأعيان (ج12/7)؛ نفح الطيب (ج445/1)؛ بريان، آخر بني سراج (ص99).

(2) المراكش، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص-204-205)؛ ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر (ج329/6).

(3) يؤكد الدكتور عبد الرحمن علي الحجي: أن ملك البرتغال سانشو استغل انشغال المنصور بالفتن في إفريقية، فقام بمساعدة القوات الصليبية المتوجهة إلى الشرق الإسلامي، بحصار مدينة شلب، ومن ثم تمكن من احتلالها سنة 585هـ؛ التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة (ص462-463).

(4) كان معظم القادمين من الصليبيين الذين احتلوا شلب سنة 585هـ من الفلمنك – الهولنديين والبلجيكيين –؛ عبد الواحد المراكشي، وثائق المرابطين والموحدين (ص123).

كانوا يمارسون الاعتداءات بشكل متكرر بحق المسلمين في شلب[1]، عندها استنفر المنصور الناس وخرج سنة 586هـ إلى الجهاد ووافته الحشود بالأندلس فأمرهم بحصار شلب[2]، فقامت جيوش الموحدين بقيادة محمد والي قرطبة بحصار شلب، بينما زحف المنصور إلى حصن طرّش فافتتحه، ثم رجع إلى قتال شلب، فتمكنوا من فتحها سنة 587هـ، وسبي وقتل أعداد كبيرة من النصارى، ثم رجع المنصور إلى مراكش[3]، واستقبل السفير ابن منقذ في حضرته سنة 588هـ، حيث اعتذر المنصور الموحدي عن تلبية النداء[4]، وعلى هذا يعلق يوسف أشباخ أنَّه في الوقت الذي سارت فيه الجيوش الصليبية الغربية إلى محاربة صلاح الدين واسترداد بيت المقدس، كان الحضور الكبير بعد النفير العام في جميع أنحاء المغرب إلى ألوية القتال لفتح إسبانيا، وأخذ الخطر الداهم ينذر الغرب، في الوقت الذي حاول النصارى فيه أن يرفعوا الصليب في المشرق[5].

يرى بعض المحللين والمؤرخين بأنه لم يكن سبب عدم إمداد المنصور لصلاح الدين فقط لعدم تلقيبه بأمير المؤمنين[6]، في الوقت الذي لا يصحح البعض الآخر هذه الرواية[7]،

---

(1) أشباخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين (ج2/329-331)؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس (ج2/170-174).

(2) تشير الرواية النصرانية أنه في سنة 586هـ أعد ملك إنجلترا ريتشارد قلب الأسد أسطولاً كبيراً مكوناً من 100 سفينة لنقل الصليبيين إلى المشرق، وقد غادرت السفن من الميناء الإنجليزي دارتموث، فأصاب الأسطول عاصفة شديدة أدت لتشتيت السفن، وتمكنت إحدى السفن من الوصول لميناء شلب، بعد تأكدها من استمرار السيطرة النصرانية عليه، وقد طلبت المدينة من الصليبيين المساهمة في حرب جيوش الموحدين القادمة إليهم بقيادة المنصور الموحدي، مقابل ما وعدهم به الملك البرتغالي من مساعدتهم في رحلتهم المشرقية، فلبوا النداء، وقد وفي لهم ملك البرتغال بوعده، حيث أنه شارك في اقتحام عكا قوات صليبية كانت قد ساعدت مملكة البرتغال في حربها ضد المنصور في الأندلس؛ النجار، المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي (مج1/215-355،216) = نقلاً عن: Barbour، AL-Andalus en las cronicas inglesas [p. 139-140 ،142].

(3) المراكش، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص-204-205)؛ ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر (ج6/329)؛ أشباخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين (ج2/329-331).

(4) عنان، دولة الإسلام في الأندلس (ج2/184-185).

(5) تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين (ج2/333).

(6) أبو خليل، موقعة الأرك (ص69)؛ حسن: حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي والديني (ج4/216-217)؛ حركات، المغرب عبر التاريخ (ج1/276)؛ الصلابي، دولة الموحدين (ص189).

(7) عنان، دولة الإسلام في الأندلس (ج2/184-185)؛ سيسالم، التاريخ الإسلامي لجزر البليار (ص385).

فيشيرون إلى وجود أسباب سياسية وحربية منعت المنصور من مساعدة صلاح الدي الأيوبي[1]، وتتمثل هذه الأسباب فيما يلي:

1- توسع صلاح الدين في غرب مصر، حيث أن أخاه تقي الدين ومولاه قراقوش التقوي[2] تعاونوا مع أعداء الموحدين كعرب بني هلال، وثوار بني غانية الذين دعوا للمرابطين، وقادت تلك التكتلات العسكرية الثورة على الموحدين، وقد برز دور صلاح الدين بمثابة حلقة وصل بين بني غانية والخليفة العباسي، وقد أسند له الخليفة العباسي السيادة على بلاد الشام واليمن ومصر حتى المغرب أيضاً، في الوقت الذي كان يسعى فيه الموحدون لتوحيد العالم الإسلامي كله تحت لوائهم، وهذا بدوره أثار التوترات السياسية في العلاقات بين الطرفين[3]، لكن نؤكد على أن صلاح الدين أرسل في كتب الاستغاثة بأنه بريء مما يفعله قراقوش وأتباعه ممن نفتهم مقامات الجهاد ضد الصليبيين، وذهبوا لإشعال الثورات ضد الموحدين[4].

2- انشغال المنصور المستمر بحرب الممالك الإسبانية، والتي كانت تتربص بالإسلام في المغرب وإفريقية والأندلس، فكانت أساطيل الموحدين في ظل هذه الظروف موزعة بين عدة ثغور على أهبة الاستعداد لدفع كل هجوم صليبي منتظر[5]، لكنه كان على علم بتلك الرسائل التي وصلته ونداءات الاستغاثة.

3- رفض البلاط الموحدي الاستجابة للمراسلة في الاستغاثة الأيوبية الأولى سنة 585هـ، بسبب الظروف الصعبة التي كانت تعاني منها المغرب والأندلس، وانشغال الموحدين بها، حيث أن المشاكل والفتن والثورات بإفريقية كثيرة، إضافة إلى العدوان الصليبي في الأندلس[6] من.....

---

(1) السويسي، تاريخ رباط الفتح (ص23-24).

(2) عندما قدم تقي الدين قراقوش وقاضي الجماعة أكرمهم المنصور وأقطعهم الأراضي، وبالغ في عطاياهم بالأموال، إلا أنهم كما شاهدنا قاموا بالثورات مع بني غانية ضد سلطان الموحدين، وهذا من الأسباب الوجيهة التي جعلت المنصور يبصر الأيوبيين بنظرة سلبية؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (ج220/42).

(3) أبو خليل، موقعة الأرك (ص69-70)؛ السويسي، تاريخ رباط الفتح (ص23-24)؛ حركات، المغرب عبر التاريخ (ج276/1)؛ الصلابي، دولة الموحدين (ص190-192).

(4) أبي شامة، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية (ج194/4-195).

(5) أبو خليل، موقعة الأرك (ص70)؛ السويسي، تاريخ رباط الفتح (ص23-24)؛ حسن: حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي والديني (ج216/4-217)؛ حركات، المغرب عبر التاريخ (ج276/1)؛ الصلابي، دولة الموحدين (ص189).

(6) يذكر الدكتور راغب السرجاني أنه كان من جراء مواجهة المنصور للثورات والفتن في إفريقيا، أن ضعفت قوة الموحدين في الأندلس، فاستغل ملك البرتغال فرصة انشغال المنصور بمواجهاته الداخلية، واستعان =

قبل ممالك النصارى، حيث قاموا بمساعدة الصليبيين المتوجهين لبلاد الشام باحتلال شلب[1].

4- رفض البلاط الموحدي الاستجابة للمراسلة التالية التي بعث بها صلاح الدين رسوله ابن منقذ سنة 586هـ إلى المنصور الموحدي، بسبب انشغال المنصور بجواز الجيوش إلى الأندلس لاستعادة مدينة شلب التي احتلها ملك البرتغال سانشو بمساعدة الصليبيين[2]، ويقول الأستاذ محمد العروسي المطوي إن الانتصارات التي حققها صلاح الدين في المشرق انعكست سلبياً على أوضاع الأندلس، حيث بقدوم القوات الصليبية البحرية الزاحفة نحو الشرق لإمداد الصليبيين هناك، قامت مع مملكة البرتغال باحتلال مدينة شلب سنة 585هـ، بعد أن رست سفنها في الأندلس[3].

5- بالرغم من فتح الموحدين لمدينة شلب إلا أن احتمال توجيه ضربات صليبية للمسلمين في الأندلس ظلت قائمة، وهذه الظروف هي التي لم تسمح للمنصور الموحدي بمعاونة الأيوبيين[4]، وقد صح ذلك عند عبور المنصور إلى الأندلس وهزيمته مملكة قشتالة في موقعة الأرك سنة 591هـ، إضافة إلى أن نشاط ثوار بني غانية في المغرب كان متقداً ما بين سنة 587-591هـ[5].

6- التأخر الزمني، ومرضه الشديد: وهو عامل مهم في ظل تسارع الأحداث في المشرق والمغرب، في عصر كانت تحتاج فيه الدول الشهور الطويلة ليصل رسلها إلى الطرف الآخر.

حيث أشارت الدكتوره ليلى النجار إليه كسبب قوي في عدم وصول المساعدات، حيث قالت أنه سقطت عكا في 7 جمادي الآخرة سنة 587هـ، وبذلك تم انتزاعها من أيدي المسلمين[6]، وقد بلغ ابن منقذ فاس في رمضان سنة 587هـ، أي بعد شهرين أو أكثر من سقوط عكا في يد

=

بجيوش ألمانيا وإنجلترا البرية والبحرية، حيث حاصر مدينة شلب وقام باحتلالها؛ قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط (ص586،584-587).

(1) عنان، دولة الإسلام في الأندلس (ج2/182-184)؛ سيسالم، التاريخ الإسلامي لجزر البليار (ص384).

(2) عنان، دولة الإسلام في الأندلس (ج2/183).

(3) السلطنة الحفصية (ص43).

(4) عنان، دولة الإسلام في الأندلس (ج2/185).

(5) النجار، المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي (مج1/336).

(6) النجار، المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي (مج1/332).

الصليبيين، أي أن الهدف الأساسي من قدومه لإنقاذ عكا[1] من السقوط في يد الصليبيين لم يعد موجوداً، ويعد السبب الأساسي لعدم استجابة المنصور لنداء صلاح الدين، في مساندته بالسفن، أو قطع الطريق على سفن ملكي فرنسا وإنجلترا المتوجهة لغزو بلاد الشام، هو انشغال المنصور بالجهاد ضد البرتغال، ورغبته في الحفاظ على أسطوله من سفن الصليبيين التي كانت تمر حول شبه الجزيرة الأيبيرية إلى بلاد الشام، وذلك للاستفادة منه في الجهاد ضد نصارى الإسبان[2]، وعندما رجع المنصور الموحدي متأخراً بعد جوازه الأول من الأندلس إلى المغرب في رمضان سنة 587هـ، ووصل مراكش، داهمه المرض الذي أشرف فيه على الهلاك، فسار إلى فاس في بداية سنة 588هـ، فالتقى ابن منقذ في 6 محرم، وفي 10 محرم غادر بن منقذ البلاد إلى بلاده التي وصلها 28 جمادي الآخرة سنة 588هـ، وبتطور الأحداث في الشام ومصر تكون السفارة قد فقدت أهميتها لنجاح الصليبيين في احتلال عكا، حيث دارت مناورات المسلمين مع الصليبيين بمفاوضات، انتهت بتوقيع صلح الرملة في 22 شعبان سنة 588هـ، ولم تعد هناك أي جدوى من إرسال الأسطول الموحدي لإنقاذ عكا، إضافة لانشغال المنصور في قتال البرتغاليين ومن تحالف معهم من الصليبيين المتوجهين صوب المشرق[3].

ولهذه الأسباب كلها لم يكن هناك مجال لأن يتقدم المنصور إلى غوث إخوانه المشارقة بالقوات التي تحتاجها[4]، فكان رده على ابن منقذ مجملاً، وأحاله إلى وزرائه لتوضيح الإجابة[5]، وقد أشار الدكتور محمد ماهر حمادة إلى القول بأن المنصور كان مغروراً بسبب انتصاره في موقعة الأرك[6]، وأن العذر الذي وضعه المنصور تحت عدم تسميته بألقاب الخلافة، ستاراً ليغطي به عجزه عن مد صلاح الدين بالأساطيل الموحدية[7]، حتى وصل الأمر إلى اتهام الكثير

---

(1) يؤكد الباحث على أن المنصور الموحدي كانت قد وصلته كتب من صلاح الدين قبل ابتعاث بن منقذ إليه، تطلعه على أحوال الشام من الانتصارات، وتحذره من قدوم الحملات الصليبية الثالثة لغزو ديار الإسلام، قبل وأثناء حصار عكا، في ظل انشغالات المنصور بأوضاع المغرب وإفريقية والأندلس؛ نغش، الرسائل الحربية في عصر الدولة الأيوبية (ص165-170).

(2) النجار، المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي (مج1/335).

(3) النجار، المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي (مج1/333-334).

(4) السويسي، تاريخ رباط الفتح (ص23-24).

(5) النجار، المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي (مج1/336).

(6) رد الدكتور المغربي محمد بن عياشي على الأستاذ ماهر حمادة، واتهمه بالخلط حيث أن صلاح الدين راسل المنصور قبل غزوة الأرك، فكيف يتحدث عن غروره، وأن التوترات السياسية، بالإضافة لانشغال المنصور بثورات المغرب وجهاد الصليبيين في الأندلس من أسباب عدم إرسال المساعدات، وأن ماهر حمادة لن يستطيع النيل من القائد الإسلامي والعملاق الذهبي والفاتح العظيم المنصور يعقوب بن يوسف الموحدي، فسجله حافل بالتاريخ والحضارة والجهاد والإصلاح والإيمان؛ انظر موقع: حركة التوحيد والإصلاح على الإنترنت.

(7) الوثائق السياسية والإدارية (ص90).

من المؤرخين المنصور بالتقاعس لاعتبارات خاصة وواهية في نصرة إخوانهم بالمشرق[1]، ويمكن القول أنه بالرغم من آثار الزيارة السلبية إلا أنها تؤكد على التضامن الروحي والمعنوي بين المسلمين في المشرق والمغرب الذين تعرضوا لمحنة العدوان الصليبي الجارف[2]، ومما يدلل على ذلك التالي:

1- احتفاء علماء الأندلس بانتصار إخوانهم المسلمين الشرقيين في معركة حطين، فألفوا الكتب في ذلك مثل: "الفتح القسي في الفتح القدسي" لعماد الدين الأصفهاني (ت: 598هـ)، وقد اختصر هذا الكتاب ابن قطان (ت: 628هـ) في "تقريب الفتح القسي"، وابن آبار (ت: 658هـ) في "الوشي القيسي في اختصار الفتح القسي"، ونسخ على منواله وأسلوبه ابن عميرة المخزومي (ت: 658هـ)، وقد كان اهتمام العلماء بهذا الكتاب، ليؤسسوا منهجاً للمسلمين في الغرب الإسلامي يسيروا فيه على ما سار فيه إخوانهم في الشام ليحققوا النصر على الصليبيين في بلاد الأندلس[3]، ويؤكد الدكتور عصام عبد الرؤف الفقي على ذلك قائلاً بأن الانتصارات التي حققها المسلمون في الشرق الإسلامي، حمست الموحدين في المغرب لقتال مملكة البرتغال، وشركائهم الصليبيين الذين كانوا متجهين إلى المشرق، فتمكنوا من استعادة مدينة شلب سنة 587هـ بعد احتلالها[4]، وقد أقام أهل الشام مشهداً للمنصور من شدة ولعهم به ومحبتهم له[5].

2- جهاد بعض العلماء في المغرب مع المنصور، وفي الشام مع صلاح الدين، وهذا يبين لنا عمق التلاحم بين المؤمنين في مكانين متباعدين من العالم الإسلامي، فجمع أمثال هؤلاء العلماء فضيلة الجهاد ضد الاحتلال الصليبي لبلاد الشام، والدفاع عن الإسلام في وجه حرب الاسترداد في الأندلس[6]، ومن أمثال هؤلاء العلماء أبو الحجاج البلوي[7] الذي جاهد مع صلاح الدين في الشام، وقاتل مع المنصور .....

---

(1) السويسي، تاريخ رباط الفتح (ص23-24).

(2) عنان، دولة الإسلام في الأندلس (ج2/186).

(3) أبو الخيل، جهود علماء الأندلس (ص174-175).

(4) تاريخ المغرب والأندلس (ص274).

(5) السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج2/204).

(6) أبو الخيل، جهود علماء الأندلس (ص274-275)؛ الصلابي، صلاح الدين الأيوبي (ص593).

(7) هو يوسف بن محمد البلوي، وهو الفاضل الورع الزاهد، وكان عالماً باللغة والأدب والفقه والأصول، متصوفاً، بنى 25 مسجداً في مالقة من ماله الخاص، وحفر الآبار، كثير الصلاة النافلة، من العلماء العاملين ؛ ابن بشكوال، صلة الصلة (مج3/434-435).

في المغرب[1]، كما جاهد الكثير من المغاربة مع إخوانهم المسلمين في المشرق، وقاتلوا مع نور الدين زنكي ضد الصليبيين، وترتب على ذلك أن وضع عليهم الإفرنج الضرائب كعقاب لهم، كما كان المسلمون المشارقة يهتمون بإخوانهم المغاربة الذين وقعوا في أسر الصليبيين ويعملون على فك أسرهم[2].

3- أن الشاعر الجراوي هو من استقبل رسول صلاح الدين الأيوبي ابن منقذ، وقد انتخب الشاعر الجراوي لهذه المهمة، لجلالة المبعوث، ومكانته السياسية والعلمية[3].

4- لما أرسل صلاح الدين كتاباً وصل من الإسكندرية[4] في منتصف شعبان [5] مع عبد الرحمن – بن المنقذ الأزدي– ليعقوب الموحدي سنة 583هـ، كان نص الكتاب يحدث بما من الله تعالى به من فتح بيت المقدس وهزيمة الروم، وكل ذلك ببركة استجابته لطاعة الإمام يعقوب[6]، يثبت أن صلاح الدين كان يعد يعقوب الموحدي إماماً لجماعة المسلمين في المغرب.

5- لقد قام المنصور والموحدون من قبل بتقديم المساعدات بطريقة غير مباشرة إلى صلاح الدين والمجاهدين في المشرق الإسلامي، وذلك على صعيدين:

---

(1) ابن بشكوال، صلة الصلة (مج3/435).

(2) ابن جبير، رحلة بن جبير (ص247).

(3) جلاب، الدولة الموحدية (ص121–122).

(4) الإسكندرية: مدينة جليلة عظيمة قديمة حصينة كبيرة مشهورة تقع في أرض مصر، متصلة ببحر الروم من جهة وبحيرة تنيس من جهة، بعيدة عن خط المغرب بـ 51 درجة، وعن خط الاستواء بـ 30 درجة، بناها الإسكندر المقدوني في مكانها لصحة هوائها وتربتها ومائها، افتتحتها جيوش المسلمين بقيادة عمرو بن العاص، وصارت هي وبلادها مصر ديار إسلام، وقد أهدى المقوقس صاحب الإسكندرية مارية القبطية التي تزوجها رسول الله، والمدينة مسالكها واسعة ومبانيها عالية، بها آبار كثيرة، ونهر النيل يخترقها، ولها مرسى عظيم جداً؛ المنجم، آكام المرجان (ص85–86)؛ مجهول، حدود العالم من المشرق الى المغرب (ص178)؛ البكري، المسالك والممالك (ج2/628)؛ ابن جبير، رحلة ابن جبير (ص13–14)؛ الحموي، معجم البلدان (ج1/183)؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد (ص143)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج1/76)؛ ابن فضل الله، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (ج3/490)؛ ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (ج1/175–179)؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (ج1/269)؛ شراب، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة (ص27).

(5) مراكشي مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار (ج1/104).

(6) مراكشي مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار (ج1/106–107).

الأول: مواجهة الأساطيل الصليبية التي تمر من مضيق جبل طارق: يقول الدكتور عصام سيسالم كان للأساطيل الموحدية بسواحل إفريقية والغرب دور في المساندة غير المباشرة لمسلمي مصر والشام في جهادهم ضد الغزاة الصليبيين، خاصة بالنسبة لجزيرة صقلية التي كانت تساند الجيوش الصليبية في غزو ثغور الشام ومصر، كما كان على هذا الدرب عبد المؤمن بن علي الموحدي أول سلاطين الموحدين، وكان للانتصارات البحرية الإسلامية في الحوض الغربي للمتوسط، وقطع الطريق على الأساطيل الصليبية المتوجهة إلى سواحل مصر والشام[1] أكبر الأثر على الانتصارات الباهرة التي حققها صلاح الدين الأيوبي في البر والبحر[2].

الثاني: فتح شلب: وما أسلفنا من أنه ترتب عليه هزيمة البرتغال، والقوات الصليبية المتواجدة هناك، المكونة من الإنجليز والفلمنك، والذين كانوا متوجهين لقتال المسلمين في الشرق.

وقد شرح ابن عذارى في كتابه البيان المغرب الخدع العسكرية التي استخدمها الموحدون، وطريقة اقتحامهم للحصن، وطردهم للأعداء في خميس 25 جمادى الآخرة سنة 587هـ[3]، وعندما فتح المنصور مدينة شلب[4] واستعادها من الفرنج سبى 15 ألفا وأسر 3 آلاف قدمهم بَين يَدَيْهِ فِي القطائن خَمْسُونَ علجاً فِي كل قطينة[5]، ويؤكد الباحث على أن هناك جزءاً من

---

(1) يذكر الدكتور هشام أبو رميله بأنه تم ممارسة أعمال القرصنة على يد الصليبيين الإنجليز والفرنسيين والألمان والفلمنك والنورمان، خلال طريقهم عبر المحيط الأطلسي ومضيق جبل طارق إلى المشرق الإسلامي للاشتراك في الحروب الصليبية، فكانوا في أثناء رحلتهم ينهبون الثغور والموانئ، ويعترضون المراكب التجارية، كما أنهم ساعدوا ملوك البرتغال في الاستيلاء على مدينة أشبونة وشلب وقصر أبي دانس؛ علاقات الموحدين بالممالك النصرانية (ص394-395) = نقلاً عن: .callaghan، O ،A history of medieval Spain [p280، 295-296]

(2) التاريخ الإسلامي لجزر البليار (ص340-341).

(3) (ص211-212).

(4) عندما تحرك المنصور إلى شلب اتجه في طريقه إلى قصر أبي دانس غربي الأندلس فنزلوا على حكمه فاحتملوهم إلى مراكش، ثم رحل إلى حصن بلماله، فاستسلموا ورغبوا في الأمان على أن يتركوا الحصن وينصرفوا إلى بلادهم، فخلي سبيلهم، وانتهب جميع ما كان في الحصن ثم هدم، ثم قصد إلى حصن المعدن فافتتح وهدم، وبعد الفراغ من ذلك كان النهوض إلى شلب فجدوا في قتالها وبالغوا في نكاية أهلها حتى استسلمت المدينة في 26 جمادي الآخرة؛ الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص343).

(5) السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج2/189-192)؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس (ص219).

الصليبيين المتوجهين للشام قد وقع في الأسر، فمن الناحية العملية يكون المنصور قد قدم الخدمات غير المباشرة للمسلمين في المشرق أثناء جهاده في الأندلس، فضلاً لو أننا علمنا كما سيتضح في نهاية الدراسة عند دراسة حالة غزوة الأرك ميدانياً، أنه كان من قوات الأذفونش فرسان الداوية.

والذي كان تشكيلهم في الأساس للحروب الصليبية على بلاد الشام[1]، حيث نجدهم يشاركون في حرب الاسترداد في الأندلس، فهذا مع ما سبق يؤكد على تكتل الإسبان والصليبيين في حرب الإسلام في بلادي الشام والأندلس، ومشاركة المغاربة مع إخوانهم المشارقة في جهاد النصارى على مختلف الأقاليم، حتى وإن كان هناك توتر في العلاقات بين الأطراف.

وينتهي الشيخ علي الصلابي بالقول أنه لو قدر التقاء صلاح الدين مع السلطان المنصور في غرفة مباحثات مغلقة لوصلوا إلى أمور تنفع الأمة نظراً لما تميزا به من المرونة والصلاح، فالناصر صلاح الدين أدى دوره، وكان على سلطان الموحدين أن يتجاوز الخلافات المنهجية ويساهم في الدفاع عن الأمة الإسلامية لكنه لم ينجح في الاختبار[2]، فقد كان من الممكن أن يضحي المنصور بقسم من هذا الأسطول لإنجاد المسلمين في الشرق[3]، ويقول الأستاذ عبد المجيد بن جلون ولو أقدم المنصور على إقفال البحر الأبيض المتوسط، وكان أسطوله من أقوى الأساطيل الإسلامية، لكان من الممكن أن يغير مجرى التاريخ العربي.

وعلى أية حال فإن الرواية القائلة بأن المنصور ساعد بـ 180 سفينة منعت الصليبيين عن سواحل الشام[4]، ستبقى حاجزاً منيعاً بين الحكم للمنصور .....

---

(1) عنان، تاريخ الجمعيات السرية (ص58)؛ مارس، الحكم بالسر (ص386)؛ عمران، حضارة أوروبا في العصور الوسطى (ص114)؛ ماكنزي، الجمعيات السرية (ص114)؛ بيجنت وآخرون، الدم المقدس والكأس المقدسة (ص86)؛ همو، الماسونية والمنظمات السرية (ص144).

(2) الصلابي، صلاح الدين الأيوبي (ص593).

(3) أبو خليل، موقعة الأرك (ص70)؛ حركات، المغرب عبر التاريخ (ج276/1).

(4) للدكتور عبد الكريم كريّم مقالاً يدعم فيه فكرة إرسال المنصور بالأساطيل لصلاح الدين الأيوبي، وهو مقال يثير فيه الباحث الكثير من التساؤلات حول تحول الأحداث، وسرية الاتصالات بين الأيوبيين والموحدين، ووصول المساعدات؛ انظر موقع: ديوان اصدقاء المغرب على الإنترنت.

لكن الواضح أن الباحث رأى في هذا المقال تحليلاً دقيقاً يكثر فيه التنبؤ والظن، إذ لا يوجد من كلام الدكتور دليلاً شافياً على أن هناك سفن موحدية وصلت وساعدت بلاد الشام، وإلا لملئت تلك الروايات الكتب، وأشار إليها المؤرخون، فتفاصيل المراسلات بين الأيوبيين والمنصور ذكرت، فكيف يخفي خبر وصول النجدة، ومن الملاحظ أن الذي ذكر الرواية في البداية هو المؤرخ ابن خلدون، والذي لم يسبقه بهذه الرواية أحد، وابن خلدون هذا معروف بتعصبه للبربر، كما أنه ذكر الرواية في سياق معلق على علم =

أو الحكم عليه[1]، إلا أن الدكتور عصام سيسالم يؤكد على أنه لم يصل أي شيء من السفن وسقطت عكا، وتمكن الصليبيون من اجتياح سواحل بلاد الشام، وانتهى الأمر بتوقيع صلاح الدين صلح الرملة مع ريتشارد سنة 588هـ، وقد تنازل بموجبه عن معظم ثغور ساحل الشام التي فتحت بعد معركة حطين[2].

وينتهي الباحث إلى القول بأن الظروف القاسية التي شهدتها تطوراً سريعاً في الأحداث على المستوى السياسي والعسكري في منطقة غرب البحر المتوسط وشبه الجزيرة الأيبيرية وغرب أوروبا، قد تكون لدى البعض مبررات مهمة بعدم قدرة أو جدوى مساعدة المنصور لإخوانه المشارقة في بلاد الشام، **إضافة** لانشغال المنصور واعتراكه الحقيقي فيها، لكن ألم يستطع المنصور أن يرسل سفينة واحدة لمساعدة إخوانه في الشرق كتعبير عن حسن النية أو الإخلاص لأهل الشام؟! هل عجز المنصور أن يرسل كتيبة أو إن شئت قل سرية ولو بمئات الأشخاص[3] في ظل الرسائل المتوالية عليه من السلطان صلاح الدين الأيوبي[4]، والذي طالبه بأن يبعث قوات برية إن لم يستطع إرسال قوات بحرية، خصوصاً وأن المغرب تمتاز بكثرة الجيوش الموحدية التي تعج في أنحاء البلاد؟!

لم يصل الحد لنا بالقول أن ظروف المغرب والأندلس جعلت من المنصور يقترب من ناحية الإفلاس العسكري والسياسي لهذا المستوى؟!

=

الله الغيبي، ومن ثم أخذ يمجد قدرات الموحدين في صناعة السفن، ويلمز بأهل الشام بأنهم لا يجيدون صناعة السفن، وهذا اتهام باطل، حيث أن أهل الشام كانت لهم صناعات كثيرة في السفن الحربية، وإلا كيف واجهوا الغزاة، ولكن كثافة الحملات الصليبية واستمرارها هو من أضعف أساطيلهم، والله المستعان.

(1) ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر (مج6/331)؛ السويسي، تاريخ رباط الفتح (ص23-24)؛ حركات، المغرب عبر التاريخ (ج1/276).

(2) التاريخ الإسلامي لجزر البليار (ص384).

(3) يُذَكِّرُ الباحث بدور عمر بن الخطاب الذي كان عندما تتوالى عليه استغاثات المسلمين كما في القادسية واليرموك، فكان عمر يرسل لهم بالعشرات، وأحياناً يرسل لهم بالرجل الواحد فيقول لهم هذا بألف، فكان يرسل الكثير والقليل ليرفع معنوياتهم، فيتحقق النصر بذلك، ويد الله مع الجماعة.

(4) انظر نصوص الرسائل الأيوبية التي استغاث بها صلاح الدين بملك المغرب ضد العدوان الصليبي على بلاد الشام، والتي كان المنصور على علم بها وبأحوال المسلمين ببلاد الشام، لكن انشغاله بحروبه جعله يتباحث بها بعد عودته من الأندلس، في الوقت الذي كان المشارقة يتعرضون لحصار الصليبيين في عكا؛ القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء (ج6/525-529)؛ ابن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب (ج2/496-499)؛ نغش، الرسائل الحربية في عصر الدولة الأيوبية (ص165-170).
انظر لتفاصيل المراسلات كاملة موجودة في ملاحق الدرسة من الملحق 1 إلى الملحق 6 من الدراسة، وبعض الشروحات والتعليقات عليها، ص224-231.

أين يعقوب الموحدي الذي عَمَّرَ الإيمان قلبه من قول الله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ** ﴾[1]، ومن هدي الرسول ﷺ عندما قال: "مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى"[2]؟!

لكن هذا ما حدث مع الأسف، ونحن لا نذكر ذلك لننتقص[3] من مقام المؤمن الرجل، والذي ما كان الباحث ليتم الدراسة عنه لولا قناعته الشخصية وحبه العميق لهذا القائد الإسلامي العظيم، ولكن تبقى همسة عتاب[4] بأن المنصور لو ساعد صلاح الدين –القائد الأيوبي الذي بذل ما بوسعه وحمل أمانة الإسلام على عاتقه في حرب الصليبيين بالمشرق – لكان ذكره و تشريفه على ألسنة المسلمين أبد الدهر، ولمحا هذه الوصمة التاريخية من حياته[5] فصدق الشاعر يزيد المهلبي حين قال: ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها *** كفى المرء نبلا أن تعد معايبه[6]. والله غالب على أمره.

---

(1) [الصف: 5].

(2) [مسلم: المسند الصحيح، البر والصلة والآداب/تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، 1999/4: رقم الحديث 2586].

(3) يقول الحكيم الصيني كونفوشيوس عدم الرجوع عن الخطأ هو خطأ أكبر، ويقول المثل الإسباني يكون الخطأ كبيراً بقدر ما يكون صاحبه كبيراً، ويقول الإمام حسن البنا ليس الخطأ عيباً في ذاته، ولكن الرضا به والاستمرار عليه والدفاع عنه هو الخطأ كل الخطأ، ويقول المهاتما غاندي لا يصبح الخطأ على وجه حق بسبب تضاعف الانتشار، ولا تصبح الحقيقة خطأ لأن لا أحد يراها.

(4) مما يحزن قلب المسلم ويدميه أن تكون هذه المشادات بين عملاقين كبيرين في تاريخ الإسلام المنصور الموحدي وصلاح الدين، فلو كانت بين رجلين من آفات الملوك والناس لهانت. فيذكر أنه لما مدح ابن منقذ المنصور أعطاه بكلِّ بيتٍ ألفَ دينار، وقال: ما أعطيك هذا لأجل صاحبك –أي صلاح الدين الأيوبي–، فإنَّه خاطَبَنا بما لم يخاطِبْنا به أحد –أي أمير المسلمين–، وإنما أعطيناك لفَضْلك وبَيتك، والحمد لله الَّذي وفق الأذفونش ملك الفرنج ما لم يهد إليه صاحبك، ولو خاطَبَنا بما يليق بنا –أي أمير المؤمنين– لأنجدناه برًّا وبحرًا، وقد وكلناه إلى من خاطبه –أي الخليفة العباسي– بما هو أليق بنا منه؛ سبط بن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان (ج75/22).

(5) يذكر أنه في ظل الخلاف بين معاوية بن أبي سفيان وعلي بن أبي طالب، أرسل ملك الروم لمعاوية رسالة يعده فيها بإمداده بالقوات العسكرية لحرب علي، فرد معاوية على الرسالة بقوله المشهور لو أن رومياً وطئ أرض الشام لأصالحن علياً وأقاتلن الروم.

(6) التادلي، الحماسة المغربية (ج1247/2).

الفصل الثالث:
الأسباب العسكرية لنصر وتمكين الدولة الموحدية في عهد المنصور

المبحث الأول:
حماية الأمن والاستقرار الداخلي

عمل المنصور على الحماية الداخلية للدولة، وتعزيز استقرارها من خلال ناحيتين:

أولاً: بناء الحصون:

بعدما استرجع مدينة شلب [1] من أيدي الروم، أمر أن يبنى[2] على نهر إشبيلية حصن؛ سمي بحصن الفَرَجِ[3]، وشرع فِي بناء أسوار مدينة فاس[4]، كما أوصى نوابه ووكلاءه بِبِنَاء قَصَبَة مراكش[5]، والاعتناء بتشييد قُصُورهَا فَمن آثاره الْبَاقِيَة بهَا إِلَى الْآن بَابهَا الْمَعْرُوف بِبَاب أكناور البالغ الضخامة والارتفاع[6]، وهذا يشير إلى تفوق الهندسة والفنون الموحدية، في إقامة المنشآت الدفاعية، من حصون وأسوار وأبراج[7]، ولا بد للمسلمين من تحصين ثغورهم حتى لا يداهمهم الأعداء، فلا بد من بناء القلاع والأبواب المتينة والأسوار والحصون، وقد صدق رسول الله ﷺ: "مَا مِنْ مُسْلِمٍ إِلَّا وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى ثَغْرَةٍ مِنْ ثُغَرِ الْإِسْلَامِ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ أَلَّا يُؤْتَى الْإِسْلَامُ مِنْ ثَغْرَتِهِ فَلْيَفْعَلْ"[8].

---

(1) من بلاد الأندلس، وهي قاعدة كورة اكشونبة، وهي بقبلي مدينة باجة، وهي في أرض مبسوطة عليها سور حصين، ولها جنات وغلات، والبحر منها في الغرب على ثلاثة أميال، والمدينة حسنة بديعة البناء، وسكانها عرب اليمن وكلامهم العربية الفصحى، وهم نبلاء كرماء؛ الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص201).

(2) لقد كانت تقنية البناء في العهد الموحدي تقوم على استخدام نوع من الطين المخلوط بالرمل والحصى والجير، الذي يدك بين ألواح الخشب، فيأتي صلباً كالحجر، ويعرف باسم "الطابية"، والتي حلت مكان الحجر في كل تحصينات الموحدين في القرن 6 هـ؛ انظر: ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر (مج1/511-512)؛ العبادي، صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس (ص209).

(3) فَرَجُ: مدينة حصينة تقع بالأندلس بين الجوف والشرق من قرطبة، تعرف بوادي الحجارة، وينسب إليها بعض أهل العلم والأدب؛ الحموي، معجم البلدان (ج247/4).

(4) السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج2/194-195).

(5) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس (ص229)؛ السَّمْلالي، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات (ج265/10).

(6) السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج2/194-195).

(7) عنان، دولة الإسلام في الأندلس (ج726/4).

(8) [المروزي: السنة، أوجه تصرف السنة، ص13: رقم الحديث 29].

ثانياً: القضاء على الخارجين عن الدولة:

من أجل تثبيت أركان الدولة قام المنصور بالقضاء على جميع الخارجين على دولته، وتعامل معهم بصرامة، فقد قال رسول الله ﷺ: "مَنْ شَقَّ عَصا الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمُونَ فِي إِسْلَامٍ دامجٍ، فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ"[1]، وقال رسول الله ﷺ: "فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْرًا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً"[2]، ومن ذلك:-

1- ثورة بني غانية، وأتباعها: ففي سنة 583هـ [3] قضى أبو يوسف الموحدي على [4] الأغزاز [5] وثوار بن غانية [6] بقيادة علي بن إسحاق ومساعده قراقوش [7] والذين خرجوا [8] على سلطان الموحدين لأكثر من مرة، ودعوا للميوروقيين، فتعامل المنصور معهم بصرامة شديدة[9] لقتلهم العباد[10] وفسادهم في .....

---

(1) [الطبراني: المعجم الكبير، أحاديث ابن عباس/طاوس عن ابن عباس، 25/11: رقم الحديث 10925].

(2) [البخاري: الصحيح الجامع، الفتن/سترون بعدي أموراً تنكرونها، 47/9: رقم الحديث 7053].

(3) الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص200).

(4) انظر: ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر (مج328/6)؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج10/10-13).

(5) الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص201).

(6) قدم علي بن إسحاق بن غانية الميورقي في البحر إلى بجاية ومعه إخوته في 32 قطعة فنزلوا بجاية واستولوا عليها؛ الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية (ص15).

(7) يقول الدكتور عصام سيسالم: أن علي بن إسحق بن غانية استفاد من الدور الخطير الذي كان يقوم به قراقوش في إفريقية باستنزاف قوات الموحدين هناك، فتعاون معه في حرب الموحدين لتحقيق طموحاته؛ التاريخ الإسلامي لجزر البليار (ص367).

(8) عندما خرج أَبُو الْحسن علي صَاحب مايرقه وبدأت عساكر الموحدين بقيادة أبو زيد بملاحقته، تعاون الميارقه مع شرف الدّين قراقوش في طلب دولة بني العباس فحاصروا مدينة حامة البهاليل وأَخَذُوهَا عنْوَة وَقتلُوا فِيهَا ألفا وَسَبْعمائة رجل ونهبوها وانعقد الصُّلْح وقرروا أَن يقتسموا الْبِلَاد بَينهُمَا فيكون لشرف الدّين من الْبِلَاد نوبَة وشرقها وَللمايرقى من نوبَة إِلَى الغرب وَأن ما يفتحوه يُقَسَّمُ بَينهمَا وَاتَّفَقُوا على ذَلِك وتحالفوا وتجمعوا؛ انظر: ابن المظفر، مضمار الحقائق وسر الخلائق (230-229)؛ أبو رميله، علاقات الموحدين بالممالك النصرانية (ص158-159).

(9) تقول الدكتوره ليلى النجار أن أحداث بني غانية شكلت مصدر إزعاج وقلق للمنصور الموحدي، لما رآه من جذبها للعناصر الناقمة والحاقدة على الدولة الموحدية؛ المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي (مج88/1).

(10) دخل الميورقي عَليّ بن إِسْحَاق مَدِينَة بجاية يَوْم الْجُمُعَة فِي صَلَاة الْجُمُعَة وَكَانَت أَبْوَاب المدن لَا تغلق وَقت صَلَاة الْجُمُعَة فَارْتَقِبْ ابْن غانية النَّاس حَتَّى أَحْرمُوا بِصَلَاة الْجُمُعَة ثمَّ اقتحم الْمَدِينَة وَعمد إِلَى الْجَامِع الْأَعْظَم وأدار بِهِ الْخَيل وَالرجل فَمن بَايعه خلى سَبيله وَمن توقف عَن بيعَته ضرب عُنُقه، وَانْضَافَ إِلَى الْمُفْسِدِ الْمُلَثَّمِ كُلُّ مُفْسِدٍ فِي تِلْكَ الْأَرْضِ، وَمَنْ يُرِيدُ الْفِتْنَةَ وَالنَّهْبَ وَالْفَسَادَ وَالشَّرَّ، فَخَرَّبُوا الْبِلَادَ =

البلاد[1] وتعاونهم مع الأعداء[2]، فاشتد في قتلهم وتدمير جمعهم ونفيهم[3]، والذي دفع المنصور لذلك أنه كان في بداية عهده، وبداية حملته الإصلاحية، فأدرك خطورة هذه الثورة وبذل كل جهده لقمعها[4]، كما قاتل المنصور عرب إفريقية[5] الذين اقتحموا قفصة ودعوا للميوروقيين[6]، حيث كانت وقيعة شديدة على الموحدين[7] أثخن فيهم الموارقة والأغزاز فيهم وهزموهم[8]، ومن

=

وَالْحُصُونَ وَالْقُرَى، وَهَتَكُوا الْحُرُمَ، وَقَطَّعُوا الْأَشْجَارَ، وَقَصَدَ الْمُلَثَّمُ جَزِيرَةَ بَاشَرَا، فأَحَاطَ بِهَا، فَطَلَبَ أَهْلُهَا الْأَمَانَ، فَأَمَّنَهُمْ، فَلَمَّا دَخَلَهَا الْعَسْكَرُ نَهَبُوا جَمِيعَ مَا فِيهَا مِنَ الْأَمْوَالِ وَالدَّوَابِّ وَالْغَلَّاتِ، وَسَلَبُوا النَّاسَ حَتَّى أَخَذُوا ثِيَابَهُمْ، وَامْتَدَّتِ الْأَيْدِي إِلَى النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ، وَتَرَكُوهُمْ هَلْكَى، ثم قَصَدُوا مَدِينَةَ تُونُسَ، فَأَمَّا الْأَقْوِيَاءُ فَكَانُوا يَخْدُمُونَ وَيَعْمَلُونَ مَا يَقُومُ بِقُوَّتِهِمْ، وَأَمَّا الضُّعَفَاءُ فَكَانُوا يَسْتَعْطُونَ وَيَسْأَلُونَ النَّاسَ، وَدَخَلَ عَلَيْهِمْ فَصْلُ الشِّتَاءِ، فَأَهْلَكَهُمُ الْبَرْدُ، وَوَقَعَ فِيهِمُ الْوَبَاءُ، فَأُحْصِيَ الْمَوْتَى مِنْهُمْ فَكَانُوا 12 أَلْفًا في أحد المواضع، كما عاثوا في إِفْرِيقِيَّةَ، فَانْبَثَّ جُنُودُهُ فِي الْبِلَادِ فَخَرَّبُوهَا، وَأَكْثَرُوا الْفَسَادَ فِيهَا، فَمُحِيَتْ آثَارُ تِلْكَ الْبِلَادِ وَتَغَيَّرَتْ، وَصَارَتْ خَالِيَةً مِنَ الْأَنِيسِ خَاوِيَةً عَلَى عُرُوشِهَا؛ السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج160/2)؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج136/10)؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (ج9/7).

(1) بعد هجوم علي بن إسحاق بن حمو –ابن غانية– على بجاية وسيطرته عليها سنة 580هـ انتقل إلى قسنطينة فحاصرها ثم توغل في صحراء بلاد الجريد وعاث فيها، فسفك الدماء، وأخذ الأموال، وأباح الحريم؛ الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص82)؛ مراكشي مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار (ج131/1).

(2) انظر تعاون بني غانية مع نصارى صقلية لخلع الموحدين: عنان، دولة الإسلام في الأندلس (ج158/5).

(3) انظر: ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر (مج328/6)؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج10/10–13).

(4) عنان، دولة الإسلام في الأندلس (ج151/5).

(5) جمع ابْن غانية من إِلَيْهِ من الملثمين وَالْعرب، ولما انهزم الموحدين في الوقعة الأولى أكثر العرب فيهم القتل وملئوا أَيديهم من أثاثهم وأسلابهم، وكان أكثر العرب من قبيلتي سليم ورياح؛ السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج161/2–162)؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج11/10–12).

(6) انظر: المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص200).

(7) في سنة 583هـ جرت وقعة عظيمة تسمى عمرة بأحواز قفصة انتصر فيها الموارقة والأغزاز على جند المنصور يعقوب الموحدي فهزموهم هزيمة شنيعة، وذلك أن المنصور يعقوب وجه ابن عمه يعقوب بن أبي حفص بن عبد المؤمن في عسكر كبير فخرج من تونس لقتال الموارقة، ولما تراءى الجمعان يوم الجمعة منتصف ربيع الآخر، حيث استحر القتل في الفئتين حتى غشي الليل، وأصيب جملة من أعيان الموحدين وتخاذل باقيهم، وقبض على علي بن الربرتير وقبض على أبو علي بن أبي زكريا بن مومور، فأثخنت جيوش الموحدين وتفرقت واستسلمت واشتغل عدوهم بالسلب وأكثر الرجال، فاستدعا ابن غانية بقايا الموحدين موهماً لهم بالأمان فاجتمعوا إليه فاستأصلهم وجمع أسلابهم وقسمها على أصحابه، وقام ابن غانية بتعذيب ابن الربرتير حتى مات، وصلبوا ابن مومور بقفصة؛ الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص414).

(8) الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية (ص16)؛ الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص200–201).

الملاحظ أن علي بن غانية حاول توحيد جهوده مع كل الخارجين عن طاعة الموحدين في سبيل تحقيق أهدافه، والقضاء على الدولة الموحدية، وإحياء الدولة المرابطية[1]، ولهذا تحرك المنصور من مراكش إلى البلاد الإفريقية[2] لما بلغه من سوء آثار العرب[3] والموارقة في البلاد[4] فالتقاهم عند الحمة[5] فاكتسحهم، وباشر الحرب بنفسه، واستأصل الموارقة، وقام بفتح قابس[6] بعد انتصاره[7] وعقد للسيد أبي زيد بن أبي حفص بن عبد المؤمن[8] على .....

(1) النجار، المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي (مج1/135).

(2) تقول الدكتوره ليلى النجار أن سبب اختيار بني غانية لإفريقية في تنفيذ مخططاتهم، بعدها عن مركز الخلافة في مراكش، وسهولة فرارهم منها إلى الصحراء في حال هزيمتهم أمام الموحدين؛ المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي (مج1/105).

(3) وقد علم ولاة الأمر محبة العرب للسلب والغارات والنهب؛ حسن: حسن علي، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس (ص321).
وقد ندم المنصور قبل وفاته على إدخال العرب إلى أفريقية؛ المكناسي، جذوة الاقتباس (ص556)؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس (ص230)؛ السَّمْلالي، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات (ج10/266).

(4) ويرى الدكتور حسين مؤنس أن من أسباب اختيار علي بن غانية أفريقية كونها بعيدة عن قلب الدولة الموحدية، وعمران أنحائها بالعرب الهلالية المستعدين للاشتراك في أعمال النهب والسلب؛ المراكشي، وثائق المرابطين والموحدين (ص121).

(5) مدينة في جهة قصطيلية بمقربة من مدينة قابس ماؤها شروب وبها نخل كثير، وأهلها موصوفون بالنجدة والشهامة، وعليها كانت الوقيعة للمنصور الموحدي يعقوب ملك المغرب على الموارقة والأغزاز وبت غانية سنة 583هـ، وسميت المدينة بالحمة لأن بها حمة عظيمة مشهورة يستسقون منها؛ الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص200-202)؛ مراكشي مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار (ج1/150).

(6) كتب أبو الفضل بن محشرة إلى طلبة مراكش سنة 583هـ، يخبرهم بهزيمة بني غانية بحمة مطماطة، وبفتح مدينة قابس؛ انظر: بروفنصال، مجموع رسائل موحدية (ص180-191).

(7) الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص200-201)؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس (ص275).

(8) هو أبو زيد بن عمر بن عبد المؤمن، عقد له المنصور على المغرب الأوسط، وأرسله لقتال الميورقي بن غانية، ولما رجع قراقوش إلى طاعة الموحدين تقبله أبو زيد بن أبي حفص، وبقي والياً على تونس ودخل في صراعات مع الثائر بن عبد الكريم وجموعه، حتى تمكن يحيى بن إسحاق الميورقي من بني غانية من الاستيلاء على تونس، والقبض على أبي زيد، عام 601هـ، حتى قدم الناصر وفتح تونس، وولى الوزارة رجل غيره؛ الجزائري، تاريخ الجزائر في القديم والحديث (ج2/318)؛ ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر (ج6/257،254)؛ السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج2/160)؛ مقديش، نزهة الأنظار (ج1/512)؛ مخلوف، شجرة النور الزكية (ج2/156-157).

أفريقية[1] أما علي بن إسحق فبعد أن تفرق جمعه، قفل هارباً فأصابه سهم وهو على توزر فمات هناك سنة 584هـ [2].

وهكذا يتضح ما عانته إفريقية من ويلات بسبب هذه الثورة والصراع وحرص زعمائها على الملك والسلطان[3]، وبني غانية، ويرى الباحث محمد العروسي المطوي أن إنهاء ثورة بني غانية كان لعاملين:-

أ- الفظائع التي ارتكبها ثوار ابن غانية بحق الناس من قتل ونهب وانتهاك للمحارم سببت تأليب الرأي العام ضدهم[4]، مما لم يمكن الثوار من تنظيم حكم مستقر بإفريقية[5].

ب- العزم القوي من الدولة الموحدية في سحق الثورة والقضاء على المتمردين[6]، بعدم تمكينها من ترسيخ دعائم حكمها[7].

ويرى الدكتور عصام سيسالم أن الحقد الأعمى لبني غانية هو من أخرجهم في هذه الحروب الدامية، بتوجيه الطعنات الغادرة للموحدين، والتي وسعت الشقاق والخلاف بين المسلمين، في الوقت الذي كانت فيه الهجمة الصليبية على بلاد الأندلس تهدد القواعد الإسلامية بالاندثار، فكان المسلمون في الأندلس خاصة هم وحدهم الخاسرون، لأن الموحدين كانوا هم الدرع الفولاذي الصلب لهذه الهجمة الصليبية العاتية الشرسة[8]، فقد كان من جراء ذلك الصراع الطويل أن ضعفت القوة الموحدية في الأندلس بشكل كبير[9]، وقد كان لهذا الصراع أبلغ الأثر في انحلال الدولة الموحدية، باستغراق جهودها، وتبديد قواها ومواردها[10]، فقد أخذ الثوار يثيرون الفتن ضد الموحدين في شمال أفريقيا[11]، ويستنزفون جهوداً كبيرة للموحدين في سبيل القضاء

---

(1) الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية (ص16).

(2) الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص568)؛ مراكشي مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار (ج131/1).

(3) النجار، المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي (مج140/1).

(4) المطوي، السلطنة الحفصية (ص24-25).

(5) سيسالم، التاريخ الإسلامي لجزر البليار (ص380).

(6) المطوي، السلطنة الحفصية (ص26).

(7) سيسالم، التاريخ الإسلامي لجزر البليار (ص380).

(8) التاريخ الإسلامي لجزر البليار (ص387،355).

(9) السرجاني، قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط (ص584).

(10) السويسي، تاريخ رباط الفتح (ص17).

(11) العبادي، صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس (ص166).

عليهم[1]، ويؤكد الدكتور حسين مؤنس أن ثورة بني غانية كانت مشكلة ضخمة استنزفت من دماء الدولة وجيشها عدداً كبيراً[2]، حيث ضعضعت الحكم الموحدي، وكانت من أسباب سقوط الدولة[3]، وانهيارها الكامل في نهاية المطاف[4].

2- الثوار الخارجون بمذاهب ضالة:

أ- المملوك الثائر يوزبا: خرج يوزبا[5] صاحب قراقوش، أثناء توجه الخليفة أبي يوسف لفتح بلاد إفريقية سنة 583هـ، عندها خاطبه يوزبا ضارعا راغبا فى الصلح والقبول، ثم نكث عهده واستبد بطرابلس[6] ثم لم يلبث أن شوهد يوزبا بالمهدية موثقًا بالحديد بعد أن قبض عليه قراقوش وأرسله إِلَى صَاحب تونس ليسيره إِلَى بِلَاد الأندلس مَوضِع نزُول ابْن عبد الْمُؤمن بالعساكر[7] فوصل إلى مراكش سنة 586هـ[8].

ب- الثائر الجزيري: لما خرج الدجال المسمى الثائر الجزيري[9] على المنصور سنة 586هـ، وأخذ ينشر الضلالات والفساد أمام الناس، قُبِضَ على الدجال في مرسية وعذب ثم أعدم وصلب[10].

ج- الرجل الأشل: عندما خرج الرجل الأشل[11] سنة 589هـ الذي ظهر في بلاد الزاب[12] ودعا لخلع الموحدين ومبايعته، وقاد دعوة سريعة اجتمع لها أتباع كثير من الأعراب وسفلة الناس

---

(1) النجار، المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي (مج1/106).

(2) المراكشي، وثائق المرابطين والموحدين (ص120).

(3) الدعيج: التاريخ السياسي للمغرب والأندلس، الشريط 8/رقم الشريط 12408، الحلقة 13 (برنامج مسجل).

(4) المراكشي، وثائق المرابطين والموحدين (ص120)؛ الصلابي، دولة الموحدين (ص168).

(5) مِنْ أَتْرَاكِ مِصْرَ مَمْلُوكٌ لِتَقِيِّ الدِّينِ ابْنِ أَخِي صَلَاحِ الدِّينِ، دخل ثائراً مع قراقوش، فَكَثُرَ جَمْعُهُمْ، وَقَوِيَتْ شَوْكَتُهُمْ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا بَلَغَتْ عِدَّتُهُمْ مَبْلَغًا كَثِيرًا وَكُلُّهُمْ كَارِهٌ لِدَوْلَةِ الْمُوَحِّدِينَ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج12/10)؛ العينى، عِقْدُ الجُمَان "العصر الأيوبي" (ج51/2).

(6) مراكشي مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار (ج111/1).

(7) أبي شامة، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية (ج217/4).

(8) مراكشي مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار (ج111/1).

(9) سبق التعريف بهذا الثائر وأسباب ثورته، وضلالته، في المبحث الثالث من الفصل الأول للدراسة.

(10) ابن عذارى، البيان المغرب "قسم الموحدين" (ص207-208)؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس (ج179/5-180).

(11) كان غريب الأطوار يلبس الفاخر من الثياب، ويعتم بعمامة خضراء، ومعه سيف محلًى، ويتحدث بلغة حضارية، ويزعم لأصحابه أن له معرفة بعلم الحدثان، وأنه موعود بأمره، وأن النبوءات نصت على خبره، وأنه لا بد أن يصل إلى غايته؛ ابن عذارى، البيان المغرب "قسم الموحدين" (ص215-216).

(12) الزاب: بلاد تقع بالمغرب على نهر جرار بين تلمسان وسجلماسة، عليه بلدان كثيرة، مثل بسكرة وتوزر وقسطنطينية وطولقة وقفصة وغيرها؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج652/2-653).

وغوغائهم، وقد كثرت اضطراباته في بلاد الزاب واعتداءاته، عندها أمر المنصور السيد أبا زكرياء صاحب بجاية بإنهاء أمره، فأخذ يبحث عنه، وتمكن من استدراجه وقتله بإجبار العرب على معونته في ذلك [1].

3- الأقارب الطامعين:

حيث قتل المنصور أخاه أبا حفص عمر[2] الملقب بالرشيد، وعمه أبا الربيع سليمان[3] عام 583هـ، لأنهما طمعا في الملك وخرجا عليه[4]، حيث ظنوا من وجهة نظر المؤرخ عبد الله عنان أن دولة المنصور قد تصدعت دعائمها وأوشكت على الانهيار بعد أن هزم الجيش الموحدي في وقعة عمرة، وقتل معظم قادته[5].

كما قتل أخاه أبا يحيى عام 585هـ عندما أشاع في الأندلس أن المنصور ميت لمرضه الشديد، وأخذ يدعو لنفسه، فقيده المنصور وقال له: إنما أقتلك بقوله ﷺ: "إذا بُويع خليفتان بأرض فاقتلوا الآخر منهما"! وأمر بضرب عنقه [6]، فهابه بقية القرابة وخافوه، بعد أن كانوا متهاونين بأمره محتقرين له، وأقبل على القرابة فنال منهم بلسانه وأخذهم بشدة، وأمر بإخراجهم على أسوأ حال، وكل منهم يشك أنه مقتول، ولم يزل أمر القرابة من يومئذ في خمول[7]، كما منع المنصور قرابته أن يرتدوا نفس ملابس السلطان فلم يعد أحد منهم يلبس ذلك اللون من الملابس[8]، وفعل المنصور ذلك ليقطع دابر الفتن، ويستأصل شأفة الطامعين، إلى أن تم له توطيد الأمن والاستقرار في ربوع مملكته[9]، حيث لم يكن لديه أي مجال للتهاون في عقاب أي عابث بأمن الدولة، حتى لو كان من أهل بيته وقرابته[10].

---

(1) ابن عذارى، البيان المغرب "قسم الموحدين" (ص215-217)؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس (ج5/192-193)؛ المطوي، السلطنة الحفصية (ص45-47).

(2) بدأ عمر بالتنقص من أبي يوسف على رءوس الأشهاد، تعريضًا وتصريحًا، وإلقاء ذلك إلى خواصه ليُلقوه إلى وجوه الأندلس؛ وانتهى أن قتل قاضي مرسية وخطيبها ابن أبي جمرة، وكزه برأس السيف في صدره فمات بعد أيام؛ المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص201).

(3) جمع أبو الربيع سليمان على نفسه قبائل صنهاجة ليقوموا بدعوته، وصرح بذلك ودعا أشياخهم فألقى إليهم ما أراد؛ المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص201-202).

(4) ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر (مج6/328)؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس (ج5/167-168).

(5) دولة الإسلام في الأندلس (ج5/166).

(6) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص205).

(7) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص205-206).

(8) ابن عذارى، البيان المغرب "قسم الموحدين" (ص188-189).

(9) الأشتر، معركة الأرك 591هـ (ص31).

(10) النجار، المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي (مج1/153).

المبحث الثاني:
التخطيط والإعداد الحربي

أولاً: التخطيط العسكري:

ظهرت كفاءة المنصور العسكرية عبر المواجهات التي قادها ضد أعدائه، والتي استخدم فيها التكتيكات العسكرية، والرؤى الاستراتيجية، وكان منها التالي:

1- الحصار: اعتمد المنصور أسلوب الحصار في كثير من المواجهات لإضعاف خصومه، وإجبارهم على الاستسلام.

ففي سنة 583هـ حاصر مدينة قفصة[1] التي استولى عليها الترك الداعين للموريقيين[2] حصاراً شديداً لثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ، فقَطَّعَ أَشْجَارَهَا، وَدمر مَا حَوْلَهَا، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ التُّرْكُ يَطْلُبُونَ الْأَمَانَ لِأَنْفُسِهِمْ وَلِأَهْلِ الْبَلَدِ، فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ[3]، كما حاصر المنصور في سنة 583هـ قصر العروسين[4] بقابس يومين والذي امتنعت فيه شيعة قراقوش وبن غانية، حتى نزلوا إليه من الأسوار راغبين في الأمان[5]، وفي سنة 586هـ استولى الفرنج على مَدِينَة شلب[6]، فأمر المنصور القائد أبا زكريا بالتوجه إلى إشبيلية، ثم لحق به المنصور من المغرب فتلاقت العساكر والحشود[7] عندها وأحاطوا بها ونصبوا عليها المناجيق وآلات الحرب[8]، فتركهم المنصور يحاصرونها حتى فتحوها، بينما توجه إلى حصن طرّش[9] فحاصره وافتتحه[10].

---

(1) كتب أبو الفضل بن محشرة إلى طلبة تونس سنة 583هـ، يخبرهم بدخول أهل الجريد تحت طاعة الموحدين، وبحصار مدينة قفصة؛ انظر: بروفنصال، مجموع رسائل موحدية (ص191-199).

(2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج13/10)؛ مراكشي مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار (ج151/1)؛ الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية (ص16).

(3) ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج13/10).

(4) قصر العروسين: قصر وبناء مشهور يقع في قابس من إفريقية، بناه بنو رشيد من العرب الذين وجههم العبيديون إلى إفريقية، للإفساد على المعز بن باديس؛ الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص451،410).

(5) الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص201).

(6) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (ج4/7).

(7) ابن عذارى، البيان المغرب "قسم الموحدين" (ص206).

(8) الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص343).

(9) طُرُّش: ناحية بالأندلس تشتمل على ولاية وقرى؛ الحموي، معجم البلدان (ج29/4)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج884/2).

(10) ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر (مج329/6).

وفي عام 592هـ خرج المنصور لغزوته في مدينة طليطلة حيث حاصرها، وقطع ثمارها، وضربها بالمجانيق[1]، وقاتلها قتالا شَدِيدا وَفتح فِيهَا عدَّة حصون مثل وادي الْحِجَارَة[2] ومجريط[3] وقلعة رَبَاح[4] وجبل سُلَيْمَان وإفليج وَكثير من أحواز طليطلة[5]، فيلاحظ أن التخطيط السليم، ساعد المنصور في اقتحام المدن والحصون[6]، وللحصار دور كبير في تحقيق النصر، كما حاصر الصحابة مسيلمة الكذاب، وتمكنوا من اختراق اليمامة وفتحوها، أثناء حروب الردَّة.

2- تمهيد سبل الجيوش، وتهيئة أحوالها:

فعندما تحرك المنصور عام 582هـ إلى قفصة لاستعادتها من الميارقة، أكد على سائر العمال بإصلاح الطرق وتمهيد السبل ونصب الجسور، لتسهيل حركة الجيوش، كما أمرهم بإعداد أقوات الجيش، ومعالف دوابه، حتى كان الناس يسيرون في الجيش بأحسن حال في ترفه وتمتع، بما لا يجدوه في أماكن عيشهم[7]، كما استراح المنصور في مدينة فاس، فاستراح الجيش وتفقد عدته وسلاحه، وتزود[8] بما يحتاجه[9]، كما أراح بتونس[10]، ولمّا دَخَلَ المنصورُ القَيْروانَ وجال

---

(1) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس (ص229)؛ أرسلان، الحلل السندسية (ج462/1).

(2) وادي الحجارة: مدينة حسنة حصينة قديمة تقع في الأندلس قرب طليطلة، بين الجوف والشرق من قرطبة، تعرف بمدينة الفرج، باردة الهواء، كثيرة الأرزاق، وبها مياه ووادي، وجنات وبساتين، وزروع متنوعة؛ مجهول، حدود العالم من المشرق الى المغرب (ص182)؛ الحموي، معجم البلدان (ج343/5)؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد (ص567)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج1416/3)؛ الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص606)؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس (ص193).

(3) مَجْرِيطُ: مدينة جليلة شريفة وقلعة حصينة تقع بالأندلس غرب وادي الحجارة، بمقربة من طليطلة، بناها الأمير الأموي محمد بن عبد الرحمن، ينسب إليها بعض الأدباء والصلحاء؛ الحموي، معجم البلدان (ج58/5)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج1234/3،1231)؛ الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص523)؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس (ص179-180).

(4) السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج192/2)؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس (ص229)؛ أرسلان، الحلل السندسية (ج463/1).

(5) السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج192/2)؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس (ص229).

(6) النجار، المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي (مج383/2).

(7) ابن عذارى، البيان المغرب "قسم الموحدين" (ص185).

(8) كان اهل المدينة يقدمون موائد الطعام لجند المنصور، ويقومون على ضيافتهم، ويتنافسون في ذلك الأمر؛ ابن عذارى، البيان المغرب "قسم الموحدين" (ص186).

(9) السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج160/2).

(10) ابن عذارى، البيان المغرب "قسم الموحدين" (ص185).

فيها عمِل على الإراحةِ فيها[1]، وعندما خرج المنصور سنة 586هـ لاستعادة شلب توجه إلى قصر مصمودة[2] فأراح به[3] ثم أقام بطريف[4] مريحاً[5]، وعندما فتح المنصور حصن طرش شاهد قلة المؤنة والمدد فرجع إلى إشبيلية[6]، ولما توجه المنصور للقاء الأعداء في وقعة الأرك وصل قرطبة فروح بها قبل المعركة[7]، إن إراحة الجيش والاهتمام بسلامته ومؤنته[8] من عوامل النصر، وكثيراً ما كان إنهاك الجيوش في الحروب وتعبها وقلة مؤنتها سبباً في الهزيمة، والقائد الكفؤ هو من يوفر لجيشه مقومات النجاح والعمل، كي يحصد الثمار المرجوة، فلقد علمنا أن من أسباب سقوط الخلافة العباسية هي إهمالها للجيش، وعدم الاهتمام بشؤنه مما سهل على التتار إسقاط بغداد.

3- إرسال الطلائع العسكرية للاستكشاف والمواجهة:

كان المنصور يعتمد على هذه الاستراتيجية لسببين الأول حتى يقدر قوة خصمه فيعد الجيش والعتاد اللازم لحربه، لما توجه المنصور لفتح قفصة، أرسل طلائعه تستكشف ما فيها وقدراتها، فهيأ الجيش والعتاد اللازم وفتحها[9]، الثاني مواجهة الأعداء وضربهم قبل وصول قوات

---

(1) الأوسي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (ج1/402-403).

(2) قَصْرُ مَصْمُودَةَ: حصن كبير يقع بالمغرب على ضفة البحر، وهو على رأس المجاز الأقرب إلى ديار الأندلس؛ الحموي، معجم البلدان (ج4/364)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج3/1100)؛ الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص476).

(3) ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر (مج6/329).

(4) طريف: جزيرة بها مدينة صغيرة حصينة تقع على البحر الشامي في أول المجاز المسمى بالزقاق، شرق بحر الظلمات، ويشقها نهر صغير، وقد أرسل موسى بن نصير سرية تحت قيادة أبي زرعة طريف لاستكشاف الأندلس، فنزلوا في جزيرة سميت باسم القائد طريف، فأغار عليها وغنم متاعاً وأمولاً وسبياً حسناً سنة 91هـ؛ الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص392).

(5) الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص342).

(6) ابن عذارى، البيان المغرب "قسم الموحدين" (ص206).

(7) الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص27).

(8) تؤكد الدكتوره ليلى النجار أن اهتمام المنصور بتوفير التموين اللازم للجيش، وعدم انقطاع خطوط وصوله إليه، ساهم في إحراز أكبر الانتصارات، حيث أن الجيش بهذا يكون متفرغاً للقتال، ولا يختلجه نوبات القلق والفزع حول قلة المئونة وما إلى ذلك، مما قد يضعف روح الجند المعنوية؛ انظر: النجار، المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي (مج2/383-384).

(9) كتب أبو الفضل بن محشرة إلى طلبة مراكش سنة 583هـ، يخبرهم بفتح مدينة قفصة؛ انظر: بروفنصال، مجموع رسائل موحدية (ص199-210).

الجيش النظامي، فتضعف بذلك معنوياتهم، فقد أرسل المنصور قرب وصوله إلى قابس طلائع من الفرسان والرماة[1] ليحيطوا بها كي يمنعوا الأعداء من الهروب ، إلى وقت لحوق الجيش بهم مع أول النهار[2]، كما أرسل المنصور بالكتب إلى جميع الجهات بصفة الثائر الجزيري وهيئته وعلاماته، حتى تمكنوا من القبض عليه وقتله[3]، كما تم دس العيون على الرجل الأشل للقبض عليه وقتله[4]، وفي سنة 587هـ تم إرسال الجنود الموحدية خفية إلى مدينة شلب لفتحها، في ظل أمن أهلها واطمئنانهم، فتمكنوا من اقتحامها، وهزيمة النصارى فيها[5]، وقد فعلها النبي ﷺ عندما أرسل حذيفة ﷺ في غزوة الخندق ليستطلع خبر القوم

4- الخدع العسكرية، واختيار وقت الحرب المناسب:

اعتمد المنصور على هذه الاستراتيجية في تحقيق النصر أحياناً، فقد امتثل لهدي النبي محمد ﷺ عندما قال: "الْحَرْبُ خَدْعَةٌ"[6]، فقد أرسل المنصور إلى أهالي المناطق التي غلب عليها رجالات ابن غانية جواسيساً بالكتب يتعهدهم فيها بالأمن والسلام، فلما استوثق أهل البلاد في المناطق من ذلك ثاروا على الخارجين عن الحكم الموحدي، وقبضوا على كثير من قادتهم[7] كما حصل في صاحب الجزائر ومليانة وغيرها..، بل ساهموا بفتح أبواب المدن للجيوش الموحدية القادمة لقمع الثوار[8]، ويؤكد الدكتور أحمد مختار العبادي أن الجواسيس والعيون فيما يعرف بـ(الطابور الخامس)، كان لهم دور هام وكبير في سير المعارك، وتحقيق الانتصارات،

---

(1) لما تراءىَ الجمعان على فرسخين من الحمة سرح المنصور سرية شنت غارة على أحياء العرب الموالين للموارقة صباحاً فاكتسحوهم وساقوا أموالهم ثم قفلوا، وبلغ العرب الذين مع الموارقة ما حل بأحيائهم فتفرقت جموعهم فتضعضع عسكر الموارقة، ثم باشر المنصور الحرب بنفسه وناجز أعداءه، والتحم القتال، فاستؤصلت الموارقة؛ الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص414).

(2) ابن عذارى، البيان المغرب "قسم الموحدين" (ص192).

(3) ابن عذارى، البيان المغرب "قسم الموحدين" (ص207-208).

(4) انظر: ابن عذارى، البيان المغرب "قسم الموحدين" (ص215-217).

(5) ابن عذارى، البيان المغرب "قسم الموحدين" (ص211-212).

(6) [الطيالسي: مسند أبي داوود، ما أسند جابر بن عبد الله الأنصاري/عمرو بن دينار عن جابر، 273/3: رقم الحديث 1804].

(7) أفلت قراقش وابن غانية وتوجهوا إلى قابس فاستسلم أهلها وفتحوا للمنصور أبوابها، وأسلموا أصحاب قراقش وشيعته، وكان اتخذها حصناً وشحنها بشيعته وأصحابه؛ الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص201)؛ الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية (ص16).

(8) ابن عذارى، البيان المغرب "قسم الموحدين" (ص177)؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس (ج151/5-152).

فكانوا يثيرون المخاوف في الأعداء ويمنونهم بالاستسلام، وكانوا كذلك يتربصون بعيون الأعداء ويطاردونهم ويبيدونهم[1]، وهذا يذكرنا بدور نعيم بن مسعود لما أثار النزاع بين يهود بني قريظة وقريش، في غزوة الخندق، فاستعمل منهج الحرب خدعة.

عندما قاتل الموحدون الثوار المويورقيين في وقعة الحمة قاتلوهم صباحاً[2] بعد شروق الشمس بسبب الضباب، وتمكنت جيوش المنصور من هزيمة جيش ابن غانية الذي فر من المعركة، وظلت جيوش المنصور تتقدم تستأصل الأعداء حتى صلاة الظهر وارتفاع الأذان[3]، فلو كان القتال أثناء الضباب لتشتت الجيش ولربما أصاب الجندي أخاه لضعف الرؤية والإبصار.

ثانياً: استنفار الجيوش، وانتخاب القادة:

ظهرت كفاءة المنصور العسكرية في تجميع الجيوش والأجناد في معاركه وغزواته، فقد عمل بقول الله عز وجل: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا** ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿ **انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾[5]، وقد اختار القادة الأكفاء في المعارك لتحقيق النصر بحيث يضع الرجل المناسب في المكان المناسب، فالقائد الجاهل يجلب الهزائم لقومه لعدم درايته وخبرته.

فعندما أكمل يعقوب المنصور الموحدي البيعة استنفر النَّاس للغزو مَعَ أَخِيه السَّيِّد يحيى فاستولى على بعض الْحُصُون وأثخن في بلاد الكفّر[6]، ولما قامت ثورة ابن غانية قام المنصور وجمع الحشود[7] واشتد على من تخلف عنه[8] وانتقى القادة الأكفاء والأعيان الخبراء

---

(1) انظر: العبادي، صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس (ص186-187).

(2) الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص201)؛ ابن عذارى، البيان المغرب "قسم الموحدين" (ص191).

(3) ابن عذارى، البيان المغرب "قسم الموحدين" (ص191).

(4) [النساء: 71].

(5) [التوبة: 41].

(6) ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر (مج325/6).

(7) ابن عذارى، البيان المغرب "قسم الموحدين" (ص177).

(8) الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص201).

الشجعان في هذه المواجهة أمثال أبي محمد بن أبي إسحاق، وأبي العباس الصقلي[1]، وأبي محمد بن عطوش الكومي[2]، وسرح أبا يوسف يعقوب بن أبي حفص بن عبد المؤمن في مقدمته[3]، وَفِي سنة 586هـ عندما استولى الفرنج على مَدِينَة شلب[4] فاستنفر يعقوب الناس للجهاد[5]، وأعد الأسلحة والأموال وأقام برباط الفتح في مدينة سلا حتى اكتملت الحشود وتجمعت القبائل ثم سار إلى قرطبة وعقدت له الرايات بجامعها الأكبر[6]، وَكتب[7] إِلَى قادة الأندلس يَأْمُرهُمْ بغزو بِلَاد الفرنج، فخرج والي قرطبة بجيش كبير فتح من خلاله شلب بعد حصارها وأعادها مرة اخرة لحاضرة المسلمين[8]، ولما بلغ المنصور احتلال الأذفونش أم غزالة[9] وربينة دعا إلى التعبئة العامة للجهاد فرابطت قواته في رباط الفتح حتى استكملت الجيوش حشدها، وأمر القائد أبا زكريا بالتوجه إلى إشبيلية لترتيب جنده وسلاحه، ثم تلاقت العساكر والحشود في وادي تاجه[10] .....

---

(1) هو أحمد الصّقلّيّ أصله من جزيرة جربة، من أسرة نصرانية، استخلصه صاحب صقلّيّة، ثم لحق بتونس ونزل على بني عبد المؤمن، ثم أجاز إلى مراكش فتلقّاه الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بالمبرّة والكرامة وأجزل الصّلة وقلّده أمر أساطيله فجلّى في جهاد أمم النّصرانيّة وكانت له آثار وأخبار ومقامات في دولة الموحّدين، وانتهت أساطيل المسلمين على عهده في الكثرة والاستجادة ما لم تبلغه من قبل ولا من بعد، وكان هو قائد الأسطول الذي وجهه المنصور لحرب بني غانية؛ انظر: ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر (مج1/316، مج6/327).

(2) ابن عذارى، البيان المغرب "قسم الموحدين" (ص177).

(3) الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية (ص16).

(4) السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج2/184)؛ مصطفي، الأندلس في التاريخ (ص107).

(5) ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر (مج6/329).

(6) الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص342).

(7) وكان من كتاب الجيش: أبو الحسن بن مُغْنٍ، وجاء بعده رجل يعرف بـ الكباشي؛ المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص194)؛ حسن: حسن علي، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس (ص119).

(8) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس (ص218–219).

(9) أُم غَزَّالةَ: حصن من أعمال ماردة يقع بالأندلس؛ الحموي، معجم البلدان (ج1/254)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج1/118).

(10) نهر تاجه: نهر عظيم يخرج من بلاد الجلالقة من جبل الأندلس فيشق مدينة طليطلة، متجها إلى المغرب حتى حدود هاردة وحدود شنترين، ومن ثم يصب في بحر المحيط المغربى؛ مجهول، حدود العالم من =

بالأندلس[1]، وكانت خطة المنصور هي العمل على إرغام ملك البرتغال على احتجاز قسم كبير من قواته وقوات حلفائه الصليبيين في الشمال بعيداً عن شلب[2]، لكي يخفف ضغط النصارى على قوات الموحدين الضاربة على شلب فتكرس جهودها للتغلب على منعة المدينة[3].

وَلما هزم الأذفونش في وقعة الأرك جمع جموعا عَظِيمَة وَبلغ الْخَبَر الْمَنْصُور فَبعث الى بِلَاد الْمغرب مراكش وَغَيرهَا يستنفر النَّاس من غير إِكْرَاه فَأَتَاهُ من المتطوعة والمرتزقة جمع عَظِيم ثمَّ هَزَمَ الفرنج عام 592هـ[4].

وقد أكد الدكتور محمد بن إبراهيم بن صالح الحسين أبا الخيل أن العلماء بذلوا مجهوداتهم وأوقاتهم في حشد طاقة جماعة المسلمين في الأندلس لجهاد النصارى، والتصدي لزحفهم وغاراتهم وانتهاكاتهم الوحشية على أراضي الأندلس[5]، وكان جيش المنصور يتكون من الصالحين والعلماء الذين شاركوا المنصور في غزواته ضد نصارى الأندلس[6].

إضافة لذلك فإن المؤرخ محمد المنوني يؤكد على أن الصناعات الحربية الموحدية التي قدمت أنواعاً مختلفة من الآلات الحربية المتطورة ساهمت في تحقيق النصر عند حشدها مع الجيوش، أمثال الدبابات التي كانت تصنع من الأخشاب العظيمة، وتشحن بأنواع الأسلحة، وتقوم بعمل الأبراج في اعتلاء الأسوار، وتردم حفر الأعداء، وكانت تحمل اسم (البرج المبارك)، والمجانيق وكانت تستعمل في هدم الأسوار والديار، أثناء الحصار، والبارود الذي قيل أن الموحدين استعملوه في صورة آلات قاصفة تقذف الكرات الملتهبة بواسطة البارود، وتستعمل لحرق الأعداء وإرعابهم[7]، والأساطيل التي استفحلت في عهد الموحدين، فكانت لها مصانعها

=

المشرق الى المغرب (ص67)؛ الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص127)؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس (ص62).

(1) ابن عذارى، البيان المغرب "قسم الموحدين" (ص203-206).

(2) كتب أبو الفضل بن محشرة إلى طلبة سبتة سنة 586هـ، يخبرهم بغزوته في غرب الأندلس، وفتحه بعض حصون النصارى؛ انظر: بروفنصال، مجموع رسائل موحدية (ص218-228).

(3) عنان، دولة الإسلام في الأندلس (ج177/5).

(4) السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج192/2).

(5) جهود علماء الأندلس (ص175).

(6) انظر: أبو الخيل، جهود علماء الأندلس (ص290-295).

(7) انظر: العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين (ص264-265)؛ المريني، الجيش المغربي عبر التاريخ (ص36).

الخاصة الكبيرة، وكانت الأساطيل الموحدية من أكبر الأساطيل في زمانها وكان لها دور كبير في الغزوات البحرية والبرية، وعمليات الحصار[1].

ثالثاً: النكاية في الأعداء وإذلالهم:

عندما حارب المنصور الثوار الموريقيون المتحصنين بقفصة حاصرهم بشدة وضربهم بأحجار المناجيق فهدم أسوارها[2] وأحرقها بالنار، وقطع أشجارها وغير بهجتها ونزع الحسن عنها[3]، وعندما دخل المنصور مدينة قفصة وتم القبض على الثوار المويورقيين الخارجين عن حكمه ذبحهم عن آخرهم[4].

وفي سنة 585هـ شن المنصور الغارات على مَدِينَة أشبونة[5] وأنحائها فَقطع الثِّمَار وَحرق الزروع وَقتل وأضرم النيرَان فِي الْقرى وأبلغ فِي النكاية وَانْصَرف[6] بـ 13 ألف سبية[7]، وعندما فتح مدينة شلب[8] واستعادها من الفرنج عام 587هـ سبى 15 ألفا، وأسر 3 آلاف قدمهم

---

(1) انظر: العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين (ص253-255)؛ المريني، الجيش المغربي عبر التاريخ (ص37-38).

(2) هدم الإمام المنصور سور مدينة قفصة وكشف ستور أهلها ليكف شرهم ومكرهم، فلم يبق من السور إلا أساسه وبرج واحد؛ مراكشي مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار (ج151/1).

(3) الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص479).

(4) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص199-200)؛ الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص479)؛ مراكشي مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار (ج151/1)؛ الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية (ص16)؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس (ج165/5).

(5) المكناسي، جذوة الاقتباس (ص555)؛ السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج189/2-192)؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس (ص218)؛ السَّمْلالي، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات (ج265/10).

(6) وصل المنصور إلى العدوة ب 13 سفينة محملة بالنساء والذرية، فوصل مدينة فاس في آخر رجب من سنة 585هـ؛ المكناسي، جذوة الاقتباس (ص556)؛ السَّمْلالي، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات (ج265/10).

(7) السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج189/2-192)؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس (ص218)؛ ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار أفريقية وتونس (ص114).

(8) عندما تحرك المنصور إلى شلب اتجه في طريقه إلى قصر أبي دانس غربي الأندلس فنزلوا على حكمه فاحتملوهم إلى مراكش، ثم رحل إلى حصن بلماله، فاستسلموا ورغبوا في الأمان على أن يتركوا الحصن وينصرفوا إلى بلادهم، فخلي سبيلهم، وانتهب جميع ما كان في الحصن ثم هدم، ثم قصد إلى حصن المعدن فافتتح وهدم، وبعد الفراغ من ذلك كان النهوض إلى شلب فجدوا في قتالها وبالغوا في نكاية أهلها حتى استسلمت المدينة في 26 جمادي الآخرة؛ الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص343).

بَين يَدَيْهِ فِي القطائن خَمْسُونَ علجاً فِي كل قطينة[1]، وعندما انتصر المنصور في وقعة الأرك وحمل الغنائم الكثير من النصارى القشتاليين، وتم قتالهم وإفناؤهم، وصل الأمر في إذلالهم أنه بِيع الأسير القشتالي بدِرهم، والسّيف بنصف، والحصان بخمسة دراهم، والحمار بدرهم[2]، وفي عام 592هـ تقدم المنصور إلى طليطلة فحاصرها وقاتلها قتالا شَدِيدا وَقطع أشجارها وَشن الغارات على مَا حولهَا من الْبِلَاد وَفتح فِيهَا حصوناً عدَّة[3]، ثم توجه إلى طلمنكة[4] فدخلها عنْوَة بِالسَّيْفِ فَقتل مقاتليها وسبا النِّسَاء والذراري وغنم أموالها وَهدم أسوارها وأضرم النيرَان فِيها حتى دمرها[5]، وبهذا أدخل المنصور الرعب في قلوب أعداء الإسلام وأعداء مملكته فضعفت نفوسهم عن حربه، وأخذوا يحسبون له ألف حساب، فإظهار القسوة في وجه الأعداء مطلوبة لدفع شرهم، وذلك مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ** ﴾[6]، فبذلك يعز دين الله ويذل أهل الشرك، وهي من صفات المجاهدين الموحدين، حيث وصفهم الله قائلاً: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾[7].

---

(1) السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج2/189-192)؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس (ص219).

(2) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (ج9/42)؛ المقري، نفح الطيب (ج443/1)؛ السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج191/2)؛ قطب، مذابح وجرائم محاكم التفتيش (ص24-25).

(3) السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج2/189-192)؛ مقديش، نزهة الأنظار (ج470/1).

(4) طَلَمَنْكَةُ: مدينة تقع بثغر الأندلس، وبينها وبين وادي الحجارة 20 ميلاً، اختطّها محمد بن عبد الرحمن الأموي، ينسب لها بعض العلماء؛ الحموي، معجم البلدان (ج39/4)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج891/2)؛ الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص393)؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس (ص128).

(5) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس (ص229).

(6) [التوبة: 123].

(7) [المائدة: 54].

رابعاً: الهمة العالية، والغضب لحرمة الإسلام:

كان المنصور ذا همة عالية في الجهاد والإقدام، فتحقق له النصر في كثير من المواطن، فقد كان يبادر لقتال الأعداء من الروم والخوارج بنفسه رغم اعتراض القادة لذلك خوفاً عليه، حتى ثبت أركان دولته فغدت العصر الذهبي للموحدين في زمانه.

وَ لما بلغ الْمَنْصُور أَن ابْن غانية استولى على قفصة نَهَضَ بِنَفسِهِ من حَضْرَة مراكش سنة 582هـ[1]، ثم بعد الهزيمة التي مني بها الموحدون أمام ثوار ميورقة[2]، غضب المنصور وتحرك في رجب من تونس[3] بنفسه ليقاتلهم[4] حتى لقي علي بن غانية عام 583هـ[5]، وقد حاول أشياخ الموحدين وأصحاب الدولة إثناءه عن المشاركة خوفاً عليه إلا أنه رفض إلا أن يقاتل مع الجند، فاستأصل الأعداء وهزمهم وأعاد ما أخذوه من البلاد[6].

تحرك المنصور إلى الأندلس برسم غزو غربها، وهي أول غزواته للروم، فجاز إليها من قصر المجاز إلى الخضراء، وذلك في خميس 3 ربيع الأول سنة 585هـ، فارتحل عن الخضراء إلى أن نزل على شنترين، وشن الغارات على مدينة الأشبونة[7] بالأندلس[8].

---

(1) السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج160/2).

(2) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص199).

(3) الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص201).

(4) الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص201)؛ المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص199)؛ مراكشي مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار (ج131/1)؛ الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية (ص16).

(5) الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص200)؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (ج4/7)؛ مراكشي مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار (ج131/1)؛ الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية (ص16).

(6) ابن عذارى، البيان المغرب "قسم الموحدين" (ص190-191).

(7) الأُشْبُونَة: مدينة قديمة طيبة حسنة منيعة من أعمال باجة تقع بالأندلس على مصب نهر شنترين قرب البحر المحيط غربي قرطبة، ويقال لها لشبونة، وبها جبال، ومعادن مختلفة، وثمار متنوعة، وثروة حيوانية وسمكية، وينسب إليها جماعة من العلماء والزهاد؛ الحموي، معجم البلدان (ج195/1،ج16/5)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج80/1،ج1203/3)؛ الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص61)؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس (ص16)؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد (ص555،496).

(8) السَّمْلالي، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات (ج265/10).

وَفِي سنة 585هـ عندما استولى الفرنج [1] على مَدِينَة شلب[2] من المسلمين[3]، غضب المنصور بشدة وتحرك بنفسه للمواجهة [4]، وأمر قادة الأندلس بغزو الفرنج، وأعلمهم أنه قادم عليهم في أثر كتابه[5]، وخرج المنصور من مراكش قاصداً الأندلس في ذي الحجة[6]، فلما وصل حاصر حصن طرش بنفسه وافتتحه[7]، وفي حملته لفتح طليطلة، وصل المنصور إلى مواضع لم يصل إليها ملك من ملوك المسلمين قط[8]، كما وصل إلى مقربة من ضفاف دويرة، الذي لم يقترب من ضفافه منذ مدة طويلة أي جيش إسلامي[9].

فالقائد قدوة لجنده وضرب المثل في ذلك إذا أردت أن تكون إمامي فكن أمامي، والنبي ﷺ كان يقود المعارك ويسير الجيوش بنفسه، وقد قال الله عز وجل: ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآَخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا** ﴾[10]، ومن هنا امتثل المنصور وخاض بهمته المعارك فكان يجوز إلى بلاد الأندلس يقاتل الروم في جهاده الخارجي، فما أن يسمع بثورة في أفريقيا والمغرب يعود لتثبيت أركان بيته الداخلي بالأمن والسلام وإزالة أصحاب الفتن والأعداء، حتى بلغ جوازه من العدوة القصوى إلى الأندلس الثلاث مرات.

---

(1) حيث حاصر ابن الرنق صاحب قلمرية مدينة شلب في ربيع الآخر، إلى أن ضاق أهلها بالحصار وخافوا الغلبة عليهم فصالحوه على أن يخرجوا سالمين في أنفسهم ويتركوا البلد بجميع ما فيه من أموالهم وأثاثهم، فأجابهم إلى ذلك، ووفي لهم بما صالحهم عليه، ودخلها في 20 رجب؛ الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص342).

(2) عندما قام ملك البرتغال ابن الرنق بالتجهز لغزو ديار الإسلام، كانت الظروف الإقليمية مشجعة لطموحاته، فالمنصور الموحدي غارق في صراعاته الداخلية مع الميارقة وثوار بني غانية، إضافة لقلة الجيوش الموحدية في الأندلس عدداً وعدة، بالإضافة إلى حصول الدعم الصليبي من الألمان والإنجليز الذي توقف في سواحل الأندلس وهو باتجاه حملته الصليبية الثالثة في المشرق الإسلامي، ودعمه العسكري لملك البرتغال؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس (ج170/5).

(3) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (ج4/7)؛ الحجي، التاريخ الأندلسي (ص463).

(4) الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص342).

(5) السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج184/2).

(6) الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص342).

(7) ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر (مج329/6).

(8) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص207).

(9) أبو خليل، الأرك بقيادة يعقوب المنصور الموحدي (ص65)؛ أشباخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين (ج339/3)؛ الصلابي، دولة الموحدين (ص182)؛ الأشتر، معركة الأرك 591هـ (ص84).

(10) [الأحزاب: 21].

المبحث الثالث:

الجهاد العسكري على الثغور (موقعة الأرك "دراسة حالة ميدانية"):-

ظهرت كفاءة المنصور العسكرية عبر الكثير من المواجهات التي قادها ضد أعدائه، لكن معركة الأرك مثلت حالة فريدة من الجهاد العسكري للمنصور على مستوى تاريخ الإسلام في الأندلس، إذ تعد من أعظم معارك الإسلام في الأندلس، إن لم تكن أعظمها، فقد أظهرت براعة المنصور، وقدمت لنا خلاصة حيوية عن تجربة الجهاد الإسلامي الرائع في الأندلس، من خلال التكتيكات العسكرية المحكمة، والرؤى الاستراتيجية الواسعة، التي استخدمها المنصور في المعركة، وسيتم بيان هذا الأنموذج المهم الذي شكل صورة مشرقة في تاريخ الإسلام على ثلاثة مواضيع:

أولاً: أحداث المعركة:

تسارع الأحداث في الأندلس:

قاتل يَعْقُوبَ الْفِرِنْجَ سَنَةَ 586هـ[1] فسأل الأذفونش المنصور الصلح، فصَالَحَهُمْ لمدة 5 سنين[2]، لكن رفض طَائِفَةٌ مِنَ الْفِرِنْجِ الصُّلْحَ[3]، وعندما ارتحل المنصور إلى مراكش وأقام بها حتى سنة 591هـ بسبب مرضه[4]، وكانت مدة الهدنة قد انقضت سنة 590هـ فاستغل الأذفونش الثامن ملك الروم فرصة انتهاء العهد ونقمة الفرنج[5]، فأخذ يشن الغارات على المسلمين[6]، فخرجت طائفة الفرنج الناقمين على الصلح منذ البداية في جيش كثيف[7] إلى بلاد المسلمين فنهبوا وسبوا وعاثوا فساداً وقتلاً في بلاد[8]، الأندلس شرقاً وغرباً في يوم واحد، وعم ذلك جهات اشبيلية ونواحيها[9].

---

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج136/10)؛ الحجي، التاريخ الأندلسي (ص463).
(2) السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج185/2)؛ الحجي، التاريخ الأندلسي (ص463).
(3) ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج136/10).
(4) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس (ص220).
(5) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص206).
(6) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص206)؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس (ص220)؛ الحجي، التاريخ الأندلسي (ص464).
(7) اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان (ج363/3).
(8) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (ج4/7)؛ الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص27).
(9) الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص27).

التجهيز للمعركة: –

ولمَّا بلغ المنصور يعقوب ما فعله صاحب قشتالة[1] امتعظ من ذلك[2]، واستنفر الناس، وجمع المنصور جيشاً قوامه 200 ألف[3]، مقابل ما يزيد على 300 ألف مقاتل من جيوش النصارى[4]، وتوجه بجيوشه إلى الأندلس[5]، وقد كانت خطة المنصور في البداية ترمي إلى اختراق قلب إسبانيا[6]، وافتتاح طليطلة، وبهذا يستطيع محاربة الممالك النصرانية الأخرى بسرعة ويسر، لكنه عندما علم بحشد جيوش النصارى عند قلعة الأرك قرر الاتجاه إليهم، والاشتباك مع أعدائه[7].

سير أحداث المعركة:–

سارت معركة الأرك وفق المراحل[8] الأربع التالية..

1– تقسيم الجيوش في المعركة:–

قام المنصور بتقسيم جيشه إلى قسمين:–

الجيش الأول بقيادة يحيى بن أبي حفص الهنتاتي[9] كبير الوزراء حيث عقد له المنصور اللواء، وضربت الطبول السلطانية أمامه، وعقد على مقدمته للقائد العسكري ابن أبي صناديد الأندلسي، والجيش الثاني بقيادة المنصور[10].

---

(1) سيتم تعريف هذا المكان جغرافياً وبيان موقعه لاحقاً بإذن الله عز وجل.

(2) الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص27).

(3) الباعوني، تحفة الظرفاء في تواريخ الملوك والخلفاء (ص162، نسخة أصلية) = نقلاً عن: النجار، المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي (مج1/185).

(4) ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار أفريقية وتونس (ص116).

(5) السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج2/191).

(6) انظر: الملحق الثالث عشر من الدراسة، ص238.

(7) أشباخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين (ج2/333)؛ النجار، المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي (مج1/179–180).

(8) سارت معركة الأرك وفق عدة مراحل، وقد قام الباحث بإعداد عدة خرائط باستخدام برنامج الرسم والتصميم الـ CorelDRAW وبرامج الـ .GIS المحوسبة المتقدمة، كتوضيح لسير أحداث المعركة جغرافياً، وتسلسل مراحلها، من الملحق 7 إلى الملحق 12، وقد وضح الباحث في الملحق 7 الرموز والإشارات المستخدمة في الخرائط، كشرح لتفاصيل المعركة بشكل أفضل، ولكي تفهم أحداثها بشكل أعمق، ص232.

(9) إن اختيار المنصور للقيادة العامة من قبيلة هنتاتة ساعد على دقة تنفيذ الخطة المرسومة ضد النصارى، لما لهذه القبيلة من دور كبير في الدعوة الموحدية، وقيام الدولة؛ النجار، المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي (مج2/378).

(10) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس (ص225).

وكانت الخطة العسكرية الاستراتيجية التي وضعها ابن صناديد بالاتفاق مع المنصور أن يسير الجيش الأول بقيادة الوزير الكبير يحيى بن أبي حفص في المقدمة، ويليه الجيش الثاني بقيادة المنصور بعيداً عن أنظار العدو، وعند بدء المعركة يصطدم الجيش الأول بالأعداء الصليبيين، فإن انتصر فبها ونعمة، وإن كان غير ذلك ينهض الجيش الثاني بقيادة المنصور للمواجهة، بعد إصابة الجيوش الصليبية بالتعب والإرهاق وضعف عزيمتها وشوكتها، فيحسم المعركة [1]، فوافق المنصور على الخطة وَأمر الشَّيْخ أَبَا يحيى بالرحيل والتقدم أَمَامه إِلَى جِهَة الْعَدو، فَكَانَ الشَّيْخ أَبُو يحيى إِذا أقلع بجيشه عَن مَوضِع صباحاً خَلفه الْمَنْصُور فِيهِ بجيشه مسَاءً حَتَّى أشرف الشَّيْخ أَبُو يحيى على جموع الفرنج[2].

وعند الحلول على ساحة المعركة تم تقسيم وضبط صفوف ومكونات ومواقع الجيشين على النحو التالي[3]:

الجيش الرئيسي الأول: بقيادة أبي يحيى بن أبي حفص

قام الشيخ أبو يحيى بن أبي حفص بتقسيم الجيش الأول حسب مكوناته وأجناسه وقبائله إلى قلب وجناح أيمن وجناح أيسر ومقدمة، على النحو التالي:-

القلب: القائد أبو يحيى بن أبي حفص مع قبيلته هنتاتة.

المقدمة: المتطوعة، وعقد عليهم الشَّيْخ أَبا مُحَمَّد عبد الْوَاحِد بن أبي حَفْص، الأغزاز الترك أصحاب الرماح الطويلة، والرماة حملة النبال الخفيفة -النشابة-، وعقد عليهم الفقيه الصَّالح أبا خزر يخلف بن خزر الأوربي.

الجناح الأيمن: عساكر الأندلس بقيادة أبي عبد الله ابن صناديد.

الجناح الأيسر: العرب، وقبيلة زناتة والمصامدة وسائر قبائل المغرب، وتم عقد الرايات للقبائل لكل أمير [4] راية تلجأ قبيلته إليها، فتقف في مركزها الذي عين لها[5].

---

(1) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس (ص224).

(2) السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج189/2).

(3) انظر: الملحق الثامن من الدراسة، ص233.

(4) عقد الْمَنْصُور لجرمون بن ريَاح على قبائل الْعَرَب ولمنديل بن عبد الرَّحْمَن المغراوي على قبائل مغراوة ولمحيو بن أبي بكر بن حمامة المريني جد الْمُلُوك المرينيين على قبائل بني مرين ولجابر بن يُوسُف العَبْد الْوَادي على قبائل بني عبد الواد ولعباس بن عَطِيَّة التوجيني على قبائل بني توجين ولتلجين بن عَليّ على قبائل هسكورة وَسَائِر المصامدة ولمحمد بن منغفاد على قبائل غمارة؛ السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج188/2).

(5) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس (ص226)؛ السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج188/2-189).

الجيش الرئيسي الثاني: بقيادة المنصور الموحدي.

فكان في الساقة – المؤخرة – بعيداً عن الأنظار كما اقتضت خطة المعركة، وكان مكون من:- العبيد السودان: وهم فرقة الحرس الملكي المحيطة بالسلطان يعقوب المنصور الموحدي، وحشمه. الجيش الموحدي: وهو مكون من عساكر الموحدين النظاميين للدولة (صفوة الجند)، وفرق الاحتياط[1].

2- الإلتقاء بالأعداء، ومقدمة المعركة العسكرية:-

زحف العدوّ النصراني للقاء الموحدين، وأمراؤهم يومئذ ثلاثة: ابن الرند والبيّوح وكبيرهم الأذفونش[2]، وأشار يوسف أشباخ أن الصليبيين بقيادة الأذفونش حشدوا سلاحهم وقواتهم ودوابهم بتنظيم، وعسكروا عند الأرك[3]، فكان ذلك لصالحهم، حيث المكان عالٍ مشرفٍ ممتنع، يحميه

---

(1) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس (ص225).

(2) ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر (مج6/329).

(3) الأرك: هو حصن منيع يقع بالأندلس بالقرب من قلعة رباح، وهو أول حصون أذفونش بالأندلس، وهناك كانت وقعة الأرك بين الموحدين والنصارى؛ الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص27)؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس (ص12).

وقد صور المؤرخ محمد عبد الله عنان البقعة التاريخية لوقعة الأرك في زيارته ودراسته الميدانية لساحة المعركة عام 1963م فيقول: أن الميدان لا زال معروفاً بمواقعه وحدوده ليس بالرواية المتواترة فقط بل آثار حصن الأرك، والذي تقوم مكانه اليوم "كنيسة القديسة مريم صاحبة الأرك"، ويقع هذا المكان على قيد 6 كيلو مترات من غربي مدينة "ثيوداد ريال" الحديثة، وشمال غربي بلدة "بوبليتى" الصغيرة، وتفضي إليه طريق جبلية معبدة، تخترق في البداية بسيطاً أخضراً من الأرض، يفضي غير بعيد إلى مجموعة من الهضاب الصغيرة، وعلى نحو 4 كيلو مترات من هذه الهضاب تقع ربوة الأرك التي تقوم اليوم على أنقاض حصنها – مع وجود بقايا من آثارها – كنيسة مريم، وتشرف الربوة على واد عميق متدرج، يصطلح على أنه المكان الذي وقعت فيه المعركة، ويجري نهر وادي يانه بحذاء هذا الوادي من شماله وغربه، ويدور في انحناءة كبيرة حول ربوة الأرك، ويطلق اليوم على هذا الوادي الذي تغمره الخضرة اسم "محلة ديجو"، ويبدو من أوصاف أدوار المعركة أن محلة الجيش القشتالي كانت تحتل مكاناً يتصل بمشارف ربوة الأرك على مقربة من الحصن، ويمتد في اتجاه قرية بوبليتى، ويستند إلى الحصن، وعلى نهر وادي يانه، وأن المسلمين كانوا يحتلون البسيط الواقع قبالتهم في أسفل الوادي، وتستند محلتهم غرباً إلى يسار النهر؛ دولة الإسلام في الأندلس (ج5/203-204).

انظر: الملحق الرابع عشر من الدراسة، ص239.

من جانب قلعة حصن الأرك، ومن الجانب الآخر بعض التلال، ولا يمكن الوصول إليه إلا بواسطة طرق ضيقة وعرة[1]، وكان الجيش الأول من الموحدين بقيادة أبو يحيى بن أبي حفص قد تقدموا، فالتقوا مع العدو، وهو في تلك الربوة العالية[2]، وبدأت أحداث المعركة الفعلية، في صباح يوم الخميس من 9 شعبان سنة 591هـ[3]، حيث تذكر الرواية النصرانية أنه تم تعبئة مقدمة المسلمين – المتطوعة والجنود الخفيفة وحملة النبال – للهجوم، فتقدموا لافتتاح المعركة، وزحفوا ببطئ نحو سفح التل حيث معسكرات النصارى ومحلتهم وحاولوا اقتحامه، فانقض عليهم الصليبيون القشتاليون في حملتهم العسكرية بغير انتظام، ونشبت المعركة المرتقبة[4]، حيث نفذ فرسان كتيبتهم القشتالية ثلاث حملات عسكرية ضد الجيش الإسلامي[5].

3- حملات المعركة العسكرية الثلاث:-

أ- الحملة الأولى /

كان هدف الحملة العسكرية الأولى رد الزحف الذي قام به طلائع الجيش الموحدي من الرماة والمتطوعة التي زحفت نحو الربوة، والاشتباك مع مقدمة الجيش الموحدي.

وبينما كان القائد جرمون بن رياح أمير العرب يحرض المقاتلين في مراكزهم على الجهاد، إذ انفصلت من جيوش العدو كتيبة كبيرة – زهرة الفروسية الإسبانية – بلغ تعدادها 7 – 8 آلاف فارس[6] منتخب كلهم مدجج بالحديد، وكانوا قد تعاهدوا على الصليب بالقتال حتى الموت أمام القساوسة، وعند وصول الحملة العسكرية الأولى اندفعت بأجمعها، حتى

---

(1) أشباخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين (ج3/336).

(2) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس (ص226).

(3) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (ج7/8)؛ السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج2/189).

(4) عنان، دولة الإسلام في الأندلس (ج4/208) = نقلاً عن:Miranda، Las grandes batallas de la Reconquista durante las invasions africanas [p. 152]؛ أشباخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين (ص336)؛ أبو رميله، علاقات الموحدين بالممالك النصرانية (ص264)؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس (ج4/204).

(5) أبو رميله، علاقات الموحدين بالممالك النصرانية (ص262).

(6) حدث اختلاف في عدد أفراد الكتيبة النخبة، فالمكناسي يرجح أن تكون من 7 – 8 آلاف مقاتل، بينما السلاوي يقول 10 آلاف مقاتل، والراجح عند الباحث صحة العددين، بمعنى يكون العدد الأول للمكناسي عند الحملة العسكرية الأولى، والعدد الثاني يكون عند الحملة العسكرية الثالثة، فالرواية تقول أنه في الحملة العسكرية الثالثة عززت صفوف الكتيبة القشتالية بقوى جديدة وضوعفت جهودها.

اصطدمت أطراف رماح المسلمين في صدور خيلها أو كادت[1]، وقد حصد الرماة المسلمون في المقدمة[2] عدداً من النصارى[3]، على إثرها تقهقرت الحملة العسكرية الأولى قليلاً[4]، في ظل تحريض الزعيم عامر العربي والشيخ أبي يحيى بن أبي حفص الهنتاتي والقائد ابن صناديد الأندلسي المجاهدين على الإخلاص والصبر والعزيمة والثبات[5]، ونخلص بأن الهجوم القشتالي الأول لم يحقق أي نتائج مهمة، إذ تصدى له الأغزاز الترك أصحاب الرماح الطويلة بقيادة أبي خزر يخلف بن خزر الأوربي، حيث وضعهم المنصور في المقدمة لشجاعتهم عند اللقاء، فكانت إنجازات الهجوم النصراني طفيفة إذ تمكنوا من رد الزحف الذي قام به المتطوعة والرماة – مقدمة الجيش الموحدي – نحو الربوة حيث محلة وقلب الجيش النصراني.

---

(1) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس (ص226)؛ السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج2/189-190).

(2) يرجح الباحث أن الرماة كانوا خلف الأغزاز الترك أصحاب الرماح الطويلة، حيث اصطدمت خيول الروم بأطراف رماحهم، في الوقت الذي كان فيه الرماة يقذفون الكتيبة القشتالية من الخلف، وهذه الطريقة الحربية قديمة، وهي معروفة، وتتبعها أكثر الجيوش منذ القدم، إذ لا يعقل أن يكون الرماة في أول الصفوف، فلو تعرضوا لصدام مباشر فأسلحتهم لن تنفعهم، حيث تأثيرها القوي يكون عن بعد.

ويؤكد الأستاذ عبد الحق المريني على أن الموحدين استعملوا الطرق الجرمانية القديمة في الحرب، بمعنى أن المتطوعون هم من يبدئون بالهجوم أولاً رافعين أعلامهم الخضراء، ثم يتقدم حملة الحراب كالسد، ومن خلفهم حملة النبال والسهام والحجارة يقذفون، ومن الخلف حملة السيوف والدروع؛ المريني، الجيش المغربي عبر التاريخ (ص34).

(3) النجار، المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي (مج1/189) = نقلاً عن:Miranda، Las grandes batallas de la Reconquista durante las invasions africanas [p. 207-209].

(4) تؤكد الدكتوره ليلى النجار على أن نخبة الكتيبة القشتالية قد انتاب أفرادها الخوف والذهول من حسن نظام الجيش الموحدي وتوزيعه، وهذا ما دفعها للانسحاب بسرعة في هجمتها الأولى؛ المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي (مج2/192).

ويؤكد الباحث على أن استخدام عناصر المتطوعة وحملة السهام الخفيفة كان له أكبر الأثر في إرباك الجيش القشتالي، واندفاع كتيبته المنتخبة بغير انتظام أولاً، وانسحاب أفرادها من الوهلة الأولى عند اللقاء ثانياً، وقد استخدم الاسكندر المقدوني هذا الأسلوب في حربه مع الجيوش الفارسية بقيادة داريوس في ساحة معركة غوغميلا، حيث كان يرسل الجنود الخفيفة من حملة النبال ومقالع الحجارة، والذين عرفوا بالبليتاست ليثيروا الإرباك، ويزعزعوا صفوف الجيش الفارسي، وقد كان لهذه الاستراتيجية أكبر الأثر في هزيمة جيوش داريوس الفارسية، وانتصار الجيش اليوناني بقيادة الاسكندر، واحتلاله لبلاد فارس.

(5) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس (ص226)؛ السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج2/189-190).

كما أن الهجوم لم يغير من شكل وتركيبة المعركة، وصفوفها العسكرية، فبقيت كما هي عليه في الحال، حيث الجيش الرئيسي الأول بقيادة أبي يحيى بن أبي حفص على تشكيله السالف الذكر من قلب وجناح أيمن وجناح أيسر ومقدمة، والجيش الرئيسي الثاني بقيادة المنصور البعيد عن الأنظار على ما هو عليه، بينما الجيش الصليبي القشتالي، فقد حدث تغير في تركيبته، إذ هناك قلب الجيش عند حصن الأرك فوق الربوة بقيادة الأذفونش الثامن، والمقدمة ممثلة بكتيبة النخبة القشتالية التي باشرت الهجوم وستباشر في الحملتين التاليتين.

ب- الحملة الثانية /

تمكنت الحملة الأولى من رد زحف المتطوعة والرماة، فأصبح الطريق مفتوح أمام الاصطدام بالجيش الموحدي، فكان هدف الحملة الثانية هو سحق المقدمة، والاشتباك مع قلب الجيش الموحدي.

بعد تقهقر الحملة الأولى قليلاً عاودت الكتيبة القشتالية للهجوم مرة ثانية[1]، فلما وصلت الموجة الجديدة من الهجوم واصطدمت بمقدمة الجيش الموحدي، تمكنت من اختراقها، واندفعت حتى وصلت للأعلام السلطانية، فثبت لها قلب الجيش الموحدي، عندها اضطرت للإمالة على ميسرة الجيش الموحدي[2] حيث قبائل العرب والبربر، فتزحزحت بعض صفوف المتطوعة الإسلامية وأخلاط السوقة، عندها حرض المنصور من حوله في ساقة الجيش الرئيسي الثاني على الصدق والإخلاص، ثم تحرك من الساقة لوحده، ومر على صفوف القبائل[3]، يأمرهم بالهجوم على عدوهم والنفوذ إليه، ثم عاد إلى موضعه وساقته، فألهبت كلمات المنصور الموحدين، وأشعلت حماسهم، فهجم المسلمون بقبائلهم، على الأعداء، وتمكنوا من ردهم، وإزالتهم

---

(1) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس (ص226)؛ السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج190/2).

(2) تفسر الدكتوره ليلى النجار سبب هجوم الكتيبة القشتالية على الجناح الأيسر الموحدي حيث العرب والبربر، وامتناعها عن مهاجمة الجناح الأيمن الأندلسي، ذلك لأن الجناح الأيسر المكون من العرب والبربر لهم دراية بأساليب الحرب والجهاد، ولكن ليست لهم دراية بمكر النصارى وأساليب خدعهم الحربية، والتي خبرها الأندلسيون على طول المدى، ولهذا تجنبت الكتيبة النصرانية مهاجمة الجناح الأيمن المكون من حشود الأندلس بقيادة بن صناديد؛ المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي (مج191/1).

(3) تؤكد الدكتوره ليلى النجار أن تواجد المنصور بين صفوف جنده في تلك اللحظات الحاسمة، أثر بقوة في رفع الروح المعنوية للجيش، وهو ما لم يتوفر لجيش الموحدين في عهد أبيه، حيث كان المنصور يتدخل في كل صغيرة وكبيرة، ويلقي بها كل ثقله، فلم يدع مجال للنصارى للاستفادة من أي ثغرة؛ المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي (مج200/1).

عن مراكزهم[1]، فتقهقرت الحملة العسكرية الثانية قليلاً[2]، ولكن استُنْفِذَت كل قوى العرب والبربر في الهجومين العنيفين الأول والثاني[3]، حيث كان الهدف من الحملة عملية تطويق القلب من الجهة اليسرى[4]، لكن الدكتوره ليلى النجار أخطأت إذ اعتبرت أن الهجوم الأول كان على شمال الجيش الموحدي بهدف إبعادها عن القلب إذ أن الصحيح أن الهجوم الأول كان كما ذكره المكناسي صاحب الأنيس المطرب بروض القرطاس على المقدمة واصطدامه بالرماح، وتعرضه لرشق السهام، ثم تقهقره كما أسلفنا ووضحنا ذلك عند ذكر الحملة العسكرية الأولى أعلاه، أما الهجوم الثاني فما ذكرته الدكتوره ليلى.

ونخلص بأن الهجوم الثاني القشتالي حقق بعض الإنجازات الواضحة إذ تمكن من اختراق مقدمة الجيش الموحدي المكونة من المتطوعة الإسلامية والأغزاز أصحاب الرماح الطويلة والرماة، وبالتالي إضعافها، حتى وصل إلى قلب الجيش حيث الأعلام السلطانية، بقيادة أبي يحيى بن أبي حفص، مع قبيلته هنتاتة، والذين ثبتوا أمام هذا الهجوم، عندها علموا أنه لا بد من تطويق القلب من جهة الشمال، فانحرفت الحملة، وقامت بضرب الجناح الأيسر للجيش المكون من العرب وسائر قبائل المغرب، عندها قامت بعض صفوف المتطوعة وأخلاط السوقة بإزاحة أنفسهم نحو الجناح الأيسر لصد هذا الهجوم العنيف مع إخوانهم، مما أصاب المقدمة بالضعف نتيجة اختراقها أولاً، ونقصان عدد جنودها الذين تزحزحوا نحو الجناح الأيسر ثانياً، وقد تدخل المنصور في هذه التطورات الخطيرة فحرض القبائل بالهجوم على الأعداء، فتحمس العرب والبربر لذلك، وتمكنوا من صد الحملة العسكرية الثانية وردوها على أدبارها، ولكنهم استنفذت قواهم من أجل ردع الأعداء وإزالتهم عن مراكزهم.

وبناءاً على ما سبق يظهر لنا شكلاً جديداً طرأ على تركيبة الجيش الموحدي ومواقعها، ولكنه ليس تغييراً جذرياً، وهو على النحو التالي[5]:-

القلب: بقي كما هو قبيلة هنتاتة والقائد العام أبو يحيى بن أبي حفص.

الجناح الأيمن: بقي كما هو عساكر الأندلس بقيادة ابن صناديد.

---

(1) انظر: ابن عذارى، البيان المغرب "قسم الموحدين" (ص219-220).

(2) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس (ص226).

(3) أشباخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين (ج336/3).

(4) النجار، المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي (مج191/1).

(5) انظر: الملحق التاسع من الدراسة، ص234.

الجناح الأيسر: وقد حدث تغيير طفيف إذ انضم إلى العرب وقبائل المغرب والبربر طائفة من المتطوعة وأخلاط السوقة، وقد استنفذت قوى العرب والبربر في صد هذا الهجوم.

المقدمة: حيث تزحزح بعض المتطوعة وأخلاط السوقة نحو الجناح الأيسر، لكن بقي جزء كبير منها في موضعه، كما أنه أصابها الاضطراب والضعف نتيجة اختراق صفوفها، والنقص بسبب انضمام بعض عناصرها للجناح الأيسر، إضافة إلى جرح واستشهاد بعضهم.

الجيش الرئيسي الثاني: وقد بقي على حاله، بقيادة المنصور الموحدي، مع الجيش الموحدي النظامي (صفوة الجند)، وفرقه الاحتياطية، والحرس الملكي السوداني، والحشم.

أما تركيبة الجيش القشتالي:

القلب: وهو محلة الأذفونش، مكون من عامة الجيش، إضافة لفرسان قلعة رباح، وفرسان الداوية، بقي كما هو لم يعتريه هجوم أو اضطراب بعد.

المقدمة: كتيبة النخبة القشتالية–زهرة الفروسية الإسبانية–قامت بحملة عسكرية ثانية، ثم تراجعت.

ج– الحملة الثالثة /

تمكنت الحملة الثانية من اختراق صفوف المقدمة وإضعافها، والقيام بعملية تطويق الجيش الموحدي من جهة الشمال، بعد توجيه ضربات عنيفة نحو الجناح الأيسر، مما أدى إلى استنزاف قوى العرب والبربر في الهجوم القشتالي، وأصبح الطريق مفتوحاً إلى القلب، لكنه احتاج إلى تعزيز الكتيبة القشتالية بقوى جديدة.

وقد كان الهدف من الحملة الثالثة هو اختراق قلب الجيش الموحدي، وقتل السلطان المنصور، وبالتالي هزيمة المسلمين وسحقهم بدون قائدهم[1]، حيث لم يعلم النصارى بالخدعة العسكرية التي وضعها الموحدون بشأن قسم الجيش لقسمين[2]، خصوصاً وأن مقدمة الجيش وجناحه الأيسر تعرضا لضربات عنيفة وأصابهما الخلل.

تهيأت الكتيبة النصرانية للدفعة الثالثة من الهجوم، والقائد ابن صناديد والزعيم العربي يحرضان المسلمين على العزم والصدق والثبات[3]، فعززت الكتيبة الصليبية صفوفها بقوى جديدة،

---

(1) تؤكد الدكتوره ليلى النجار أن البرتغاليون تمكنوا من إنزال الهزيمة بالمسلمين في شنترين، خاصة بعد قتل أبو يعقوب والد المنصور؛ المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي (مج1/190).

(2) النجار، المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي (مج1/191–192).

(3) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس (ص226).

وضاعفوا جهودهم[1]، فغدت 10 آلَاف فَارس مقاتل[2]، ثم اندفعت كتيبة النصارى في حملتها العسكرية الثالثة على القلب بعنف ظناً منهم بأن المنصور فيه[3]، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا[4]، فأبلى الشيخ أبو يحيى بن أبي حفص بلاءً حسناً واستشهد هو وجموع من المسلمين من المتطوعة وهنتاتة، وبقي المسلمون صابرين[5]، فَكَانَتِ الدَّائِرَةُ أَوَّلًا عَلَى الْمُسْلِمِينَ[6]، إذ تمكن النصارى من اكتساح مقدمة المسلمين المكونة من المتطوعة، ووصلوا إلى قلب الجيش الرئيسي الأول، وتمكنوا من اختراقه، والقضاء على كثير من قبيلة هنتاتة.

رَدَّة فعل الجيش الموحدي في ظل استشهاد القائد العام:

تمكن الموحدون الجيش الرئيسي الأول من احتواء الهجوم القشتالي العنيف، والذي أسفر عن استشهاد الكثير من المسلمين، وذلك عبر تكتيكين متوازيين، على النحو التالي:-

التكتيك الأول: لما تمكنت الكتيبة القشتالية من اكتساح المقدمة واختراق قلب الجيش الموحدي، وقتل الكثير من المتطوعة وقبيلة هنتاتة، تمكن المتطوعة والأغزاز والرماة الذين في مقدمة الجيش الإسلامي من الإحاطة بالكتيبة القشتالية التي اخترقتهم من الخلف، وتدخل العرب وهم أحد مكونات الجناح الأيسر فأحاطوا بالكتيبة القشتالية من الشمال، وقبيلة هنتاتة ما تزال مصطدمة بالكتيبة القشتالية من الأمام، فوقعت الكتيبة القشتالية التي تمثل مقدمة الجيش النصراني وشوكته في حصار شديد، واشتد فيها القتل[7].

---

(1) أشباخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين (ج336/3).

(2) السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج190/2).

(3) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس (ص227-228)؛ السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج190/2).

(4) ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج134/10)؛ السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج191/2).

(5) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس (ص227-228)؛ السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج190/2).

(6) ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج134/10)؛ السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج191/2).

(7) انظر: ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس (ص227-228)؛ السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج190/2).

التكتيك الثاني: في أثناء الحصار الذي وقعت فيه كتيبة النخبة القشتالية قام الجناح الأيمن بقيادة ابن صناديد[1]، والمكون من عساكر الأندلس، والجناح الأيسر والمكون من قبائل المغرب البربرية عدا العرب، بالزحف نحو الربوة التي فيها الأذفونش الثامن، حيث قلب الجيش النصراني، وَكَانَت على مَا قيل تنيف على 300 ألف بَين فَارس وراجل فتوغل الْمُسلمُونَ فِي تِلْكَ الأوعار إِلَيْهِم وخالطوهم بهَا، وأخذوا بقتال من فيها بشدة[2]، ولقد كانت محلة قلب الجيش النصراني ضعيفة[3] بسبب تقدم كتيبة الفرسان الصليبيين القشتاليين النخبة[4].

ويعد السببين الرئيسين الذي دفعا قبائل البربر المغربية تزحف نحو الأعداء، التالي:-

1- تحريض المنصور: حيث مر على صفوف القبائل عند اصطدام الحملة الثانية، وأمرهم بالهجوم على عدوهم والنفوذ إليه، فألهبت كلمات المنصور الموحدين، وأشعلت حماسهم، فهجم المسلمون بقبائلهم على الأعداء، والتحموا بهم، وأزالوهم عن مراكزهم، بالقتل والفناء[5].

2- أَمرٌ اتفاقي: وهو أن الروم قاموا بإحراز بعض رايات المسلمين وذهبوا بها قائمة منتصبة، فانبعثت حفيظة بعض القبائل لما عاينوا راية إخوانهم مقدمة على العدو، إذ ظنوا أن أصحابهم حملوا على العدو فأوغلوا وهم لا يعلمون الحال[6]، ويرجح الباحث أن الراية التي من الممكن أن يكون الروم قد أحرزوها راية قبيلة هنتاتة، حيث أسلفنا بأن الكتيبة القشتالية

---

(1) تؤكد الدكتوره ليلى النجار أن تواجد القادة، وقيام كل قائد بتنظيم حركة فرقته وسرعتها دون أي خلل أو ارتباك في أثناء المعركة كان له أثر كبير في تحقيق النصر؛ المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي (مج1/200).

(2) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس (ص227-228)؛ أشباخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين (ج3/336)؛ السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج2/190).

(3) يؤكد الباحث على أمر مهم بأن الاشتباك الذي قام به الجناح الأيمن البربري والأيسر الأندلسي كان على نطاق ضيق، بمعنى أنه كان على أوعار ضيقة قرب محلة النصارى في الربوة العالية، وهذا كان لصالح الموحدين، حيث أنه لم يكن بالإمكان الزج بالأعداد الهائلة للجيوش الصليبية في آن واحد بشكل أفقي، لاحتواء الهجوم الموحدي والإحاطة بعناصره ومكوناته القتالية، فقد كان الهجوم الصليبي يأخذ على نحو ما الشكل العمودي، حيث الأعداد الضخمة للجيوش الصليبية والتي يقدرها المؤرخين بما يصل لـ 300 ألف مقاتل، وبهذا يتجلى لنا كيف ازدحمت تلك القوى الصليبية المكدسة في عنق الزجاجة، فتتضح بذلك صورة الحال القاتم والموقف الحرج الذي عانت مكونات الصليبيين منه.

(4) أشباخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين (ج3/336).

(5) ابن عذارى، البيان المغرب "قسم الموحدين" (ص219-220).

(6) الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص514).

تمكنت من اختراق قلب الجيش الموحدي برئاسة أبي يحيى بن أبي حفص الذي استشهد هناك، وجمع كبير من قبيلة هنتاتة، كذلك فإن الحمية أخذتهم إذ ظنوا أن قلب الجيش بقيادة أبي يحيى بن أبي حفص قد اقتحم، وهم لا يعلمون أحوال المعركة الخطيرة.

ويعتقد الباحث أن قبيلة بني مرين من القبائل التي من الممكن أن تكون قد توغلت عندما عاينت الراية، فقد ذكر الدكتور محمد عيسى الحريري أن محيو بن أبي بكر المريني الذي أسند له المنصور قيادة قبيلة بني مرين في المعركة، أبلى هو ورجال قبيلته بلاءً حسناً في المعركة، حتى أثخنته الجراح ومات شهيداً بعد أن عاد إلى بلاده، في صحراء الزاب عام 591هـ[1]، ولربما كان التقدم السريع من دون الوقوف على الأحوال هو السبب في استشهاده، وبلاء قبيلته الحسن.

موقف الصليبيين من الهجوم، وقد تباين موقف الصليبيين في تلك الجبهتين، على النحو التالي:- المقدمة: المكونة من نخبة الجيش النصراني الكتيبة القشتالية، وقد تعرضت لحصار عنيف واشتد فيها القتل، فأخذ أفرادها يولون الأدبار ويفرون إلى الربوة[2]، لكن العساكر الإسلامية المكونة من الجناح الأيمن الأندلسيين، والجناح الأيسر المغاربة البربر، قد حالوا بينهم وبين الربوة، بعد أن سيطروا على الطرق الوعرة المؤدية إليها[3]، فرجع العرب والأغزاز والرماة والمتطوعة وهنتاتة فأوقعوهم في الحصار، ومنعوهم من الفرار، وطحنوهم طحناً، واشتد فيهم القتل والفناء[4].

---

(1) الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلسي في العصر المريني (ص7).

(2) ويرى الباحث أن نجاح الصليبيين بادئ الأمر في الفرار من المؤخرة حيث حصار الرماة والأغزاز والمتطوعة لهم يعود لسببين:

الأول: أنه في الموجة العسكرية الثانية تمكنت الكتيبة القشتالية من اختراق صفوف المقدمة حتى وصلت للقلب، ثم مالت نحو الجناح الأيسر، فتزحزح بعض المتطوعة وأخلاط السوقة من مقدمة الجيش نحو الجناح الأيسر لتعزيز صموده، وهذا بطبيعة الحال أحدث اضطراباً في صفوف المقدمة بسبب تعرضها للاختراق، وانقسام صفوفها، وتوجه قسم آخر نحو الجناح الأيسر للحفاظ على البنية الدفاعية له.

الثاني: أنه في الموجة العسكرية الثالثة تمكنت القوات الصليبية عند اختراقها للمقدمة والقلب من قتل جموع كبيرة من المتطوعة، فهذا أضعف محلتهم.

وبناءاً على ذلك يمكن القول أن الصليبيين استغلوا تلك الفجوة، وتمكنوا من الفرار، لكن عدم استطاعتهم الوصول إل الربوة عبر طرقها بسبب سيطرة الأندلسيون الجناح الأيمن، والمغاربة البربر الجناح الأيسر عليها، عادوا خائبين، عندها قام الأغزاز والعرب والرماة والمتطوعة وقبيلة هنتاتة بتطويقهم وحصارهم بشكل كامل، ومنعهم من الفرار، وإكثار القتل والفناء فيهم.

(3) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس (ص227-228).

(4) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس (ص227-228)؛ السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج190/2).

القلب، محلة الجيش النصراني: حيث كان يحيط بالأذفونش في قلب جيشه 10 آلاف من فرسان قلعة رباح والداوية[1]، ولما رأى الأذفونش كتيبة جيشه سقط فيها عدة من أكابر النصارى تقدم بنفسه إلى الأمام، وألقى بكل ثقله في المعركة، وأخذ يثخن مع طائفة من رجاله في المسلمين يميناً وشمالاً[2]، حيث كان في اليمين الجناح الأيمن الأندلسي، وكان في الشمال الجناح الأيسر قبائل المغرب البربرية، وقد كانت تقدمت نحو الربوة، فتمكنت خطة الموحدين من تحقيق نجاح باهر إذ منعت أي طريق للإمدادات، وقطعت كافة أشكال التواصل بين قلب الجيش النصراني، والكتيبة القشتالية، وهذا بدوره أضعف الروح المعنوية لجند النخبة القشتالية، واضطرهم للفرار، لكن دون جدوى، كما أنه جعل قلب الجيش النصراني، يتخبط في المواجهة العسكرية، حيث انتشرت البلبلة في صفوف الجند والقادة على السواء.

ونتيجة لهذه الخطط الموحدية فإن شوكة الأذفونش كانت قد انكسرت بدمار كتيبة النخبة القشتالية، إذ كان اعتماده ومعوله عليهم[3].

ونرى أنه في نهاية الحملة العسكرية الثالثة، قد تغيرت تركيبة المعركة بشكل جذري، على النحو التالي[4]:

الجيش الرئيسي الأول:

القلب: حيث استشهد القائد العام أبو يحيى بن أبي حفص، وجماعات من قبيلة هنتاتة، بعد اصطدام الحملة العسكرية الثالثة بها، لكن أحاطت جموع هنتاتة بالكتيبة مع إخوانهم وأخذوا يقاتلوهم.

المقدمة: حيث تم اختراقها من قبل كتيبة الجيش القشتالي، لكن بقايا مكوناتها من الأغزاز والرماة والمتطوعة قاموا بالانضمام مع قبيلة هنتاتة والعرب في حصار تلك الكتيبة.

الجناح الأيمن: المكون من جنود الأندلس، وقد اتجه بقيادة ابن صناديد نحو الربوة، وقام باقتحام الطرق المؤدية لمحلة الفرنج والاشتباك معهم.

---

(1) أشباخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين (ج3/336).

(2) عنان، دولة الإسلام في الأندلس (ج4/208) = نقلاً عن: Miranda، Las grandes batallas de la Reconquista durante las invasions africanas [p. 152].

(3) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس (ص227-228)؛ السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج2/190).

(4) انظر: الملحق العاشر من الدراسة، ص235.

الجناح الأيسر: المكون من قبائل المغرب البربر، والعرب، فقد انقسم لقسمين، أما قبائل المغرب البربرية فقد اتجهت نحو الربوة، واقتحمت طرقها مع جيوش الأندلس، وقسم العرب اتجه لحصار الكتيبة القشتالية، مع إخوانهم من قبيلة هنتاتة والمتطوعة والأغزاز والرماة.

أما بالنسبة للروم الصليبيين، فقد كانت تشكيلتهم على جبهتين:

المقدمة: وهي كتيبة النخبة القشتالية، وكانت محاصرة من العرب والأغزاز وهنتاتة والمتطوعة والرماة، وتتعرض للفناء.

القلب، محلة الجيش النصراني: وقد تعرضت لهجوم قوي اقتحم من خلاله الجناح الأيمن قوات الأندلس، والجناح الأيسر قوات قبائل المغرب البربرية، للطرق المؤدية للربوة، وأخذوا بالاشتباك مع النصارى في محلتهم، ومنعوهم من إنجاد كتيبة النخبة القشتالية.

4- النهاية والانتصار في المعركة:-

تمكنت الحملة العسكرية الصليبية الثالثة من تحقيق هدفها الاستراتيجي الكبير المنشود فقتلوا القائد العام أبا يحيى بن أبي حفص، ظناً منهم أنه السلطان المنصور، لكن حدث ما لم يكن بالحسبان، حيث لم يدب الخلل في صفوف الجيش الموحدي ولم ينهار، بل على العكس تماماً تم حصار الكتيبة القشتالية، وتوجهت قوات الجناح الأيمن والأيسر الموحدية نحو قلب الجيش القشتالي على الربوة، واصطدمت به.

ولَما دارت الدَّائِرَةُ عَلَى الْفِرِنْجِ[1]، دخلت المعركة إلى نهايتها، وبدأت بوادر الهزيمة تطل على النصارى والأذفونش.

عندها اتخذ كل من الفريقين موقفين متباينين، على النحو التالي:

القشتاليون: أصدر الأذفونش قراراً بأن يحمل بكل قوات جيشه على المسلمين.

الموحدون: أسرعت خيل تبشر المنصور بالنصر[2]، ليستعد الجيش الرئيسي الثاني لدخول المعركة الحاسمة.

---

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج134/10)؛ السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج191/2).

(2) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس (ص227-228)؛ السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج190/2).

تنفيذ الاستراتيجية الكبرى التي وضع قواعدها ابن صناديد الأندلسي بالاتفاق مع المنصور:

دخلت الجيوش الموحدية للجيش الرئيس الثاني بقيادة المنصور ساحة المعركة، في الوقت الذي كان الأذفونش يحاول أن يحمل بكل كتائبه وثقله على جنود المسلمين، فلما رأى الجيوش الموحدية وسمع أصوات الأبواق، وقرع الطبول، وتكبير المجاهدين، ورأى رايات الموحدين، وبنودهم تخفق، ورأى اللواء الأبيض المنصور في أولها، عليه: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، لا غالب إلا الله، وأبطال المسلمين وجيوشهم في نظام وسباق للجهاد، فسأل عن ذلك، فأخبروه أن هذا أمير المؤمنين المنصور، وما كان يقاتلك سوى طلائع جيش المنصور ومقدمته، فدب الرعب في جيشه[1]، حيث يلاحظ أن الجيش الموحدي القادم في أوج نشاطه وذروة معنوياته وحماسه، في الوقت الذي كان فيه قلب الجيش النصراني وكتائبه تعاني التعب الشديد والإرهاق، وهذه المفاجئة الصادمة ثبطت عزم النصارى، وقضت على روحهم المعنوية حتى وصلت لدرجة الحفاظ على الحياة والفرار[2]، وقد دخل المنصور الحرب على **ثلاث مراحل:-**

الأولى: لما تقدم القسم الرئيسي الثاني من الجيش الموحدي بقيادة المنصور مع حرسه الملكي السوداني، وقواته النظامية والاحتياطية، زحفوا على النصارى، وردوا تقدم الفرسان القشتاليين[3]، وهم كتيبة النخبة التي تم حصارها من قبل قبيلة هنتاتة والمتطوعة والأغزاز والرماة والعرب[4]، ودفعوهم إلى الفرار[5] بغير انتظام[6].

الثانية: في الوقت الذي كانت فيه محلة القلب للجيش النصراني ما زالت تستبسل في القتال[7]، حيث تم ضربها عسكرياً بشدة من قبل الجناح الأيمن الأندلسي، والجناح الأيسر المغربي البربري، واشتد فيها القتل[8]، تقدمت جيوش المنصور زاحفة نحو قلب الجيش النصراني حيث تجمعت فيه فلول فرسان النصارى القشتاليين مع فرسان الداوية وقلعة رباح، فكان المنصور يمر زاحفاً على

---

(1) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس (ص227-228)؛ السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج191/2).

(2) النجار، المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي (مج192/1-193).

(3) أشباخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين (ج336/3-337).

(4) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس (ص227-228)؛ السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج190/2).

(5) انظر: الملحق الحادي عشر من الدراسة، ص236.

(6) أشباخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين (ج336/3-337).

(7) أشباخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين (ج336/3-337).

(8) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس (ص227-228)؛ السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج190/2).

مئات الشهداء المسلمين[1]، فوصل بجيشه واخترق قلب الجيش النصراني، وعلمه الأبيض المقدس المنقوش بشهادة التوحيد يخفق، وازداد ضغطه على قلب الجيش النصراني، وفرسان النصارى يتساقطون بالآلاف[2]، وقد رأى رجال الأذفونش استحالة مقاومة ضغط الحشود الموحدية، خاصة بعد سقوط كثير من النصارى، وقد استطالت المعركة إلى منتصف النهار[3]، فدب الرعب في صفوف الجيش الرومي، وتزلزلت الأرض بهم، وولوا بالفرار وملكهم معهم، حيث فر من الباب الخلفي لحصن الأرك[4]، مع مجموعة من فرسانه بعيداً عن ميدان المعركة[5]، ودخل الأذفونش طليطلة في سبعة نفر[6].

الثالثة: حيث أمر الأمير يعقوب فرسان الموحدين وأمراء العرب[7] أن يحملوا ففعلوا، وانهزم الفرنج هزيمة شديدة[8]، فقد أخذ المجاهدون بعد فرار الأعداء يلحقون بهم يقتلون ويأسرون[9]، حتى

---

(1) يرجح الباحث أن أكثر هؤلاء الشهداء من صفوف المقدمة – الأغزاز والرماة والمتطوعة – التي تعرضت للإختراق والضرب أكثر من مرة، إضافة إلى القلب – قبيلة هنتاتة – الذي تعرض لضربة حاسمة إثر استشهاد القائد العام أبي يحيى بن أبي حفص، فهؤلاء هم أكثر من تلقى الصدمات العنيفة لنخبة فرسان الكتيبة القشتالية المدججة بالحديد والسلاح.

(2) أشباخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين (ج3/336-337).

(3) عنان، دولة الإسلام في الأندلس (ج4/209) = نقلاً عن:Miranda، Las grandes batallas de la Reconquista durante las invasions africanas [p. 152].

(4) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس (ص227-228)؛ السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج2/191).

(5) أشباخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين (ج3/336-337).

(6) الدواداري: كنز الدرر وجامع الغرر (ج7/127).

(7) يرى الباحث أن هذه الأوامر كانت لأمراء العرب والموحدين، لأن قبائل المغرب البربرية، ومقاتلي الأندلس، كانوا قد حملوا على قلب الجيش النصراني، قبل دخول المنصور المعركة، في الوقت الذي انشغل فيه العرب بحصار الكتيبة القشتالية وقتالها، أما فرسان الموحدين فهم يمثلون القوات النظامية، وقد كانوا مع المنصور في الجيش الرئيسي الثاني، ولذلك حث المنصور الأمراء العرب بالهجوم خاصة بعد فرار فلول الكتيبة القشتالية، كما أمر فرسان الموحدين بذلك لدخولهم المعركة لتوهم، أما بالنسبة للحرس الملكي السوداني، فقد كان تحت إمرة المنصور مباشرة وهو يسير حيث اتجه معه، وقد هدف المنصور من هذا الأمر الاستراتيجي أن تحمل كافة مكونات الجيوش الموحدية وعناصرها في ضرب قلب الجيش القشتالي، ليتم سحقه بشكل كامل، وتتسارع عملية ملاحقة فلوله الهاربة.

(8) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (ج7/8)؛ مقديش، نزهة الأنظار (ج1/470).

(9) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس (ص227-228)؛ ابن عذارى، البيان المغرب "قسم الموحدين" (ص219-220)؛ السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج2/191).

أحاطوا بحصن الارك وحاصروه، ثم دخلوه بالسيوف عنوة، وأشعلوا النيران فيه، وغنموا جميع ما فيه[1]، وأسر 30 ألف صليبي رومي[2]، منهم 24 ألف فارس أسروا في الحرب امتن المنصور بإطلاق سراحهم[3] فكانت من سقطات[4] الملوك[5]، وخمسة آلاف أسير من زعماء النصارى كانوا معتصمين بحصن الأرك، فاستنزل الموحدون هؤلاء المحاصرين على حكمهم، وافتدوا بهم أسرى المسلمين[6]، حيث أن الرواية النصرانية تقول أن قائد قلعة الأرك لقوات الأذفونش، وهو الدون ديجولوبث دي بثكايا استطاع بما معه من فلول القشتاليين، وأسرى الموحدين، أن يتحصن في قلعة الأرك، فحاصره الموحدون، ثم أخلوا سبيله ومن معه، وقد فدوا أنفسهم بأسرى الموحدين الذين كانوا في قبضتهم[7].

وهكذا انْهَزَم الْفِرِنْجِ أَقْبَحَ هَزِيمَةٍ[8]، وَانْتَصَرَ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِمْ[9]، وكتب المنصور بالفتح إلى جميع بلدان الإسلام، وأخرج الفيء وقسم الباقي على المجاهدين، ثم استمر في الفتوحات في مدن وحصون الأندلس[10].

---

(1) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس (ص227–228)؛ السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج191/2).

(2) المقري، نفح الطيب (ج443/1).

(3) لم يكن إطلاق سراحهم بلا مقابل على الإطلاق، بل لكثرتهم وصل الأمر في إذلالهم أنه بِيع الأسير القشتالي بدِرهم، والسّيف بنصف، والحصان بخمسة دراهم، والحمار بدرهم؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (ج9/42)؛ المقري، نفح الطيب (ج443/1)؛ السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج191/2)؛ قطب، مذابح وجرائم محاكم التفتيش (ص24–25).

(4) ربما كان السبب في إطلاق سراحهم كما يرى الباحث خوف المنصور من أن يشكلوا عصبة في البلاد فيما لو أحضروا إليها وبيعوا في أسواقها، نظراً لتعصبهم الديني، فكان الأسلم قتلهم، خصوصاً وأن الموحدين كانوا لا يبقون على الأسرى في شريعتهم، بل يجهزون عليهم، أما إطلاق سراحهم فهو مما ندم المنصور عليه قبل وفاته.

(5) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس (ص227–228).

(6) ابن عذارى، البيان المغرب "قسم الموحدين" (ص219–220)؛ ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر (مج330/6).

(7) النجار، المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي (مج190/1) = نقلاً عن:Miranda، Las grandes batallas de la Reconquista durante las invasions africanas [p. 207–209].

(8) انظر: الملحق الثاني عشر من الدراسة، ص237.

(9) ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج134/10).

(10) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس (ص227–228).

ويقول الدكتور الحافظ المؤرخ والنسابة أحمد بن يوسف الدعيج في سلسلته التاريخ السياسي للمغرب والأندلس: أن انتصار الأرك كان رائعاً وحاسماً بكل أنواع المقاييس[1]، حيث كان له دوي هائل، فأحيت هذه الانتصارات زمن بني أمية السعيد[2]، لا كما يصور يوسف أشباخ في خيالاته بأن الأذفونش رفض الاستسلام وقاتل بشجاعة باسلة وبقي في المعركة لكن جنوده وحرسه هم من حملوه على الانسحاب عندما اشتد خطر الموحدين عليه شخصياً[3] ومما يدحض هذه الرواية أن المنصور عندما حاصر طليطلة بعد وقعة الأرك، خرجت إليه والدة الأذفونش وبناته ونساؤه وبكين بين يديه، وسألنه إبقاء البلد عليهن، ففعل المنصور ذلك ولم يتمكن الأذفونش من مواجهته كالرجال فيبدو أنه قد أرسل حريمه ليتوددن لقائد الموحدين[4]، فلم يتجرأ أشباخ على ذكر هذه الحادثة بل زعم عدم استطاعة المنصور اقتحام قلعة طليطلة مما اضطره للانسحاب[5].

كذلك فإن يوسف أشباخ ينسب انتصار الموحدين في معركة الأرك إلى تعاون النصارى معهم ويقصد ملكي نبرة وليون النصرانيين[6]، مع أني لم أقف على رواية من مصادرنا الإسلامية تؤكد وجود حلف، ولو صدقنا ذلك فأين هو التعاون الحقيقي الذي ساهم فيه نصارى نبرة وليون على جنود قشتالة.

بل على العكس تماماً، فقد نقل الدكتور هشام أبو رميله عن مصدر أجنبي أن هناك قائداً من مملكة البرتغال يسمى جيرالدو سيمبافور، أدخله الموحدون مع رجاله النصارى ليخدمهم، لكنه لم يخلص العمل، حيث اتصل سراً بملك البرتغال للغدر بالموحدين، لكن وقعت بعض رسائله السرية بأيدي الموحدين، فأمر المنصور الموحدي بقتله مع جميع رجاله، فتم ذلك فوراً[7].

ومن الموضوعية بمكان أن نذكر أن الكونت دون بيدرو فرناندیث دي كاسترو المبعد من قشتالة[8] كان واقفاً في صف المنصور ومعاوناً له، والرواية النصرانية تشير إلى أن معسكره

---

(1) الشريط 8/رقم الشريط 12408، الحلقة 13 (برنامج مسجل).

(2) النجار، المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي (مج1/199).

(3) تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين (ج3/ص337).

(4) المقري، نفح الطيب (ج1/444).

(5) تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين (ج3/ص339).

(6) تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين (ج3/ص339).

(7) علاقات الموحدين بالممالك النصرانية (ص369) = نقلاً عن: Barbour، AL-Andalus en las cronicas inglesas [p. 80].

(8) أي أنه لا ينتمي إلى مملكة نبرة أو ليون.

تعرض للاعتداء، من قبل صهري قائد قلعة الأرك والمسئول عن حصانتها في قوات الأذفونش، وهو دون ديجو دي لوبث، فأصر دون بيدرو على الانتقام من المعتدين، لكنه لم يكن له أي دور واضح في معركة الأرك، اللهم إلا عندما حاصر المنصور قلعة الأرك، وقد رأى دون ديجو يلتجئ إلى القلعة براية الملك القشتالي، فطلب المنصور من دون بيدرو التحقق عن مكان الملك القشتالي ومصيره، فأخبرهم دون ديجو بفرار الأذفونش مع أتباعه إلى طليطلة، ومع ذلك أصر المنصور بعدم رفع الحصار عن القلعة وباستسلام من فيها أو الموت، فقام دون بيدرو بتفتيش القلعة للتأكد من صدق ما قيل له، وعلى الرغم من ذلك طالب دون بيدرو باستسلام القشتاليين، وبتسليم صهري دون ديجو الذين اعتديا على معسكره لعقابهما، فوافق دون ديجو على الاستسلام لنفاذ المئونة في القلعة، لكنه غادر القلعة بصحبة صهريه بعد إخفاء شخصيتيهما حتى لا يقعا في الأسر، واستسلم النصارى للموحدين، حيث أطلق سراحهم فيما بعد[1]، ويلاحظ من الرواية النصرانية أن الكونت دون بيدرو لم يكن له أي دور مهم في المعركة منذ بدايتها، ويفسر الباحث ذلك أن الموحدين ليسوا من السذاجة بمكان ليسلموا خططهم الحربية، وترتيباتهم العسكرية لنصراني مشكوك في ولائه، حتى لا تتكرر مأساة العميل المزدوج القائد البرتغالي جيرالدو سيمبافور الذي خان الموحدين، واتفق مع بلاده، إلا أن الموحدين استفادوا من دون بيدرو في العمليات اللوجستية بعد هزيمة قشتالة وملكها، وأرسلوه ليعاين قلعة الأرك ويفتشها كونه الأخبر برجالات النصارى القشتاليين وكبرائهم وقادتهم، فانتهت مهمته إلى ذلك.

وبهذا اتهم أشباخ دون بيدرو القشتالي[2] بنشاطه الخاص في التعاون مع الموحدين، حيث ساهم في سحق .....

---

(1) النجار، المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي (مج1/194-195) = نقلاً عن:Miranda، Las grandes batallas de la Reconquista durante las invasions africanas [p. 212-216].

(2) لكن من الأمر الغريب أن هناك رواية نصرانية تذكر أن البابا سلستين الثالث عندما أصدر عقوبة النفي الكنسي بحق مملكة ليون التي طلبت المساعدات من الموحدين في حرب قشتالة، ودعا البابا الممالك النصرانية لحربها، وطالب رعايا مملكة ليون بخلع طاعة ملكها الفونسو التاسع، وإقامة بدلاً منه فرناندیث دي كاسترو؛ النجار، المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي (مج1/230).

إلَّا أن الباحث يؤكد على أنه غير متأكد بعد عملية بحثه فيما إن كان هذا الشخص المذكور في الرواية، هو بعينه الكونت دون بيدرو فرناندیث دي كاسترو حليف الموحدين، والمبعد من قشتالة، وفيما لو كان الأمر كذلك، فإن هذا يعني أن النصارى كان ولائهم الأول لبلادهم، وما تحالفهم مع الموحدين إلا ضمن قاعدة اللجوء السياسي، أي عندما يكونون مطرودين من بلدانهم، أو مستضعفين فيها، وإلا فإنهم ينحازون =

وطنه[1]، ولم يذكر حتى وجود تعاون حقيقي واضح لدون بيدرو في مجريات الأحداث في وقعة الأرك من حيث وضع الخطط، وترتيب الأجناد، وضبط المواقع، بل كان في معسكره الخاص الذي تعرض للاعتداء قرب انتهاء المعركة كما أسلفنا.

لكن لماذا لم يذكر أشباخ في بحثه عند ذكره الاستنفار الأول للموحدين، والذي أعلنه المنصور، ثم صاحبه المرض أثناء ذلك، حيث استغله الأذفونش في توجيه ضربات للقواعد الإسلامية في الأندلس[2]، حيث لم يذكر أشباخ استغلال العرب والثوار لهذه الظروف، بتعزيز أطماعهم، حيث عاثوا خراباً وفساداً في بلاد المغرب، وتفرقت الجيوش الموحدية بالمدافعة لحماية الدولة داخلياً وخارجياً، حتى النفير الثاني[3]، فإن مثل هذه الروايات لتؤكد لنا أن الموحدين كانوا يعانون في بلادهم من أعداء داخليين مثلما تعاني قشتالة، إن لم تكن أشد بكثير، إذ أن مثل هذه الثورات كما أسلفنا هي التي كانت سبباً في سقوط الدولة الموحدية في نهاية المطاف، بل إنها كانت سبباً هاماً منع الموحدين من استثمار انتصار معركة الأرك الكبير بفتح طليطلة، والقضاء على مملكة قشتالة، وباقي ممالك النصرانية الأخرى، وتوحيد الأندلس كله تحت راية الإسلام، في ظل ظروف حاسمة حققها الموحدون بانتصارهم، كما سنوضح لاحقاً.

إنَّ الروايات لتؤكد لنا أن الموحدين بالتعاون مع إخوانهم المسلمين في الأندلس هم من ساهموا بتحقيق النصر، أم أن يوسف أشباخ يتناسى ما ذكره وأكده من خطط وإعداد وشورى وتدبير قام به الموحدون لتحقيق النصر، لكن الغيرة تدفع أمثاله لقول ذلك في محاولة يائسة منه لحرمان الموحدين الانتصار الخالص المدهش بمجهوداتهم الذاتية.

خصوصاً وأن الملاحظ من خلال الأحداث التي يراها الدكتور هشام أبو رميله، بين ممالك النصارى في الأندلس، أن ملك قشتالة الأذفونش الثامن، كان يضع مصلحة بلاده فوق كل اعتبار، فإن رأى المصلحة في عقد صلح مع الموحدين فعل ذلك، وإن رأى ان الفرصة مواتية لغزو الأندلس، والاستيلاء عليها، لم يتردد في نقض معاهدة الصلح[4]، وكان أحياناً تجده يبعث في عقد الصلح، في الوقت الذي يقوم به في غزو الأندلس، في سياسة ذات شقين[5].

=

إلى بلادهم عند أول وقت، وفرصة ذهبية تسمح لهم بذلك، وعليه فإن هذا يثبت أن الموحدين في حروبهم لم يكونوا يعولون عليهم بشيء كثير، فقد اتبعوا معهم سياسة تحييد الخصم.

(1) تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين (ج337/3).

(2) تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين (ج337/3)؛ السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج185/2).

(3) السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج185/2).

(4) علاقات الموحدين بالممالك النصرانية (ص257).

(5) علاقات الموحدين بالممالك النصرانية (ص258).

هذا وفي الوقت الذي يتناسى فيه أشباخ ذكر تعاون اليهود مع القشتاليين في الحرب إضافة إلى فرسان الصليبيين الداوية، بل إنه يتجاهل أن الجنود الألمان مع القشتاليين مع الإنجليز هزموا جميعاً في معركة شلب، وتمكن المنصور من فتح مدينة شلب حتى مع اجتماع قوى النصارى بأسبانيا، وقدوم دعم خارجي كعون لهم.

ويقول الدكتور شوقي أبو خليل بالرغم من أن الظروف الدولية كانت لصالح الموحدين، حيث أن ممالك النصارى الخمس ليون[1] ونبرة[2] وأراجون[3] وقشتالة[4] والبرتغال لا تنسيق بينها[5]، حيث ينقل لنا الدكتور هشام أبو رميله عن المصادر النصرانية الصراع الذي قام بين مملكة قشتالة مع مملكتي ليون والبرتغال بعد وفاة ملكيهما الأذفونش هنريكيز، وفرناندو الثاني، وولاية سانشو الأول خلفاً لأبيه هنريكيز على ليون، وولاية الأذفونش التاسع خلفاً لأبيه فرناندو على البرتغال[6]، ثم أخذ يستعرض الصراع الذي ساد بين مملكة قشتالة مع ملكي أرغونة ونبرة في سنة (585-586هـ)، والصراع الذي وحد مملكة البرتغال وليون وأرغونة ضد مملكة قشتالة في سنة 587هـ، في ظل عدم قدرة البابا على تسوية الخلافات السياسية بين ممالك النصارى وتوحيد

---

(1) ليون: مصر جليل من أعظم مدن الجلالقة النصرانية، تتصل ببلاد الأندلس من جهة الشمال، ومن ليون إلى ساحل بحر الظلمات –المحيط الأطلسي–، أربع مراحل غرباً، وقد كانت مملكة مستقلة عن الروم الفرنجة، وكانت قاعدة من قواعد قشتالة، وكانت عامرة بالسكان والمعاملات والتجارة؛ العزيزي، المسالك والممالك (ص57)؛ الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص514)؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس (ص174)؛ الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (ج731/2).

(2) نبرة: إقليم من أعمال ماردة بالأندلس؛ الحموي، معجم البلدان (ج258/5)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج1354/3).

(3) أراجون: بلد من ناحية جيّان بالأندلس، وقد كانت بلد غرسية بن شانجة، وكانت تشتمل على بلاد ومنازل وأعمال؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج52/1)؛ الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص27)؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس (ص12).

(4) قَشْتَالَة: إقليم عظيم من أعمال الأندلس، ويقع خلف جبل الشارات من جهة الشمال، وقاعدته قشتالة وبها سمي العمل، كانت قصبته طليطلة وخاضع بيد الأفرنج؛ الحموي، معجم البلدان (ج352/4)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج1094/3)؛ الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص483)؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس (ص161)؛ الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (ج536/2).

(5) الأرك بقيادة يعقوب المنصور الموحدي (ص64).

(6) علاقات الموحدين بالممالك النصرانية (ص256) = نقلاً عن: callaghan،O، A history of medieval spain [241-242].

جهودهم ضد المسلمين، وبقاء العلاقات سيئة بين ممالك النصارى[1]، إلا أن الدكتور شوقي أبو خليل يؤكد على حقيقة وهي أن قوات القشتاليين كانت متماسكة كبيرة مدربة لا تنقصها الروح المعنوية العالية، فنصر الموحدين نصر حقيقي، نصر كبير على قوة كبرى من القشتاليين، وفرسان قلعة رباح، وفرسان الداوية[2]، وخونة اليهود[3].

خصوصاً وأن الأذفونش ملك القشتاليين هو من اختار ميدان المعركة، فقد أشار يوسف أشباخ أن الصليبيين بقيادة الأذفونش حشدوا سلاحهم وقواتهم ودوابهم بتنظيم، وعسكروا عند الأرك، فكان ذلك لصالحهم، حيث المكان عالٍ مشرفٍ ممتنع، يحميه من جانب قلعة حصن الأرك، ومن الجانب الآخر بعض التلال، ولا يمكن الوصول إليه إلا بواسطة طرق ضيقة وعرة[4]، فكيف يكون النصر غير حقيقي، أو تشوبه معايير أخرى، تحرم الموحدين براعة التخطيط، ومكائد الحرب، وحسن التدبير؟؟!.

ويؤكد الدكتور محمد زكريا عناني على أن الموقف إبان هذه الفترة كان مدلهماً، ولا يقوى على التصدي له إلا رجل في مكانة المنصور صلابة وحسن إدارة وقدرة على اتخاذ القرارات المصيرية الكبرى، فالأوضاع الداخلية في المغرب مضطربة بثورات بني غانية، وأوضاع الأندلس متردية بغارات الفرنجة، وهذا ما دفع المنصور لإرسال النجدات لإفريقية، وتركيز القوة الكبرى في تحدي الروم للحرب في الأندلس[5]، وبذلك ينتهي الدكتور أحمد مختار العبادي إلى أن البطولة الفذة التي أبداها القائد الأعلى للجيش يعقوب المنصور الموحدي في المعركة من شجاعة وإقدام وصرامة ألهبت حماس جنده، وكانت المعول الكبير الذي ساهم في تحقيق النصر[6].

5- نتائج المعركة، وأحوالها على الجيشين الموحدي والنصراني:-

استشهد من المسلمين أقل من 500[7]، وبلغ عدد قتلى الروم عند ابن خلدون 30 ألفاً[8]، بينما يرى ابن الأثير والمقري أن العدد 146 ألفاً[9]، أما ابن كثير فيورد عدد القتلى 143

---

(1) علاقات الموحدين بالممالك النصرانية (ص256-257) = نقلاً عن: callaghan،O، A history of medieval spain [242-243].

(2) الأرك بقيادة يعقوب المنصور الموحدي (ص64).

(3) انظر: الضبي، بغية الملتمس (ص45)؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (ج6/7).

(4) تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين (ج336/3)؛ الأشتر، معركة الأرك 591هـ (ص50-51).

(5) شعر ابن مجبر الأندلسي (ص21).

(6) صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس (ص191).

(7) الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص27).

(8) ديوان المبتدأ والخبر (مج329/6)؛ الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص27).

(9) الكامل في التاريخ (ج134/10)؛ نفح الطيب (ج443/1).

ألفاً[1]، أما الدواداري فيذكر أن عدد القتلى بلغ 216 ألف صليبي[2]، ويبدو أن هناك فجوة واسعة بين العددين الأول والثاني، ولعل الباحث يرى أن العدد الواضح والأصح هو 146 ألفاً.

في الوقت الذي يرى محمد عبد الله عنان أن معركة الأرك أحيطت بهالة من الأساطير سواء كان في قتلى الروم أو ما غنمه المسلمون أو حتى في أعداد الفريقين، وما إلى ذلك[3].

بداية بالنسبة للعدد الذي ذكره الدواداري 216 ألف وابن كثير 143 ألف، فنحن لم نعول منذ البداية في سرد الحقائق وتنقيحها لهذه الدراسة منذ البداية على مصادر المشارقة، وحاولنا الاعتماد الكلي على المصادر المغربية لقربها من الأحداث، ودقة معلوماتها في أحداث المغرب، أكثر من غيرها، فأهل المغرب أدرى بشعاب بلادهم وتاريخهم وأحداثهم من غيرهم، وقد تبين هذا عندما أخطأ الحافظ بن كثير بتسمية هذه الوقعة الأرك التي خاضها يعقوب الموحدي بالزلاقة التي خاضها بن تاشفين المرابطي خطأً[4]، فبعد المسافة وآلاف الفراسخ كفيلة بتغيير المعلومات، ووصول الأخطاء إليها في مثل هذه الأزمنة، لكن يمكن القول أنه يستفاد من العدد الذي أورده الدواداري وابن كثير ما يؤكد على أن المعلومات التي ذكرها ابن الأثير والمقري هي الأصح، وإلا لما تقاربت الأرقام بينهم وبين مؤرخي المشرق كابن كثير، وكيف وصلت بهذا القرب من الدقة من بلاد المغرب إلى المشرق إلا لدليل على صحتها، أما العدد الذي أورده الدواداري فهو كما قال محمد عبد الله عنان قد أحاط به هالة من المبالغة، لكن يستفاد أن أعداد القتلى كان كبيراً فعلاً.

ويؤكد الباحث أن العدد الصحيح للقتلى 146 ألف، وذلك للأسباب التالية:-

1- أن ما غنم المسلمون من دواب الأعداء كان كثيراً جداً، في الوقت الذي لا يترك في الجندي دابته فهي الوسيلة لهربه من المعركة، وَمِنَ الْخَيْلِ 46 أَلْفًا وَقيل 80 ألفا، وَمِنَ الْبِغَالِ 100 أَلْفٍ، وَمِنَ الْحَمِيرِ 400 ألف[5] حمار[6]، أما ما غنم المسلمون عند ابن كثير فبلغ 143 أَلْفَ خَيْمَةً، وَمِنَ الْخَيْلِ 46 أَلْفَ فَرَسٍ، وَمِنَ الْبِغَالِ 100 أَلْفِ بَغْلٍ، وَمِنَ الْحُمُرِ

---

(1) انظر: البداية والنهاية (ج667/16).

(2) كنز الدرر وجامع الغرر (ج127/7).

(3) انظر تفاصيل ذلك: دولة الإسلام في الأندلس (ج209/5-213).

(4) انظر: البداية والنهاية (ج667/16).

(5) سبب كثرة البغال والحمير لأن الروم يعتمدون عليها في حمل أثقالهم وأمتعتهم، أما العرب والبرب فاعتمادهم على الإبل؛ الأشتر، معركة الأرك 591هـ (ص75).

(6) ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج134/10)؛ السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج191/2)؛ المقري، نفح الطيب (ج443/1).

100 أَلْفِ[1]، فهنا نرى التقارب بين المصادر المشرقية والمغربية إلا في عدد الحمير، وكما أسلفنا في موقفنا هذا سابقاً، ولكن كل ذلك يعني أن هناك عدداً كبيراً من الجند قتلوا بحيث غنمت دوابهم.

2- ما غنم المسلمون من دروع العدو أكبر من عدد القتلى الذي ذكره ابن خلدون، في الوقت الذي لم يكن الجيش الفرنجي مدرعاً بأكمله، فقد نادى يَعْقُوبُ فِي عَسْكَرِهِ: مَنْ غَنِمَ شَيْئًا فَهُوَ لَهُ سِوَى السِّلَاحِ، وَأَحْصَى مَا حُمِلَ إِلَيْهِ مِنْهُ، فَكَانَ زِيَادَةً عَلَى سَبْعِينَ أَلْفَ درع [2]، وقيل إنه حصل لبيت المال من دروعهم ستون ألف درع [3]، وهذا يدل على أن القتلى أكبر بكثير مما قاله ابن خلدون في المدرعين، وعادة يكون الجنود المدرعين هم نخبة الجيش فكثر القتل فيهم، فكيف بالجنود عامة الجيش؟؟.

3- لو علمنا أن من عادة الموحدين أنهم لا يأسرون مشركاً محارباً إن ظفروا به ولو كان ملكاً عظيماً، بل تضرب رقابهم كثروا أو قلوا[4]، ويؤثرون القتل على الأسر فهذا يعني أن القتل قد استحر وبلغ مبلغاً كبيراً، كذلك فإن عدد الشهداء المسلمين بلغ 20 ألفاً[5]، فمن غير المعقول أن يكون عدد القتلى للنصارى في هذه المعركة فقط 30 ألفاً، في ظل هزيمة مروعة اهتزت لها بلاد الكفر، وبهذا الرأي يقول الدكتور صلاح الأشتر[6].

4- يرى الباحث أن العدد الذي ذكره ابن خلدون صحيح ولكن ليس في القتلى إنما في الأسرى، حيث قال المقري في نفح الطيب أن عدد الأسارى ثلاثين ألفاً[7]، وبهذا يكون اختلط الأمر على ابن خلدون بين عدد القتلى وعدد الأسرى.

أما ابن كثير فيرى أن عدد الأسرى بلغ منهم 13 ألف[8]، ولكن كما أسلفنا نحن نرجح ما ذكره المغاربة، لأن الأقرب إلى الحقيقة المصادر المغربية، فلربما يحدث لبساً من المصادر

---

(1) انظر: البداية والنهاية (ج667/16).

(2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج134/10)، ابن كثير، البداية والنهاية (ج667/16).

(3) اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان (ج363/3)؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (ج8/7).

(4) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (ج9/7)؛ مقديش، نزهة الأنظار (ج470/1).

(5) السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج192/2).

(6) انظر: معركة الأرك 591هـ (ص74).

(7) (ج443/1).

(8) البداية والنهاية (ج667/16).

المشرقية لبعد المسافة، وعدم التثبت من المعلومات على حقيقتها، فآلاف الفراسخ كفيلة بأن تنقل معلومات غير دقيقة، فضلاً عن خطأ في الأعداد وقع فيه المغاربة أنفسهم، إلا أنه يمكن القول أنه بتقارب الأرقام التي أوردها ابن كثير للمصادر الأولية وبخلاف ابن خلدون، يدلل على أن المعلومات الحقيقية هي للمصدرين ابن الأثير والمقري، وإلا ما وصلت الأرقام من الغرب إلى الشرق بهذا التقارب، والله أعلم.

ولما رجع المنصور من غزو الأرك سنة 591هـ ورد الشعراء إليه يهنئونه[1] من كل ناحية[2]، وأمر المنصور كاتبه[3] أبا الفضل الإيجاز في كتاب فتح موقعة الأرك[4]، وقد ارتفعت شهرة الموحدين الحربية في كل مكان بعد انتصارهم في وقعة الأرك ، فكانت الأرك 591هـ كأختها الزلاقة 479هـ في عهد المرابطين[5]، وكان بينهما 112 سنة.

---

(1) ومن هؤلاء الشعراء المهنئين:

الشاعر: علي بن حزمون المرسي، حيث وقعت قصيدته في المنصور والحضور، ولاقت الاستحسان، ومطلع القصيدة:

حيتك معطرة النفس ... نفحات الفتح بأندلسِ
فذَرِ الكفار ومأتمهمْ ... إن الإسلام لفي عُرُسِ
أإمام الحق وناصره ... طهَّرْتَ الأرض من الدنسِ؛

المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص213).

الشاعر: أبو العباس الجراوي الذي أحسن في قصيدته فقال في مطلعها:

هو الفتح أعيا وصفه النظم والنثرا ... وعمت جميع المسلمين به البشر
وأنجد في الدنيا وغار حديثه ... فراقت به حسناً وطابت به نشرا
تميز بالأحجال والغرر التي ... أقل سناها يبهر الشمس والبدرا

لقد أورد الأذفونش شيعته الردى ... وساقهم جهلاً إلى البطشة الكبرى؛ ابن عذارى، البيان المغرب "قسم الموحدين" (ص221–222).

(2) السَّمْلالي، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات (ج266/10).

(3) كتب أبو عبد الله بن عياش كتاباً برسالة من المنصور الموحدي إلى الطلبة والأشياخ والموحدين والكافة بفاس سنة 592هـ، يخبرهم بانتصار المسلمين في وقعة الأرك بفضل الله وكرمه وجوده؛ انظر: بروفنصال، مجموع رسائل موحدية (ص228–232).

(4) ابن الخطيب، الحلل الموشية (ص159).

(5) أبو خليل، الأرك بقيادة يعقوب المنصور الموحدي (ص62)؛ الحجي، التاريخ الأندلسي (ص490)؛ الفقي، تاريخ المغرب والأندلس (ص274)؛ مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس (ص439).

فكلتاهما مما اعتز به الإسلام وعلت كلمته بهما[1]، حيث أعادت للذاكرة أمجاد يوسف بن تاشفين[2]، إذ أوقفت هذه القوة الموحدية اندفاعة الإسبان[3]، وكسرت حدة الموجة النصرانية لمملكة قشتالة[4]، وأخرت سقوط الأندلس[5]، بل إن المقري في كتابه يقول أن غزوة الأرك العظمى تضاهي وقعة الزلاّقة أو تزيد[6]، ويفسر بعض المؤرخين ذلك كمحمد عبد الله عنان أن يوسف بن تاشفين في وقعة الزلاقة اكتفى بتحقيق النصر، ولم يتبع نصره بأي محاولة لاسترداد طليطلة أو غزو أراضي قشتالة، في حين أن المنصور بث جيشه فاستولى على عدة حصون، ثم بعد بضعة أشهر خرج لغزو أراضي قشتالة واخترقها حتى وصل طليطلة، واستولى على طائفة من الحصون والمواقع[7]، فلهذا كان أثرها أبعد[8]، فغزوة الأرك من أعظم انتصارات جيوش الإسلام[9]، فقد ساهمت في تثبيت جبهة الإسلام الأندلسي[10] لمدة قرن كامل من الزمان على الأقل[11]، كما زادت من هيبة الموحدين ورسخت مكانتهم في الشمال الأفريقي[12]، حتى أخذت صورة المنصور يعقوب الموحدي في المغرب تضاهي صورة الناصر صلاح الدين الأيوبي في المشرق[13]، خصوصاً أن هذا الانتصار الموحدي جاء بعد النصر الذي أحرزه صلاح الدين الأيوبي على الصليبيين في المشرق في موقعة حطين، واستعادته لبيت المقدس، فكانت ضربة تركت أثرها العميق على النصارى في كلا الجانبين[14].

---

(1) أبو خليل، الأرك بقيادة يعقوب المنصور الموحدي (ص62)؛ الحجي، التاريخ الأندلسي (ص490)؛ الفقي، تاريخ المغرب والأندلس (ص274)؛ مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس (ص439).

(2) عناني، شعر ابن مجبر الأندلسي (ص18).

(3) حومد، محنة العرب في الأندلس (ص119).

(4) حتامله، الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة (ص958).

(5) حومد، محنة العرب في الأندلس (ص119).

(6) نفح الطيب (ج443/1).

(7) دولة الإسلام في الأندلس (ج213/5).

(8) الفقي، تاريخ المغرب والأندلس (ص274)؛ المراكشي، وثائق المرابطين والموحدين (ص124).

(9) عناني، شعر ابن مجبر الأندلسي (ص22).

(10) مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس (ص439)؛ قجة، محطات أندلسية (ص220)؛ عبد اللطيف وآخرون، الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي (ج109/7).

(11) مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس (ص439)؛ قجة، محطات أندلسية (ص220).

(12) حتامله، الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة (ص958).

(13) مصطفي، الأندلس في التاريخ (ص108).

(14) النجار، المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي (مج199/1).

ثانياً: مؤهلات النصر والتمكين في موقعة الأرك الكبرى:-

1- التعبئة الجهادية العامة وتجهيز الجيوش للجهاد، والإعداد المادي للحرب، وعدم الخشية في الله لومة لائم:

يعد تعبئة الجيوش وتجهيزها من عوامل الانتصار فالجيوش قبل أن تتحرك لا بد من تهيئتها وتنظيمها حتى تمارس دورها الفعال في المعركة، وكذلك يساعد على تكثيف عددها، وقد قال تعالى: ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ..** ﴾[1]، وقد أخذ إعداد الجيوش على **مرحلتين:-**

الاستنفار الأول: عندما انقضت الهدنة وأخذ الفرنجة يعيثون فساداً في بلاد الأندلس الإسلامية، فانْتَهَى الخبر إِلَى يَعْقُوبَ[2]، فعزم على التَّوَجُّه إِلَى جَزِيرَة الأندلس لمحاربة الفرنج وَكتب إِلَى وُلَاة الْأَطْرَاف وقادة الجيوش بالحضور وَخرج إِلَى مَدِينَة سلا في اجتماع للعساكر[3]، ثم أمر بكتب الاستنفار واستدعى الجيوش من الأمصار، وضرب السرادقات بظاهر البلد من يومه وجمع العساكر، وسار إلى البحر المعروف بزقاق سبتة[4]، وتجهز أمير المؤمنين في جحفل عرمرم من قبائل الموحدين والعرب[5] للعبور[6].

فاتفق أَنه مرض مَرضا شَدِيدا حَتَّى يئس مِنْهُ أطباؤه فتوقف الْحَال عَن تَدْبِير تِلْكَ الجيوش وَحمل يَعْقُوب الْمَنْصُور إِلَى مراكش وَهُوَ مَرِيض فطمع المجاورون لَهُ من الْعَرَب وَغَيرهم فِي الْبِلَاد وعاثوا فِيهَا وأغاروا على النواحي والأطراف وَكَذَلِكَ فعل الأذفونش فِيمَا يَلِيهِ من بِلَاد الْمُسلمين بالأندلس وَاقْتضى الْحَال تَفْرِقَة الجيوش الَّتِي جمعهَا يَعْقُوب الْمَنْصُور شرقا وغربا وَاشْتَغلُوا بالمدافعة والممانعة[7].

---

(1) [الأنفال: 60].

(2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج134/10).

(3) السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج185/2)؛ حسين، مدينة سلا في العصر الإسلامي (ص36).

(4) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (ج6/7-7).

(5) اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان (ج363/3).

(6) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص206).

(7) السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج185/2).

الاستنفار الثاني: كثر طمع الأذفونش فِي الْبِلَاد وَبعث رَسُولا[1] إِلَى أَمِير الْمُؤمنِينَ يَعْقُوب الْمَنْصُور يهدده ويتوعده وَيطْلب بعض الْحُصُون المتاخمة لَهُ من بِلَاد الأندلس[2] ويستحثه للقتال والنزال[3]، وقد كان الكتاب شبيهاً إلى حد ما بالكتاب الذي أرسله الأذفونش السادس الذي تحدى أمير المرابطين يوسف بن تاشفين[4]، في محاولة لأخذ النصارى الثأر من المسلمين الذين غلبوهم في موقعة الزلاقة.

فلما وصل كتابه إلى الأمير يعقوب مزقه وكتب على ظهر قطعة منه: ﴿ **ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ** ﴾[5]، الجواب ما ترى لا ما تسمع: ولا كتب إلا المشرفية عندنا *** ولا رسل إلا الخميس العرمرم[6]، وهذا يدل على رباطة

---

(1) نص الرسالة: " بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، أَمَّا بَعْدُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ، فَإِنَّهُ لَا يَخْفَى عَلَى كُلِّ ذِي عَقْلٍ لَازِبٍ، وَلَا ذِي ذَكَاءٍ ثَاقِبٍ، أَنْتَ أَمِيرُ الْمِلَّةِ الْحَنِيفِيَّةِ، كَمَا أَنَا أَمِيرُ الْمِلَّةِ النَّصْرَانِيَّةِ، وَأَنَّكَ مَنْ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مَا هُمْ عَلَيْهِ رُؤَسَاءُ الْأَنْدَلُسِ مِنَ التَّخَاذُلِ وَالتَّوَاكُلِ، وَإِهْمَالِ الرَّعِيَّةِ، وَاشْتِمَالِهِمْ عَلَى الرَّاحَاتِ، وَأَنَا أَسُومُهُمُ الْخَسْفَ وَأُخَلِّي الدِّيَارَ، وَأَسْبِي الذَّرَارِيَّ، وَأُمَثِّلُ بِالْكُهُولِ، وَأَقْتُلُ الشَّبَابَ، وَلَا عُذْرَ لَكَ فِي التَّخَلُّفِ عَنْ نُصْرَتِهِمْ، وَقَدْ أَمْكَنَتْكَ يَدُ الْقُدْرَةِ، وَأَنْتُمْ تَعْتَقِدُونَ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْكُمْ قِتَالَ عَشَرَةٍ مِنَّا بِوَاحِدٍ مِنْكُمْ. وَالْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ. وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا، فَقَدْ فَرَضَ عَلَيْكُمْ قِتَالَ اثْنَيْنِ مِنَّا بِوَاحِدٍ مِنْكُمْ، وَنَحْنُ الْآنَ نُقَاتِلُ عَدَدًا مِنْكُمْ بِوَاحِدٍ مِنَّا. وَلَا تَقْدِرُونَ دِفَاعًا، وَلَا تَسْتَطِيعُونَ امْتِنَاعًا.

ثُمَّ حُكِيَ لِي عَنْكَ أَنَّكَ أَخَذْتَ فِي الِاحْتِفَالِ، وَأَشْرَفْتَ عَلَى رَبْوَةِ الْقِتَالِ، وَتُمْطِلُ نَفْسَكَ عَامًا بَعْدَ عَامٍ، تُقَدِّمُ رِجْلًا وَتُؤَخِّرُ أُخْرَى، وَلَا أَدْرِي الْجُبْنُ أَبْطَأَ بِكَ أَمِ التَّكْذِيبُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْكَ؟ .

ثُمَّ حُكِيَ لِي عَنْكَ أَنَّكَ لَا تَجِدُ سَبِيلًا لِلْحَرْبِ لَعَلَّكَ مَا يَسُوغُ لَكَ التَّقَحُّمَ فِيهَا، فَهَا أَنَا أَقُولُ لَكَ، مَا فِيهِ الرَّاحَةُ، وَأَعْتَذِرُ عَنْكَ، وَلَكَ أَنْ تُوَافِيَنِي بِالْعُهُودِ وَالْمَوَاثِيقِ وَالْأَيْمَانِ، وَأَنْ تَتَوَجَّهَ بِجُمْلَةِ مَنْ عِنْدَكَ فِي الْمَرَاكِبِ وَالشَّوَانِي، وَأَجُوزُ إِلَيْكَ بِجُمْلَتِي، وَأُبَارِزُكَ فِي أَعَزِّ الْأَمَاكِنِ عِنْدَكَ، فَإِنْ كَانَتْ لَكَ فَغَنِيمَةٌ عَظِيمَةٌ جَاءَتْ إِلَيْكَ، وَهَدِيَّةٌ مَثُلَتْ بَيْنَ يَدَيْكَ، وَإِنْ كَانَتْ لِي كَانَتْ يَدِي الْعُلْيَا عَلَيْكَ. وَاسْتَحْقَقْتُ إِمَارَةَ الْمِلَّتَيْنِ، وَالتَّقَدُّمَ عَلَى الْفِئَتَيْنِ، وَاللَّهُ يُسَهِّلُ الْإِرَادَةَ، وَيُوَفِّقُ السَّعَادَةَ بِمَنِّهِ لَا رَبَّ غَيْرُهُ، وَلَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُهُ "؛ السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج186/2)؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (ج6/7)؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج132/10-133)؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس (ص220-221)؛ أبو خليل، الأرك بقيادة يعقوب المنصور الموحدي (ص50-51)؛ حمادة، الوثائق السياسية والإدارية (ص91-92).

(2) اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان (ج363/3).

(3) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس (ص222).

(4) انظر: عبود، مباحث في التاريخ الأندلسي ومصادره (ص159-160).

(5) [النمل: 37].

(6) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (ج7/7)؛ ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب (ج525/6-526).

جأشه ولغته العسكرية الصارمة في تعامله مع خصومه، ولا شك أن حزمه وعدم لينه ساعده كثيراً في هزيمة أعدائه وتدعيم أركان دولته.

ولعل هذه الرسالة ولغتها هي من حفز المنصور لحشد قواه[1] والاصطدام بقوة الأذفونش سنة 591هـ في وقعة الأرك[2].

عندها أرسل المنصور منادي الجهاد فأقبل الناس على اختلاف ألوانهم ولغاتهم من جميع أقطار الدولة[3] الموحدية [4] جبالاً وصحاري وحبشة[5]، ثم تحرك المنصور من حاضرته مراكش[6]، فوصل إلى قصر المجاز ومنه أخذ يرسل الجيوش إلى الأندلس فكان أول من جاز في العرض العسكري[7] العرب ثم قبائل زناتة ثم المصامدة ثم غمارة ثم الأغزاز والرماة ثم الموحدون ثم العبيد وأخيراً جاز المنصور [8] بجيشه العظيم وفيه أشياخ الموحدين والفقهاء والعلماء والصالحون[9]، واستقروا بالجزيرة الخضراء يوماً واحداً[10] ثم استقر بإشبيلية فاستعرض الجند

---

(1) حيث يذكر الدكتور علي محمد الصلابي أن المنصور الموحدي عندما أمر أن يذاع خطاب الأذفونش على جنود الموحدين ليثير غيرتهم، ضج الناس وصاحوا بشعارات الجهاد، وتحمسوا للقتال؛ دولة الموحدين (ص173). ويقول الأستاذ عبد الله السويسي أنه اجتمع للمنصور أعظم جيشٍ قاده في حياته بلغ 100 ألف مقاتل؛ تاريخ رباط الفتح (ص27).

(2) حمادة، الوثائق السياسية والإدارية (ص92).

(3) وقد كان المسلمون دائماً يلبون نداءات إخوانهم الأندلسيين في حروبهم مع الرومان النصارى، كما حدث في وقعة الأرك، بما يحملهم ذلك من رباط الأخوة في الدين، والجهاد في سبيل الله سبحانه وتعالى؛ انظر: موسى، استجابات إسلامية لصرخات أندلسية (ص77-79).

(4) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس (ص222).

(5) ابن عذارى، البيان المغرب "قسم الموحدين" (ص201).

(6) الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص27).

(7) تؤكد الدكتوره ليلى النجار أن الحكام الموحدين هدفوا من استعراض جيوشهم وإبراز قوتها، إثارة الحماس والترغيب في الجهاد، وقد كان يتم هذا أمام كافة أفراد الشعب، والذي كان له أثر كبير في المساندة المعنوية للجيوش المجاهدة، وقد كانت هذه الاستعراضات تثير الرعب في قلوب النصارى فتدفعهم للإستسلام؛ المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي (مج2/382،380،378).

(8) تؤكد الدكتوره ليلى النجار أن حرص المنصور على قيادة جيوشه بنفسه كان عاملاً هاماً في رفع الروح المعنوية للجنود كافة، وتفانيهم في البذل والعطاء؛ المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي (مج2/371).

(9) خرج المنصور من مراكش إلى الأندلس برسم غزوة أخرى هي الأراك سنة 591هـ؛ السَّمْلالي، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات (ج10/265).

(10) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس (ص222).

ومنحهم الأعطيات[1]، وقد تلقى الدعم والمعونة هناك، ومنها ما كانت فيه الخيرة والبركة لصلاحها، فساهمت في تحقيق النصر.

في 11 جمادى الأخرى وصل المنصور إلى قرطبة فروح بها[2]، ثم نهضوا إلى العدو حتى وصلوا قرب مدينة الأرك[3] من نواحي بطليوس[4] بالأندلس[5] حيث كانت وقعة الأرك التي هزم فيها نصارى قشتالة سنة 591هـ على يد الموحدين[6]، وقد كان لهذا النفير العام والاستعداد للمعركة، والأخذ بالأسباب المادية والمعنوية، أثرٌ كبيرٌ في إرهاب أعداء الله وتحقيق النصر على يد جيوش[7] الموحدين.

2- توحيد الجبهة الداخلية:

قام المنصور بتوحيد الجبهة الداخلية، وترتيب البيت المغربي، استعداداً لقتال الروم النصارى في الأندلس.

فبعدما تمكن المنصور من هزيمة ثوار بني غانية نَقَلَ حَرَم بني غانية إِلَى تونس[8]، وعندما استسلم له التُّرْكُ أَمَّنَهُم[9] ونقلهم إلى الثغور لشجاعتهم واحتواهم في أمور .....

---

(1) الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص27).

(2) الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص27).

(3) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس (ص222)؛ بريان، آخر بني سراج (ص99).

(4) بَطَلْيُوسُ: مدينة جليلة كبيرة حصينة تقع بالأندلس على نهر آنة غربي قرطبة، على أرض مبسوطة، وهي من أعمال ماردة، بناها عبد الرحمن بن مروان الجليتي، ينسب إليها بعض أهل العلم واللغة والأدب؛ الحموي، معجم البلدان (ج447/1)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج204/1)؛ الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص93)؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس (ص46).

(5) ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر (مج329/6).

(6) ابن الخطيب، الحلل الموشية (ص159)؛ الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص27)؛ أبو حامد، البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان (ص461)؛ الذنون، آفاق غرناطة (ص30)؛ مصطفي، الأندلس في التاريخ (ص108)؛ رزوق، الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب (ص35)؛ الحجي، التاريخ الأندلسي (ص464)؛ أرسلان، الحلل السندسية (ج463/1)؛ مؤنس، رحلة الأندلس حديث الفردوس الموعود (ص41-322،42).

(7) أحسن المنصور العناية بتدريب جنده وإعدادهم لخوض المعارك بكفاءة عالية، وذلك لاحتياجات الدولة الضرورية وظروفها؛ النجار، المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي (مج370/2).

(8) الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص201)؛ السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج161/2).

(9) ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج13/10)؛ مراكشي مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار (ج151/1).

الجهاد[1]، ولما جائه عرب إفريقية خاضعين بعد هزيمتهم نقل أهل الْفِتْنَة وَالْخلاف مِنْهُم[2] – أمثال قبائل هِلَال بن عَامر وجشم بن مُعَاوِيَة بن بكر[3]– إِلَى الْمغرب الْأَقْصَى[4]، ليكونوا تحت رقابته المستمرة[5]، بل وأشركهم في الجهاد بعد انضمامهم لجيش الموحدين، حيث شارك في معركة الأرك البربر والعرب والأغزاز الترك[6] والسودان[7]، وقد سادت كلمة الموحدين سنة 587هـ، في بلاد المغرب كلها[8]، فامتثل لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ **وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾[9].

لقد استطاع أبو يعقوب يوسف المنصور بدهائه وحنكته السياسية أن يؤمن خط ظهره ويوحد الجبهة الداخلية وأعاد تنظيم البيت المغربي الموحدي من الداخل، وأمن خطر القبائل العربية والأتراك ووظف طاقاتهم في حربه في الأندلس[10]، فكان هذا العمل الحاسم القوي سبباً من أسباب انتصاره على النصارى في الأندلس في معركة الأرك الكبيرة، فقد كانت أهداف يعقوب

---

(1) العينى، عِقْدُ الجُمَان "العصر الأيوبي" (ج87/2).

(2) السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج161/2–162)؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس (ص275).

(3) السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج168/2–169).

(4) السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج161/2–162)؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس (ص275).

(5) حسن: حسن علي، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس (ص314).

(6) انظر: ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر (مج329/6)؛ السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج188/2).

(7) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس (ص224).

(8) مراكشي مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار (ج111/1).

(9) [الأنفال: 46].

(10) يقول الدكتور حسين مؤنس: أن جيوش الموحدين كانت تعج بحشود من البربر والعرب والأندلسيين والسودان، وقد كانت هذه القوات العسكرية مفككة، تنقصها القيادة الحازمة التي تقبض على الجيش بإحكام، وتوجهه وفق خطة واحدة مرسومة، وقد كان المنصور من القلة الموحدية التي استطاعت قيادة جيوشها قيادة سليمة محكمة، وكان الرجل حازماً موهوباً إدارياً عسكرياً، شديد الإيمان انتقل إيمانه إلى رجاله، وكسبت جيوش الموحدين في أيامه قوة ضاربة كبيرة؛ انظر: معالم تاريخ المغرب والأندلس (ص223–224).

المنصور واضحة المعالم في حركته ولذلك أرجأ جهاد النصارى في الأندلس إلى حين الإنتهاء من مشاكل بني غانية وحلفائهم وهذا يدل على عمق تفكيره الاستراتيجي وبعد نظره العسكري[1].

3- الإمداد اللوجستي، والأمن العسكري:

وقد اتخذ هذا الشكل مسارين في المعركة:

أ- الأمن العسكري، وسرايا الطلائع: حيث تشير الرواية أن المنصور وصل قرطبة يوم الجمعة 19 رجب، فأراح بها ثلاثة أيام، وخرج يوم الثلاثاء، وكانت سرية خيل من النصارى قد جاءت إلى قلعة رباح وما جاورها للتجسس على أخبار الموحدين، فخرج إليهم من كان بالحصن، ولحقوهم، وقضوا على سرية النصارى تماماً، فكانت هذه الضربة الأولى مقدمة الفتح[2]، وقد حافظ الموحدون على أمنهم العسكري، فالتزموا قول الله عز وجل: ﴿ **وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا** ﴾[3]، وهذا يذكرنا ما حدث في غزوة بدر حيث قام الصحابة باعتراض القافلة المتوجهة للتجارة، بسبب تصرفات المشركون الظالمة مع أموال المهاجرين المسلمين بمكة.

ب- الدعم والإمداد اللوجستي: والذي قام الكونت دون بيدرو فرناندیث دي كاسترو المبعد من قشتالة والمتحالف مع الموحدين، كما ظهر في التعريف بالطرق والأماكن الجغرافية، وتفتيش حصن الأرك للتأكد من وجود الأذفونش أو هربه عند نهاية المعركة[4]، وقد كان دوراً هاماً، ولكن ليس بالشئ الكبير أو العمل الخطير.

4- الشورى:

إن الشورى هو عمل عظيم يقود للتوفيق والسداد، فالاستبداد بالرأي يكون عاقبته الخبال فبالشورى تتسع الآفاق وتعمل العقول بتكاتف لإيجاد حل أمثل، فتكون النظرة أبعد والرؤية أشمل، وهو هدي النبي محمد ﷺ في غزواته وحروبه، وقد قال الله عز وجل: ﴿.. **وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ** ﴾[5].

---

(1) الصلابي، دولة الموحدين (ص169-170).

(2) ابن عذارى، البيان المغرب "قسم الموحدين" (ص218).

(3) [النساء: 102].

(4) انظر: النجار، المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي (مج1/194-195) = نقلاً عن:Miranda، Las grandes batallas de la Reconquista durante las invasions africanas [p. 212-216].

(5) [آل عمران: 159].

فَعندما اقترب المنصور من حصن الأرك جمع النَّاس وفاوضهم ووعظهم[1]، وأخذ يشاور المسلمين فاستشار أشياخ الموحدين ثم العرب ثم زناتة ثم القبائل ثم الأغزاز ثم المتطوعة، يستنصح ويجتهد في آرائهم، ثم دعا قادة الأندلس وخصهم بالمشورة[2] قائلاً لهم إن كل من استشرت قبلكم ليسوا من علمهم ببلاد الأندلس مثلكم ولا بقتال النصارى مثلكم، فأنتم المجاورون والمحاربون لهم، والعارفون بخدعهم وأحوالهم، فأجمع قادة الاندلس على رجل أثنوا على دينه وحسن عقله وتدبيره ومعرفته بخدع الحروب وأحوالها ونصحه للمسلمين خيراً، وأعدوه المتحدث العسكري عنهم وهو القائد أبو عبد الله بن صناديد الأندلسي[3].

قرب المنصور القائد أبا عبد الله بن صناديد منه واستنصحه، وهذا من هدي نبينا ﷺ، فعن أبي هريرة مرفوعاً إلى النبي ﷺ: "اسْتَرْشِدوا الْعَاقِل ترشدوا وَلَا تعصوه فتندموا"[4].

ولما استنصحه المنصور قال عندها ابن صناديد للمنصور إن النصارى أهل خدع ومكائد في الحروب ولا بد من مواجهتهم بنفس الأسلوب، فنصحه قائلاً بتقسيم جيش المسلمين قسمين، بأن يقدم شيخاً من شيوخ الموحدين أصحاب الشجاعة والدين والإخلاص بجيوش الأندلس وحشود العرب وزناتة والأغزاز والمصامدة والمتطوعة تعقد له راية[5] المنصور، فيقاتل به عسكر الروم، ويكون الجيش الرئيس للموحدين مع العبيد والحشم بقيادة المنصور خلف هذا الجيش بمنأى عن أعين الأعداء، فإن انتصر الجيش الأول فبها ونعمة، وإن كان غير ذلك ينهض الجيش الموحدي الرئيسي الثاني فيلقى العدو بعد أن تكون شوكته قد كسرت وعزمه قد ثبط ونال التعب والإعياء منه، فقال المنصور نعم الرأي[6]، وعول على رأيه، وقد كانت هذه المشورة موفقة جلبت النصر للمسلمين في المعركة كما تبين وفَصَّلنا سابقاً، فقد فهم المنصور الموحدي طريقة النبي ﷺ في استماع المشورى وتنفيذها عملياً.

---

(1) السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج2/187).

(2) تؤكد الدكتوره ليلى النجار أن حرص المنصور على عقد مجالسه الحربية واستشارته لوزرائه وقادته كانت من أسباب إحراز الانتصارات التي خلدت ذكراه؛ المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي (مج2/375).

(3) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس (ص223).

(4) السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (357/7).

(5) وقد ظل علم المنصور صاحب اللون الأخضر والأبيض، الذي يمثل شعب الأندلس المسلم، في قلوب الأندلسيين شعارًا لهم يخرجونه في ثوراتهم المتتالية، فرفعوه عاليًا في مقاومتهم المريرة لغزو غرناطة، كما ظهر هذا العلم في ثورة طاهر الحر ودوق مدينة شذونة سنة 1641 م، كما كان علم معظم الثورات الشعبية الأندلسية في القرن 19 م؛ الكتاني، انبعاث الإسلام في الأندلس (ص312).

(6) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس (ص224).

كما فعل النبي ﷺ، يوم الخندق لما اجتمع الكفار، حيث ضرب الخندق على المدينة المنورة، وكانت مشورة الصحابي الجليل سلمان الفارسي ﷺ حيث أخبره أنها طريقة جديدة من فارس[1]، وقد كانت مبتكرة لم يعهدها العرب من قبل.

5- اختيار القيادة الكفؤة والمخلصة، وتقسيم الجيوش بناءاً على الأجناس والبلدان في المعركة:-

دَعَا المنصور كبير وزرائه الشَّيْخ أبي يحيى بن أبي حَفْص وَقدمه على ذَلِك الْجَيْش[2] وَعقد لَهُ رايته وَقدمه بَين يَدَيْهِ فرفرفت على رَأسه الرَّايَات وقرعت بَين يَدَيْهِ الطبول وَسَار فِي قبيلة هنتاتة وَبَين يَدَيْهِ الْقَائِد ابْن صَنَادِيد فِي جَيش الأندلس [3]، ويعد هذين القائدين من خيار القادة لصلاحهما فقد أثنى الناس والعلماء عليهما خيراً، وهما كفؤان جديران بقيادة الجيش الأول، والقائد إذا لم يكن حكيماً مخلصاً فهذا من أسباب الهزيمة وقد حرص المنصور على ذلك فاختار القوي الأمين.

قسم المنصور جيشه إلى فرق كل فرقة تتبع ناحية أو منطقة فعندما عبأ الشَّيْخ أَبُو يحيى عساكره تعبئة الْحَرْب وَعقد الرَّايَات لأمراء الْقَبَائِل[4] وأوقف كل قَبيلَة فِي مركزها الَّذِي عين لَهَا فَجعل عَسْكَر الأندلس فِي الميمنة وَجعل زناتة والمصامدة وَالْعرب وَسَائِر قبائل الْمغرب فِي الميسرة وَجعل المتطوعة والأغزاز وَالرُّمَاة فِي الْمُقدمَة وَبَقِي هُوَ فِي الْقلب فِي قَبيلَة هنتاتة[5]، أي أن تقسيم أبي يحيى بن أبي حفص مع المنصور لجيشه وضبطه له وفق النظام كان على النحو التالي: مقدمة وقلب وجناحين، في المقدمة الأغزاز – الترك –، والمطوعة أصحاب الرماح الطويلة، وفي القلب القائد العام أبا يحيى بن أبي حفص مع قبيلة هناتة، ومعه الرايات السلطانية وتدق الطبول أمامه، وفي الجناح الأيمن جند الأندلس بقيادة بن صناديد، وفي الميسرة قبائل

---

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك (ج2/566).

(2) السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج2/188)؛ الدرة، العلماء الشهداء في الأندلس (ص48).

(3) السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج2/188).

(4) عقد الْمَنْصُور لجرمون بن ريَاح على قبائل الْعَرَب ولمنديل بن عبد الرَّحْمَن المغراوي على قبائل مغراوة ولمحيو بن أبي بكر بن حمامة المريني جد الْمُلُوك المرينيين على قبائل بني مرين ولجابر بن يُوسُف العَبْد الْوَادي على قبائل بني عبد الواد ولعباس بن عَطِيَّة التوجيني على قبائل بني توجين ولتلجين بن عَليّ على قبائل هسكورة وَسَائِر المصامدة ولمحمد بن منغفاد على قبائل غمارة؛ السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج2/188).

(5) السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج2/189).

العرب وبقية قبائل المغرب[1]، أما المنصور والحرس السوداني، والجيش الموحدي النظامي، وفرقه الاحتياطية فهم في الساقة –المؤخرة– بعيدين عن أعين الأعداء[2]، وقد انتاب الصليبين القشتاليين الخوف والذهول من حسن نظام الجيش الموحدي، وتقسيمه[3].

وكان تقسيم الجيش لقسمين، قسم في المواجهة، وآخر يختفي وراء التلال، شبيهة بموقعة الزلاقة[4] عام 479هـ وهذا يدل على اهتمام أبي عبد الله ابن صناديد بالدراسة التاريخية الواعية[5]، ولهذا التقسيم على ساحة المعركة وصورتها[6] فوائد[7] جليلة **منها**:–

أنه كان في عادة الموحدين أن لا يجعلوا قادة أهل الأندلس كفرقة مستقلة من الأندلسيين بحيث كان يترتب على ذلك اضطراب صفوف الأندلسيين الموحدين، وهبوط الحماس لديهم عندما يكون قادتهم أجانب، وهذا ما شجع يعقوب الموحدي أن يكون ابن صناديد الأندلسي هو قائد فرقة الأندلس الموحدية[8]، وكذلك فإن التقسيم القبلي يعزز لدى كل قبيلة أن تأخذها الحمية في الدفاع عن أفرادها، فيتوطد فيها التكاتف والتلاحم لأواصر القربى، كذلك فإن القبيلة تحاول أن تثبت جدارتها في القتال أمام القبائل والأمصار الأخرى[9]، كما ساهم اختيار القادة الأكفاء، وتوزيع العمل بينهم، وترابطهم، في نجاح الخطة الموضوعة وهزيمة النصارى[10]، وهذا يسدد في طريق النصر، وقد اتبع خالد بن الوليد، والأمويون من قبل هذا الأسلوب في تقسيم القبائل في فتوحاتهم الإسلامية.

---

(1) أبو رميله، علاقات الموحدين بالممالك النصرانية (ص262).

(2) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس (ص224).

(3) النجار، المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي (مج192/2).

(4) السرجاني، قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط (ص591).

(5) الصلابي، دولة الموحدين (ص176).

(6) انظر صورة ساحة المعركة كما يصورها محمد عبد الله عنان بعد زيارته الميدانية لها: دولة الإسلام في الأندلس (ج205/5).

(7) تؤكد الدكتوره ليلى النجار أن حسن تنظيم الجيش الموحدي، ودقة توزيعه كانت من عوامل تحقيق النصر في موقعة الأرك؛ المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي (مج199/1).

(8) أبو خليل، الأرك بقيادة يعقوب المنصور الموحدي (ص55)؛ الصَّلاَّبي، دولة الموحدين (ص176).

(9) يذكر الدكتور محمد عيسى الحريري من هذه النماذج: محيو بن أبي بكر المريني الذي أسند له المنصور قيادة قبيلته بني مرين في المعركة، حيث أبلى هو ورجال قبيلته بلاءً حسناً في المعركة، حتى أثخنته الجراح ومات شهيداً بعد أن عاد إلى بلاده، في صحراء الزاب عام 591هـ؛ تاريخ المغرب الإسلامي والأندلسي في العصر المريني (ص7).

(10) النجار، المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي (مج378/2).

6- التعبئة الإعلامية (التحريض على الجهاد والصبر والثبات):-

كان المنصور في وقعة الأرك يأمر الناس بالاستغفار وتجديد النيات للقتال، وتعمير القلوب بالتقوى والإخلاص[1]، وكان قادته يحرضون الناس على الجهاد والاستعداد والأخذ بالسلاح[2]، فقد قص الرؤية التي رآها ليلة الجمعة لمشايخ الموحدين يبشرهم، حيث رأى ملكاً من السماء السابعة على فرس أبيض بيده راية خضراء سدت الآفاق يبشره بالنصر والظفر له ولعصابته المجاهدين المخلصين، فازداد الناس يقيناً بالنصر[3]، وارتفعت الروح المعنوية للجنود[4].

وعند الصف للقتال خرج القائد جرمون بن رياح أمير العرب يمشي بين صفوف المسلمين ويقوي قلوب المجاهدين يتلو آيات الذكر الحكيم: ﴿ **يا أيها الذين ءامنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون** ﴾[5]، ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم** ﴾[6]، عندها تحرك العدو بعشرة آلاف فارس قد تعاهدوا على الصليب بالقتال حتى الموت امام القساوسة وهم من أعظم جند الأعداء، فنادى الشيخ أبو حفص على المسلمين: "معشر المسلمين اثبتوا في مصافكم، ولا تزالوا من مواضعكم، وأخلصوا لله تعالى نياتكم وأعمالكم، واذكروا الله عز وجل كثيراً في قلوبكم، فإما النصر وإما الشهادة والجنة"، ثم خرج الزعيم عامر يجول في الصفوف ويقول: "عباد الله إنكم حزب الله، فاثبتوا لقتال أعداء الله، فإن حزب الله هم المفلحون، وهم المنصورون وهم الغالبون"، وعند اصطدام حملة الأعداء بالمسلمين، نادى القائد ابن صناديد "اثبتوا معشر المسلمين ثبت الله أقدامكم بالعزمة الصادقة"[7]، وعند اصطدام الموجة الثانية من الحملة العسكرية، قال المنصور لمن حوله في ساقة الجيش الرئيسي الثاني أن جددوا نياتكم وأحضروا قلوبكم، ثم تحرك من الساقة لوحده، ومر على صفوف القبائل، يأمرهم بالهجوم

---

(1) وقد وصفه الدكتور حسين مؤنس بالرجل القوي الإيمان فانتقل إيمانه إلى رجاله وجنده فأصبحت جيوش الموحدين في أيامه قوة ضاربة كبرى؛ المراكشي، وثائق المرابطين والموحدين (ص120).

(2) ابن عذارى، البيان المغرب "قسم الموحدين" (ص219).

(3) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس (ص223-224).

(4) العبادي، صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس (ص190).

(5) [آل عمران: 200].

(6) [محمد: 7].

(7) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس (ص226).

على عدوهم والنفوذ إليه، فألهب ذلك حماسهم[1]، فكان الدور الإعلامي له أثر كبير في تحريض المسلمين على الثبات والجهاد والصبر في ظل صعوبة المعركة وأخطارها وشدتها.

ويفهم مما سبق أن ظاهرة التحريض لها نتائج كبيرة معنوية على المجاهدين مما سينسحب آثارها على نتائج المعركة[2].

7- الخدع العسكرية وتحقيق النصر:-

وقد برزت الخدعة العسكرية في صور مختلفة، وعلى عدة مراحل:

المرحلة الأولى: كان الاشتباك بين أقوى قوة في الجيش الفرنجي والأغزاز أصحاب الشجاعة والبأس، والمتطوعة قليلي الخبرة في الحرب، فثبتوا لكن الروم تمكنوا من اختراقهم، ووصلوا لقلب الجيش الأول، وتمكنوا من قتل الشيخ أبي يحيى، عندها تمكنت المتطوعة وقلب الجيش الموحدي من احتواء هجوم الحملة العسكرية الثالثة للكتيبة القشتالية النخبة، وإيقاعها بالحصار على يد الرماة والأغزاز والعرب وقبيلة هنتاتة والمتطوعة، ومنعها من الفرار، إضافة إلى اقتحام الأندلسيين الجناح الأيمن، والمغاربة البربر الجناح الأيسر، للطرق الوعرة المؤدية إلى محلة الفرنج فوق الربوة، والاشتباك مع قلب الجيش النصراني.

المرحلة الثانية: حيث حشد الروم كل جيوشهم للحرب، عندها دخل المنصور بجيشه الرئيسي الثاني -البعيد عن الأنظار- إلى ساحة المعركة، فدب الرعب في قلوب النصارى، وضعفت همتم، لما علموا أنهم لم يكونوا يقاتلوا سوى طلائع الجيش الموحدي[3]، وقد تمكن المنصور من ضرب الكتيبة القشتالية المحاصرة فتفرقت قوى فرسانها المرسلة، واضطرت للفرار إلى الربوة، ثم تقدم المنصور بكافة الموحدين، ودعمت حشوده جبهة ابن صناديد بقوات الأندلس الجناح الأيمن، وقوات المغرب والبربر الجناح الأيسر - حيث كانوا يقاتلوا قلب مواقع الأذفونش - فاخترق الموحدون بقيادة المنصور قلب الجيش النصراني، مما دفع الروم إلى الفرار وتولية الأدبار، فتمكن الموحدون من فتح حصن الأرك بعد حصاره، وكان الأذفونش ومجموعة من فرسانه قد دخلو الحصن من بابه الأمامي، وهربوا من بابه الخلفي.

---

(1) ابن عذارى، البيان المغرب "قسم الموحدين" (ص219-220).

(2) أبو ندى، الدور الجهادي للعلماء في الأندلس (ص88).

(3) يؤكد شوقي أبو خليل أن المفاجأة في هذه الخطة أفقدت العدو زمام المبادرة، مما ساهم في تحقيق النصر؛ الأرك بقيادة يعقوب المنصور الموحدي (ص54).

وقد كتب للموحدين النجاح في هذه الخدعة العسكرية[1] بعد أن اعتمدوا السرية في عملهم، فقد قال النبي: " اسْتَعِينُوا عَلَى إِنْجَاحِ الْحَوَائِجِ بِالْكِتْمَانِ لَهَا، فَإِنَّ كُلَّ ذِي نِعْمَةٍ مَحْسُودٌ"[2]، ويعقب الدكتور صالح الأشتر على هذا قائلاً أن خطة المنصور للمعركة ظلت سرية، فلم يعرفوا أن الجيش الإسلامي مقسم لقسمين، ولم يعلموا أن قائد الجيش الأول لم يكن المنصور سلطان الموحدين، إلا بعد فوات الأوان[3].

8- معية الله وقدره الكوني وسنته الزمنية:-

حيث قيل أن هذا الفتح كان اتفاقياً بسبب إحراز الروم بعض رايات المسلمين وذهابهم بها قائمة منتصبة وانبعاث حفائظ بعض القبائل لما عاينوا راية إخوانهم مقدمة على العدو، إذ ظنوا أن أصحابهم حملوا على العدو فأوغلوا وهم لا يعلمون الحال[4]، وكيف ما كان فهو فتح مبين ونصر مؤزر[5]، وهذا يؤكد ما ذكرناه سابقاً من فوائد التقسيم القبلي في المعركة وأهميته فيتبين أنه كان من الأسباب المباشرة للنصر، إضافة إلى تسخير الله عز وجل بكرمه لأسباب يرزقها عباده لم تكن في الاحتساب، يكون منها المخرج والفرج، والتمكين والانتصار، إذ يقول الله

---

(1) تؤكد الدكتوره ليلى النجار أن المنصور استفاد من مكائد الأندلسيين وخبرتهم في الحرب، وخدعهم العسكرية؛ المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي (مج1/199).

(2) [الروياني: مسند الروياني، معاذ بن جبل، 427/2: رقم الحديث 1449]؛ [الطبراني: المعجم الأوسط، من اسمه إبراهيم، 55/3: رقم الحديث 2455]؛ [الطبراني: مسند الشاميين، مسند ثور بن يزيد/خالد بن معدان، 228/1: رقم الحديث 408]؛ [الكلاباذي، بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار، ص89] ؛ [ابن المقرىء: المعجم لابن المقرىء، ص95: رقم الحديث 218]؛ [القضاعي: مسند الشهاب، استعينوا على الحوائج بالكتمان لها، 412/1: رقم الحديث 708]؛ [البيهقي: شعب الإيمان، الحث على ترك الغل والحسد، 34/9: رقم الحديث 6228]؛ [قاضي المارِسْتان: أحاديث الشيوخ الثقات (المشيخة الكبرى)، من أحاديث الشيوخ الثقات/أبو شجاع فارس بن الحسين، 1271/3: رقم الحديث 644].

(3) معركة الأرك 591هـ (ص58).

(4) وهذه الحادثة تشابه ما حدث يوم معركة الزاب بين الخرسانيين جيوش العباسيين وجند الشام جيوش بني أمية، حيث أمر مروان بن محمد آخر خلفاء الأمويين بإخراج أموال، وأطمع بها جموع جيشه إن صبروا وقاتلوا، فأصاب بعض الناس من ذلك المال، فأرسل مروان ابنه عبد الله في أصحابه إلى مؤخرة العسكر ليقتل من أخذ من المال ويمنعهم، فمال عبد الله برايته وأصحابه، فقال الناس: الهزيمة، فانهزموا، وانتصر العباسيون، وذلك في جمادي الآخرة من سنة 132هـ؛ انظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك (ج7/435)؛ مسكويه، تجارب الأمم وتعاقب الهمم (ج3/326)؛ الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (ج7/302-303)؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج5/15).

(5) الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص27)؛ الحِميري، صفة جزيرة الأندلس (ص13).

ﷻ:﴿..وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (3)﴾[1]، وإنما يأتي الفرج بعد صبر جميل.

فعندما اصطدمت الحملة العسكرية الثَّالِثَة، وَاندفعت حَتَّى خالطت صُفُوف الْمُسلمين، مخترقة مقدمة الجيش ثم دخلت إلى قلبه بعنف، فاستشهد القائد أبو يحيى بن أبي حفص بعد أن قاتل بشدة وصبر صبراً جميلاً، واستشهد معه جماعة من المسلمين من قبيلة هنتاتة والمتطوعة، وبقي المسلمون صابرين صبراً جميلاً[2]، عندها أتى الفرج بعد الكرب، والمنحة بعد المحنة، واليسر بعد العسر والنصر بعد الصبر، وقد قال رسول الله ﷺ: "وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا"[3]، وصدق **الله إذ يقول: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (5) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (6)﴾**[4]، فقال النبي ﷺ: "لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ"[5]، وقد أكرم الله المجاهدين بعد هذا العسر الذي أصابهم[6] في وقعة الأرك بيسرين:

اليسر الأول: حيث رزقهم الصبر والثبات في أرض المعركة، بالرغم من عنف الصدمة التي تعرض لها قلب الجيش الموحدي، واستشهد قائده العام، مع جموع من قبيلة هنتاتة والمتطوعة، إلَّا أنهم لم يولوا الأدبار، كما فعل الروم عندما هزموا حيث لاذوا بالفرار مع ملكهم، بل مكن الله

---

(1) [الطلاق: 2-3].

(2) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس (ص227-228)؛ السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج190/2).

(3) [ابن سمعون: أمالي ابن سمعون الواعظ، أول المجلس الرابع عشر، 224/1: رقم الحديث 223]؛ [ضياء الدين: الأحاديث المختارة، إذا استعنت فاستعن بالله، 23/10: رقم الحديث 13]؛ [عبد الجبار: المسند الموضوعي الجامع للكتب العشرة، الإيمان بالقدر/تقدير المقادير قبل الخلق، 111/3: رقم الحديث 25].

(4) [الشرح: 5-6].

(5) [الحاكم: المستدرك على الصحيحين، التفسير/سورة الشرح، 575/2: رقم الحديث 3950]؛ [البيهقي: شعب الإيمان، الصبر على المصائب/ما في الأوجاع والأمراض والمصيبات من الكفارات، 361/12: رقم الحديث 9541].

(6) كَتَبَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ وأصحابه إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ، يَذْكُرُونَ لَهُ حُشُود الرُّومِ، وَمَا يَتَخَوَّفُ مِنْهُمْ، ويستمدونه، فَكَتَبَ إِلَيْهِم عُمَرُ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ مَهْمَا يَنْزِلْ بِعَبْدٍ مُؤْمِنٍ مِنْ مُنْزَلِ شِدَّةٍ، يَجْعَلِ اللهُ لَهُ بَعْدَهُ فَرَجاً، وَإِنَّهُ لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ، وَأَنَّ اللهَ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اِصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ]، فأخذ القوم بكتاب عمر وكلامه، فهزموا الأعداء وانتصروا، وغنموا أموالاً؛ انظر: مالك، الموطأ (ج633/3)؛ البيهقي، شعب الإيمان (ج360/12)؛ عبد الجبار، المسند الموضوعي الجامع للكتب العشرة (ج218/9).

المجاهدين – الأغزاز والعرب والمتطوعة والرماة وهنتاتة – من احتواء صدمة الحملة العسكرية الثالثة، ثم الإحاطة بالكتيبة القشتالية، ومحاصرتها، وإعمال السيف والقتل فيها، ومنعها من الفرار.

اليسر الثاني: لما دخلت قوات الجيش الرئيسي الثاني بقيادة المنصور الموحدي أرض المعركة، وعلم الأذفونش أنه لم يكن يقاتل سوى طلائع جيشه، قذف الله الرعب في قلوب الروم، فهرب الفرسان مع ملكهم، ومنح الله الموحدين أكتافهم ورقابهم، يقتلون ويأسرون، وفتحوا حصن الأرك، ثم قاموا بفتوحات كبيرة وواسعة في الأندلس.

9- متابعة القتال واستئصال العدو:-

يقول الله عز وجل: ﴿ **فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ** ﴾[1]، وقد فهم المنصور ذلك جيداً وعلم أن الروم من الممكن أن يعيدوا تجميع صفوفهم، ويكروا من جديد، قَالَ الْمُسْتَوْرِدُ الْقُرَشِيُّ، عِنْدَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ» فَقَالَ لَهُ عَمْرٌو: أَبْصِرْ مَا تَقُولُ، قَالَ: أَقُولُ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: لَئِنْ قُلْتَ ذَلِكَ، إِنَّ فِيهِمْ لَخِصَالًا أَرْبَعًا: إِنَّهُمْ لَأَحْلَمُ النَّاسِ عِنْدَ فِتْنَةٍ، وَأَسْرَعُهُمْ إِفَاقَةً بَعْدَ مُصِيبَةٍ، وَأَوْشَكُهُمْ كَرَّةً بَعْدَ فَرَّةٍ وَخَيْرُهُمْ لِمِسْكِينٍ وَيَتِيمٍ وَضَعِيفٍ، وَخَامِسَةٌ حَسَنَةٌ جَمِيلَةٌ: وَأَمْنَعُهُمْ مِنْ ظُلْمِ الْمُلُوكِ[2].

فعندما دارت الدائرة على الروم وتمكن الموحدون من الانتصار عليهم وهزيمتهم وقتلهم[3]، وأخذ الموحدون في استئصالهم[4] ولكن دخول الليل منعهم من الاستمرار في ذلك[5]، ثم توجهت فلول الْفِرِنْجُ إلى قَلْعَةَ رَبَاحٍ[6]، ثم أخلاها .....

---

(1) [محمد: 4].

(2) [مسلم: المسند الصحيح، الفتن وأشراط الساعة/تقوم الساعة والروم أكثر الناس، 2222/4: رقم الحديث 2898].

(3) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص206).

(4) انهزم العدو وكان السيف يعمل فيهم من ضحى يوم الخميس تاسع شعبان إلى الزوال وسلب عسكر الروم؛ الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص27).

(5) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (ج8/7).

(6) مدينة تقع بالأندلس بين قرطبة وطليطلة، وهي مدينة حسنة ولها حصن حصين على نهر آنه، وهي مدينة محدثة في أيام بني أميَّة، وبقرب قلعة رباح ماء حامض إذا مخض في سقاء حلا؛ الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص469).

الأذفونش[1] خوفاً من الموحدين، فَمَلَكَهَا المنصور وَجَعَلَ فِيهَا وَالِيًا وَجُنْدًا يَحْفَظُونَهَا[2]، وتمكن من القبض على خَمْسَة آلَاف من زعمائهم فافتدى بهم أسارى المسلمين[3] وبهذا انتصر المسلمون، حيث قاموا بتجهيز أنفسهم مادياً[4]، ومعنوياً[5] وحققوا عوامل النصر[6] اللازمة في المعارك.

---

(1) أفلت أذفونش واجتاز على طليطلة لا يعرج على شيء في 20 فارساً؛ الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص27).

(2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج34/10).

(3) السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (ج191/2)؛ الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص27).

(4) ويجمل المؤرخ محمد عبد الله عنان الأسباب المادية في انتصار المسلمين في وقعة الأرك أهمها تنظيم الجيش، وتوفير التموين اللازم له، وتقسيم حشوده، وتنظيم قياداته، وتعيين قائد عام يشرف على القيادات، واعتماد الخليفة على مشورة قادته، ومراعاة الحزم والسرعة في تحرك الجيش، وإعداده لضرب العدو على الفور، فهذا ما حقق له النصر وجنبه المفاجئات السيئة؛ دولة الإسلام في الأندلس (ج214/5).

(5) ويجمل الدكتور الشيخ علي محمد الصلابي الأسباب المعنوية في انتصار المسلمين في وقعة الأرك:

1 – الاهتمام بتصحيح العقيدة بالرجوع إلى الفهم الصحيح والتصور السليم ، والاهتمام بالقرآن والسنة، والاقتراب من منهج أهل السنة والجماعة.

2 – محاربة المنكر ومنع الظلم، والأمر بالمعروف ونشر العدل باشراف السلطان، ولو على نفسه وأهله وأقاربه.

3 – احترام المنصور للعلماء والقضاة والفقهاء، وفتح باب الاجتهاد ومحاربة الجمود والتقليد.

4 – الحزم والقيادة الرشيدة الموحدة المتواضعة، والإهتمام بالشورى، وجودة التخطيط، والابتعاد عن التسلط والإعجاب بالرأي وتهميش الآخرين.

5 – الاهتمام بمعرفة نفسية الجنود المشاركة، واذكاء روح الجهاد فيها، وبث روح الأمل والتفاؤل بالنصر عندها.

6 – اهتمام دولة الموحدين بالمرضى والضعفاء والأيتام والفقراء، بإشراف السلطان بنفسه؛ انظر: دولة الموحدين (ص184–187).

(6) يضع الدكتور صالح الأشتر النقاط على الحروف في ذكره لعوامل النصر في وقعة الأرك، ويمكن إجمالها في النقاط التالية:–

1– الوحدة الوطنية الوثيقة التي جمعت أقطار الشمال أفريقي تحت راية الموحدين، مكنت الدولة من حشد الجيوش الجرارة لسحق الأعداء.

2– اهتمام المنصور بتقديم المحاربين الأندلسيين واستشارتهم، والحرص على الاستفادة من خبرتهم، مما كان له أكبر الأثر في الانتصار بالمعركة.

3– التخطيط للمعركة بموهبة حربية فذة، بإرشاداتِ بن صناديد، حيث اعتمدت طريقة المواجهة المضادة، والمفاجئة التي تفقد العدو زمام المبادرة.

=

ثالثاً: الاعتبار من الأوضاع بعد المعركة:-

رجع المنصور إلى اشبيلية ظافراً ثم غزا بلاد الجوف[1] فحاصر ترجاله[2] وفتح بلنسية عنوة وقبض على قائدها مع 150 من أعيانها، ثم انتقل إلى طلبيرة[3] ومكادة[4] فدمرهما[5] وَأَمَّا أَلْأذفونْشُ فَإِنَّهُ لَمَّا انْهَزَمَ نَكَّسَ صَلِيبَهُ، فَجَمَعَ جُمُوعًا عَظِيمَةً، وَبَلَغَ الْخَبَرُ بِذَلِكَ إِلَى يَعْقُوبَ، فَأَرْسَلَ إِلَى بِلَادِ الْمَغْرِبِ مُرَّاكِشَ وَغَيْرِهَا[6] يَسْتَنْفِرُ النَّاسَ مِنْ غَيْرِ إِكْرَاهٍ، فَأَتَاهُ مِنَ الْمُتَطَوِّعَةِ وَالْمُرْتَزِقِينَ جَمْعٌ عَظِيمٌ، فَالْتَقَوْا فِي 592هـ، فَانْهَزَمَ الْفِرِنْجُ هَزِيمَةً قَبِيحَةً، وَغَنِمَ الْمُسْلِمُونَ مَا مَعَهُمْ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالسِّلَاحِ وَالدَّوَابِّ وَغَيْرِهَا[7]، وَتَوَجَّهَ إِلَى مَدِينَةِ طُلَيْطِلَةَ فَحَاصَرَهَا، وَقَاتَلَهَا قِتَالًا شَدِيدًا، وَقَطَعَ أَشْجَارَهَا، وَشَنَّ الْغَارَةَ عَلَى مَا حَوْلَهَا مِنَ الْبِلَادِ، وَفَتَحَ فِيهَا عِدَّةَ حُصُونٍ[8]، فَقَتَلَ رِجَالَهَا، وَسَبَى حَرِيمَهَا، وَخَرَّبَ دُورَهَا، وَهَدَمَ أَسْوَارَهَا، فَضَعُفَتِ النَّصْرَانِيَّةُ حِينَئِذٍ، وَعَظُمُ أَمْرُ الْإِسْلَامِ

=

4- الإمكانات القيادية والإدارية والسياسية، في شخصية المنصور، فلطبعه الإنساني أحبه شعبه، وعبقري أحسن تدبير وسياسة بلاده بعزم وإقدام.

5- تمزق ممالك النصارى الإسبانية وتفرقها، ومعاداة بعضها بعضاً، حيث لم تتوحد مملكتي ليون ونبرة مع شقيقتهما قشتالة في حرب الموحدين؛ انظر: معركة الأرك 591هـ (ص88-103).

(1) الجوف: أرض تقع في غربيّ الأندلس مشرفة على البحر المحيط؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج360/1).

(2) ترجالة، مدينة حصينة قديمة تقع في الأندلس، باردة الهواء، احتلها الروم سنة 630هـ؛ مجهول، حدود العالم من المشرق الى المغرب (ص182)؛ الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص133)؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس (ص63).

(3) طلبيرة: مدينة كبيرة واسعة حصينة شريفة حسنة قديمة، تقع في الإقليم الثالث من بلاد الأندلس في أقصى ثغور المسلمين على نهر تاجه مبنية على جبل عظيم، وهي من أعمال طليطلة، بها ماء كثير، ومزارع زاكية، وأعمال واسعة؛ البكري، المسالك والممالك (ج908/2)؛ الحموي، معجم البلدان (ج37/4-38)؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد (ص545)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج890/2)؛ الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص395)؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس (ص127-128).

(4) مَكّادَةُ: مدينة تقع بالأندلس من نواحي طليطلة، ينسب لها بعض الزهاد والعلماء؛ الحموي، معجم البلدان (ج179/5)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج1301/3).

(5) الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص27).

(6) كتب أبو عبد الله بن عياش إلى طلبة فاس سنة 592هـ، يخبرهم بغزوته على الروم في ثغر الأندلس الشمالي؛ انظر: بروفنصال، مجموع رسائل موحدية (ص228-241).

(7) ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج135/10).

(8) فتح حصن مجريط ؛ الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص27).

بِالْأَنْدَلُسِ[1]، وَعَادَ يَعْقُوبُ إِلَى إِشْبِيلِيَّةَ فَأَقَامَ بِهَا[2]، ويقول الدكتور صالح الأشتر أن المنصور أراد أن يوجه ضربات مميتة إلى جملة القوى النصرانية، التي تهدد الوجود الإسلامي في الأندلس، وتباغت المدن والحصون الإسلامية بغاراتها، وتفعل بالسكان المسلمين الأفاعيل، لتبث الرعب في نفوسهم، حتى تضطرهم إلى مغادرة أراضيهم، وتسليم قلاعهم وقراهم، في سياسة مرسومة لتشريد المسلمين الأندلسيين من بلادهم، بعد 5 قرون من إقامتهم فيها، وإعمارهم لأرضها، وجعلها حدائق وجنات، وبهذا يتم تفسير تلك الحملات الضارية التي قادها المنصور، وما تكللها من حرق وقتل ودمار وهدم، مما دفع النصارى لعقد الهدنة، وإقامة بعضهم الأحلاف مع المنصور[3]، وهكذا ثبت نجاح الاستمرار في استئصال الروم، وتفاوض المنصور مع وزراء وقادة حربه على استئصال قوات الأذفونش بعد وقعة الأرك، إلا أن الروم طلبوا الأمان فوافاهم لذلك[4]، وهادن الأذفونش إلى 01 سنين[5].

ويرى المؤرخ محمد عنان أن السياسة العسكرية للموحدين آثرت القناعة بالمظاهرات العسكرية الجوفاء[6] التي يستطيع العدو القديم أن يصبر عليها ثم يعود لعدوانه، ولو أراد المنصور أن يستولي على طليطلة حصن الإسلام القديم لفعل[7]، لكن هذا ما حدث[8] للأسف.

---

(1) حيث يذكر أن المنصور الموحدي وصل لضفاف دويرة الذي لم يقترب من ضفافه منذ مدة طويلة أي جيش إسلامي؛ أبو خليل، الأرك بقيادة يعقوب المنصور الموحدي (ص65)؛ أشباخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين (ج339/3).

(2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج135/10).

(3) معركة الأرك 591هـ (ص83-85).

(4) ابن عذارى، البيان المغرب "قسم الموحدين" (ص223).

(5) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص207).

(6) يقول الدكتور أحمد مختار العبادي أن عمليات المنصور مرسومة في شكل سياسة التقرّي (الطواف بالأرض والإغارة عليها)، حيث لم يكن هدفها احتلال الأرض، بل ضرب قواعد العدو وتخريب موارده الاقتصادية بغية إضعافه؛ صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس (ص193).

(7) يؤكد الدكتور عصام الدين عبد الرؤف الفقي على ذلك، فيذكر أن المنصور لم يجن ثمرة نصره، فقد كان باستطاعته تحرير طليطلة وغيرها من البلاد، لكنه كف عن حرب النصارى، وجنح إلى السلم، واكتفي بتنظيم إدارة الأندلس، فأعطى فرصة للأذفونش الثامن في إعادة تنظيم قواته؛ تاريخ المغرب والأندلس (ص274).

(8) دولة الإسلام في الأندلس (ج220/5).

وهذا حسب رأي الباحث من سقطات المنصور التي كان لها ما بعدها حيث قام هذا الأذفونش نفسه ملك قشتالة بهزيمة الموحدين في وقعة العقاب التي قوضت عرى دولة الإسلام في الأندلس.

لكن الدكتور راغب السرجاني يرى أن الموحدين لما حاصروا طليطلة لم يستطيعوا فتحها، لأنها من أحصن المدن الأندلسية[1].

كما أنَّ الذهبي يجد عذراً للمنصور في ذلك الأمر وهو يستعرض قصة حصاره للحصن وما كان موقفه من نساء الأذفونش[2]، فيذكر في السياق: أنه "لولا ابن غانية الملثم وثورته ببلاد المغرب[3] لافتتح يعقوب عدة مدائن"[4].

ويؤكد ابن الأثير على ذلك فيقول أن المنصور كَانَ عَازِمًا عَلَى الْجِهَادِ حتى يقضي على ممالك النصارى، إلا أن ثورة عَلِيّ بْنِ إِسْحَاقَ الْمَيُورْقِيّ العارمة بِإِفْرِيقِيَّةَ، أنهت عَزْمَ المنصور، وَاضطرته لمصَالَحَة نصارى الإسبان[5]، لمدة 10 سنين[6]، كما أن المؤرخ محمود مقديش[7] والدكتور حسن إبراهيم حسن يمضيان على هذا الرأي أيضاً[8]، إذ أن المنصور لم يتأهب للجهاد هذا التأهب العظيم، ولم يستعد لملاقاة خصمه المتحدي هذا الاستعداد الكبير، إلا وفي نيته أن يسحق ممالك النصارى في الأندلس، وعلى رأسها قشتالة[9]، حيث أنه لم يكن في البداية يريد أن يعطي النصارى فرصة للراحة، بل توجه لغزوه في عقر داره طليطلة[10].

ويقول أوكالاهان أن المنصور الموحدي باستجابته لمعاهدة الصلح، قدم منحة ثمينة لملك قشتالة، في حمايته من مخاطر ممالك النصارى الأخرى[11]، بينما يفسر الدكتور المؤرخ راغب السرجاني ذلك بقوله أن تلك المعاهدة كانت فرصة للمنصور، أراد أن يرتب فيها بلاد

---

(1) قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط (ص597).

(2) يعتبر الدكتور أحمد بن يوسف الدعيج أن ما قام به المنصور يعد تخاذلاً عن الصليبيين في طليطلة، وغير مقبول، وتصرف مستنكر؛ استمع: التاريخ السياسي للمغرب والأندلس، الشريط 8/رقم الشريط 12408، الحلقة 13 (برنامج مسجل).

(3) يؤكد الدكتور عصام سيسالم على أن المنصور الموحدي في ظل مواجهته للعدو النصراني في وقعة الأرك سنة 591هـ، كان ثوار يحيى بن غانية قد احتلوا مدينة قابس؛ التاريخ الإسلامي لجزر البليار (ص386-387).

(4) العبر في خبر من غبر (ج105/3)؛ الأشتر، معركة الأرك 591هـ (ص86-87).

(5) ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج135/10).

(6) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص207).

(7) انظر: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار (ج470/1-471).

(8) انظر: تاريخ الإسلام السياسي والديني (ج215/4).

(9) الأشتر، معركة الأرك 591هـ (ص44).

(10) النجار، المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي (مج203/1).

(11) أبو رميله، علاقات الموحدين بالممالك النصرانية (ص273-274).

الموحدين من جديد[1]، إضافة إلى حاجة الموحدين للإمدادات والتموين لتحقيق تغيير أساسي في ميزان القوى بين إسبانيا النصرانية والأندلس المسلمة [2]، فلو استولى على العاصمة طليطلة، وتعرضت خطوط تموينه لهجوم معاكس من عدوه النصراني، فلربما أي خطأ مهما بدى تافهاً، قد يقوض نتائج الانتصار في موقعة الأرك، إضافة إلى إدراك المنصور أن التقاء النصارى في معارك مكشوفة، أفضل من مواجهتهم في قلاعهم وحصونهم، لأن ذلك قد ينهك جيوش الموحدين، ويعرضها للمفاجئات الخطيرة [3].

ويمكن التوصل في النهاية أنه كانت لدى المنصور العزيمة لفتح طليطلة، والقيام على هذا الأمر حتى يصل غايته، حتى لو كانت من أحصن المدن، فاستعدادات المنصور الهائلة تؤكد على ذلك، ولكن ظروف الثورة لبني غانية في المغرب، إضافة إلى حصانة طليطلة، وحفاظاً على خطوط تموين جيشه، وإلحاح نساء الأذفونش على المنصور بتركها، ومعرفة المنصور أن فتح طليطلة يحتاج وقتاً لمناعتها، في ظل التطورات الخطرة والمتسارعة في المغرب، وحاجته للمؤن، اضطرته للعودة للمغرب، وترك الأندلس، وربما لا نستطيع لوم المنصور، فحماية الجبهة الداخلية من العدو الداخلي أهم وأفضل بكثير من العدو الخارجي، فالذي يطعن في الظهر ليس كمن يواجهك من الأمام.

لكن يمكن القول أنه ترتب على موقعة الأرك نتائج[4] محددة[5]، حيث تم القضاء على قوة مملكة قشتالة، فاحتاجت إلى سنوات لتنهض وتستعيد مكانتها، لكن النتائج لا تتناسب مع

---

(1) قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط (ص597-598).

(2) وات، في تاريخ إسبانيا الإسلامية (ص119).

(3) النجار، المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي (مج209/1).

(4) ويمكن إجمال ما ذكره الدكتور علي الصلابي في نتائج معركة الأرك، بما يلي:

1 – ارتفعت الروح المعنوية لمسلمي الأندلس، وسقطت هيبة ملوك النصارى أمام المسلمين عامة.

2 – عمت الأفراح أرجاء العالم الإسلامي كله، وارتفع نجم المنصور والموحدين في العالم، ودخلت معركة الأرك سجل التاريخ الإسلامي المجيد.

3 – انصاعت بعض قبائل المغرب التي تفكر في الثورة على الموحدين، الأمر الذي جعل الموحدين يفكرون بتوحيد العالم الإسلامي تحت سلطانهم.

4 – الهزيمة النفسية لنصارى الأسبان حطمت آمالهم في الإستيلاء على الأندلس، ودفعت ملوكهم إلى عقد المعاهدات المشروطة من الموحدين.

5 – تفجر أحقاد القساوسة والرهبان، فعملوا على توحيد ممالك النصارى، ودعوا إلى نبذ الصراع الداخلي؛ انظر: دولة الموحدين (ص183-184).

(5) ويمكن إجمال ما ذكره الدكتور راغب السرجاني في نتائج وقعة الأرك، بما يلي:-

=

الانتصار الكبير الذي حققه الموحدون[1]، فقد استغل الانتصار بصورة جزئية[2]، خاصة أن المصادر تؤكد ضعف النصرانية، وعظمة أمر الإسلام[3]، وقد أورد الدكتور هشام أبو رميله أخباراً عن مصادر أجنبية يذكر فيها أن موقعة الأرك أحدثت موجة من الفزع والرعب في الممالك النصرانية الأخرى أرغونة والبرتغال وليون.. فقد كانت تتوقع غزو الموحدين لبلادها، حتى أن مملكة نبرة استعدت لدفع الجزية للموحدين[4]، خصوصاً وأن المصادر الأجنبية تنقل إلينا أخباراً بأن الأذفونش حمَّل حلفائه من الممالك النصرانية مسؤولية الهزيمة في موقعة الأرك لتقاعسهم عن نجدته، وعدم اشتراكهم إلى جانبه في القتال[5]، وانتهاز مملكتي ليون ونبرة الفرصة بغزو مملكة قشتالة بعد هزيمتها لاسترداد المدن والحصون[6]، حتى أن ملك ليون الأذفونش التاسع طلب المساعدة من الموحدين في غزو مملكة قشتالة فاستجابوا لذلك[7]، لكن لم يُحْسِن الموحدون الإفادة

=

أولاً: الهزيمة الساحقة لقوات النصارى، حيث أعداد القتلى والأسرى الكبيرين.

ثانياً: النصر المادي، مما كسبه المسلمون وغنموه من سلاح وأموال وأنعام وأرزاق بشكل كبير.

ثالثاً: النصر المعنوي، حيث ارتفعت معنويات المسلمين عامة والأندلسيين خاصة، وارتفع نجم الموحدين، وهانت قوة النصارى.

رابعاً: الصراعات بين ممالك النصارى الإسبان في الأندلس، ووقوعهم تحت الهزيمة النفسية، حتى أخذوا يطلبون العهد والمصالحة مع المنصور.

خامساً: معاهدة جديدة بين قشتالة والموحدين؛ انظر: قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط (ص596-597).

(1) أبو رميله، علاقات الموحدين بالممالك النصرانية (ص268).

(2) وات، في تاريخ إسبانيا الإسلامية (ص119).

(3) حتامله، الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة (ص959).

(4) علاقات الموحدين بالممالك النصرانية (ص268) = نقلاً عن: Scott، A history of the moorish empire in Europe [p. 312].

(5) أبو رميله، علاقات الموحدين بالممالك النصرانية (ص268) = نقلاً عن: جيروم، أزهار البساتين (ص26)؛ Painter، A history of the middle ages [p. 195].

(6) أبو رميله، علاقات الموحدين بالممالك النصرانية (ص268) = نقلاً عن:

O،callaghan، A history of medieval Spain [p. 244-245] ؛

Altamira، A history of Spain from the beginnings to the present day [p. 167،171].

(7) أبو رميله، علاقات الموحدين بالممالك النصرانية (ص269) = نقلاً عن:

O،callaghan، A history of medieval Spain [p. 244]؛

Altamira، A history of Spain from the beginnings to the present day [p. 167].

من نصرهم الكبير لفرض سيطرتهم على الممالك النصرانية، ولا حتى على مملكة قشتالة نفسها[1]، وقد كان لهذه الأفعال كما يرى الباحث ردات فعل خطيرة وهائلة.

فقد استغل الأساقفة الهدنة التي عقدها المنصور مع نصارى الإسبان في تسوية الخلافات بين الزعماء السياسيين النصارى[2]، والدعوة لحرب صليبية، حيث جمعوا إمدادات عظيمة[3]، وقد كان البابا سلستين الثالث من أكبر المحرضين للممالك النصرانية على تسوية خلافاتهم[4]، وغزو المسلمين[5]، كما أخذ الأذفونش الثامن بعد هزيمة الأرك بإذكاء الروح الصليبية عند النصارى في داخل إسبانيا وخارجها[6]، برزت آثار صور أخطار هذه الدعوة بعد هزيمة الموحدين في وقعة العقاب[7] التي نسخت انتصار معركة الأرك[8]، والتي شكلت أخطر...

---

(1) أبو رميله، علاقات الموحدين بالممالك النصرانية (ص268).

(2) من أبرز صور التسوية السياسية بين ممالك النصارى، زواج برنجيلا ابنة الأذفونش الثامن ملك قشتالة من سانشو الأول ملك ليون سنة 593هـ، وقد ترتب على هذا الزواج عقد معاهدة بين المملكتين، اتفقا فيها على قتال المسلمين، وغزو الأندلس، والاستيلاء على البلاد، وكذلك وفاة الأذفونش الثاني ملك أرغونة سنة 592هـ، واعتلاء ابنه بدرو الثاني العرش، وقد قام بدرو الثاني بعقد معاهدة تحالف ودفاع مشترك مع الأذفونش الثامن ملك قشتالة؛ أبو رميله، علاقات الموحدين بالممالك النصرانية (ص312،272) = نقلاً عن:

؛O،callaghan، A history of medieval Spain [p. 244]

Altamira، A history of Spain from the beginnings to the present day [p. 167].

(3) وات، في تاريخ إسبانيا الإسلامية (ص119).

(4) ومن أشكال التدخلات البابوية أن البابا أصدر عقوبة النفي الكنسي بحق ملك ليون، كما ناشد ملك البرتغال بقتاله، وذلك بسبب تعاون ملك ليون بعد غزوة الأرك مع الموحدين ضد مملكة قشتالة، ثم وعد البابا ملك ليون بإلغاء قرار النفي الكنسي بشرط أن يتوقف عن غزو مملكة قشتالة، وأن يحول السلاح ضد المسلمين؛ أبو رميله، علاقات الموحدين بالممالك النصرانية (ص312) = نقلاً عن:

؛O،callaghan، A history of medieval Spain [p. 244]

Altamira، A history of Spain from the beginnings to the present day [p. 167].

(5) أبو رميله، علاقات الموحدين بالممالك النصرانية (ص272) = نقلاً عن: O.،callaghan، A history of medieval Spain [p. 244]

(6) حتامله، الاعتداءات الإفرنجية (ص20).

(7) يقول الأستاذ محمد حسن قجة أن هزيمة العقاب هي أثقل هزيمة حلت بالمسلمين في الأندلس بل لعلها أثقل هزائم التاريخ الإسلامي، حيث تساقطت مدن الأندلس بعدها الواحدة تلو الأخرى، وبدأ حجم الوجود الإسلامي يتقلص بها شيئاً فشيئاً؛ محطات أندلسية (ص221).

(8) الدعيج: التاريخ السياسي للمغرب والأندلس، الشريط 9/رقم الشريط 12409، الحلقة 13 (برنامج مسجل).

منعطف [1] على بقاء دولة الإسلام في الأندلس.

وتصل الدكتوره ليلى النجار إلى حل مثالي، فتقول أنه كان على المنصور في حالة كهذه، وقد ترك حصار طليطلة، أن لا يعقد هدنة مع النصارى، لأسباب:

1- حتى لا يعطي فرصة لمملكة قشتالة، بحل مشاكلها، وحشد قواتها، لتعود للإنتقام.

2- جعل مملكة قشتالة في حالة ذعر ورعب وترقب لقدوم جيوش الموحدين.

3- إن استمرار حشد قوات كبيرة من الأندلسيين تكون في حالة حرب مستمرة مع النصارى، كان سيكون عاملاً هاماً في الحفاظ على الوجود الإسلامي في الأندلس.

فتلك الهدنة أدت إلى تكتل النصارى واتحادهم، وتوجيه ضربة حاسمة للموحدين في موقعة العقاب، والتي أصابت الوجود الإسلامي في الأندلس إصابة عظيمة، فكان خطأً كبيراً دفع الموحدون ثمنه غالياً، فقد تزعزع على إثره سلطانهم في بلادهم[2].

وقد استدرك المنصور خطأه قبل وفاته حيث صرح بندمه على إطلاق أسارى وقعة الأرك، لأنهم سيطلبون بثأرهم [3]، فحاول أن ينبه الموحدين بأهمية الأندلس كونها يتيمة منقطعة البلاد، هي وأهلها الأيتام، وحملهم أمانة حفظها وشحن ثغورها وحمايتها[4]، وقد أصابت شكوكه محلها[5]، وبهذا يخلص الدكتور محمد زكريا عناني في الحديث عن يعقوب المنصور الموحدي بأنه كان آخر المنافحين العظام عن الإسلام في الأندلس التي لم تشهد من بعده واحداً توفر له مثل ما توفر للمنصور من الجَلَدْ والدهاء العسكري والسياسي وقوة التأثير والورع[6]، فقد استطاع إخضاع معظم بلاد الأندلس تحت راية الموحدين[7]، وتشير الدكتوره ليلى النجار أنه لو قدر

---

(1) وقد ذهب أيضاً إلى هذا الرأي الدكتور حسين مؤنس حيث أكد أن المنصور كان قادراً على الاستيلاء على طليطلة، لكن إحجامه سبب ضياع ثمرات انتصار الأرك العظيم، بل أتاح للأذفونش الثامن استجماع قواه ويأخذ بثأره في أيام محمد الناصر بن المنصور يعقوب، ولو دخل المنصور طليطلة كما دخل صلاح الدين بيت المقدس لتغير وجه تاريخ المسلمين في الأندلس جملة؛ المراكشي، وثائق المرابطين والموحدين (ص124-125).

(2) المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي (مج211/1).

(3) المكناسي، جذوة الاقتباس (ص556)؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس (ص230)؛ السَّمْلالي، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات (ج266/10).

(4) ابن الخطيب، الحلل الموشية (ص160).

(5) حركات، المغرب عبر التاريخ (ج280/1).

(6) شعر ابن مجبر الأندلسي (ص19).

(7) العسيري، موجز التاريخ الإسلامي (ص252).

للمنصور العيش زمناً أطول مما عاش، مع مواصلته السير على نفس النهج والسياسة في علاقته مع النصارى، لاستطاع إنهاء وجودهم في اسبانيا خلال وقت قصير، ولو أحسن خليفته الناصر السير على نفس المنهاج والطريق لم تقم للنصارى قائمة في تلك البلاد[1].

ويشير الدكتور محمد زكريا عناني إلى أن موقعة الأرك، كانت آخر الانتصارات الكبرى في سجل الأندلس الإسلامية[2]، حيث لم يبق لها أي أثر، بعد تحالف ممالك النصارى، وإنزال الهزيمة بالموحدين في وقعة العقاب[3]، سنة 609هـ[4]، والتي لم تعرف الاندلس الإسلامية بعد ذلك إلا سلسلة متوالية من الخذلان والضياع والهزائم، إلى أن انتهى المطاف بسقوط آخر معاقل الإسلام في الأندلس غرناطة، بعد تسليمها لملكي الفرنجة فرناندو وإيزابيلا سنة 897هـ، وانطوت بذلك آخر رايات الإسلام في شبه الجزيرة الأيبيرية (الأندلس)[5].

وبهذا يصل الشيخ الداعية علي الصلابي إلى خلاصة محورية مهمة فيقول إننا أمام درس عظيم في حياتنا المعاصرة، إذا أردنا استرداد الأندلس فعلياً، فإن هذا الأمر العظيم والهدف الجليل يسبقه عمل جاد ومتواصل من أجل توحيد بلاد المغرب على أصول منهج أهل السنة والجماعة، وبعدها تبدأ حركة الدعوة والجهاد المقدس نحو أراضينا المفقودة وعزنا المنشود[6]، خصوصاً وأن المشتهر بين أهل المغرب عن كتب الحدثان أنّه لا بدّ للمسلمين من الكرّة على النّصرانيّة وافتتاح ما وراء البحر من بلاد الإفرنجة وأنّ ذلك يكون في الأساطيل والله وليّ المؤمنين وهو حسبنا ونعم الوكيل[7].

---

(1) النجار، المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي (مج1/202).

(2) شعر ابن مجبر الأندلسي (ص20).

(3) كولان، الأندلس (ص137).

(4) العثماني، الروض الهتون (ص12).

(5) شعر ابن مجبر الأندلسي (ص20–21)؛ الذنون، آفاق غرناطة (ص11).

(6) دولة الموحدين (ص170).

(7) ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر (مج1/317).

الخاتمة:

بعد البحث الدقيق، والتأمل العميق، والدراسة المتأنية في سيرة يعقوب المنصور الموحدي، وفي أسباب النصر والتمكين عنده، فقد توصل الباحث إلى نتائج كثيرة مهمة وخطيرة، وإلى بعض التوصيات التي تفيد المسلمين وقادتهم أوجز أهمها **فيما يلي:**-

أولاً: النتائج:

- إن الأحوال والأعمال الصالحة للمنصور، كانا لهما أكبر الأثر في تكوين شخصية الرجل المؤمن الذي ضلع بهمة التغيير والإصلاح، فلقب بنجم بني عبد المؤمن وجوهرتهم.
- تمكن المنصور من تحقيق النجاح الكبير في عملية التغيير والإصلاح، بالرغم من الفتن الداخلية للخارجين عن سلطان دولته، والحروب الخارجية مع الصليبيين.
- كان للمنهجية الإسلامية التي اتبعها المنصور في نظام حكمه من بث الرقابة والمحاسبة والمتابعة وتحقيق العدل العام، أكبر الأثر في ازدهار دولته، وتحقيقها للريادة والعظمة.
- تبين بأن المنصور من أهل السنة والجماعة، بريء من عقيدة العصمة والمهدوية، بدليل برنامجه الذي قام على تجديد الحركة الدينية، من خلال إحياء تعاليم الإسلام الصحيحة، والقضاء على البدع والضلالة.
- كان المنصور صاحب رسالة حضارية راقية، فهم الإسلام بشموليته، فبتنظيمه الإداري، وحسن تدبيره السياسي، وتأسيسه البنيان الحضاري، جعل من دولته العصر الذهبي للموحدين.
- لقد ساند المنصور كثيراً إخوانه المسلمين الغرباء، وقد تكون الظروف القاسية ، وتطور الأحداث المتسارع في حوض البحر المتوسط هي المبررات الحقيقية التي حكمت العلاقة بين صلاح الدين والمنصور الموحدي، ونظر بعض المؤرخين إليها بغرابة واستهجان.
- أن فتنة ابن غانية الداخلية، وحروب قشتالة الخارجية، هما من صقلا المنصور ومكناه من تحقيق النجاح الكبير في جهاد دولته، في غزوة الأرك.
- اعتمد المنصور على المنهجية الحربية الإسلامية في العقيدة القتالية للموحدين، هو ما مكنه من تحقيق الانتصارات في أكثر سجل معاركه، والذي بلغ ذروته في معركة الأرك.
- عدم تمكن الموحدين من فتح طليطلة، كان خطر كبير، دق المنصور ناقوسه عند وفاته، ليحذر الموحدين ويوصيهم بالأندلس وأهلها، والتي اجتاحها الاحتلال بعد وقعة العقاب.
- تعد دولة الموحدين من الدول الإسلامية العظيمة التي حكمت بلاد المغرب، ونهضت بالإسلام والمسلمين نحو العز والتمكين، وبسقوطها دخلت الأندلس في مراحل السقوط الحقيقي، وتبعتها معظم المدن الأندلسية في ذلك.

ثانياً: التوصيات:

- يتوجب على القيادات الجادة الباحثة عن الإصلاح أن لا تتذرع بالواقع وظروفه أو الحروب، فهذه الفترة كانت مليئة بالصراعات الخارجية، والفتن الداخلية وغيرها من الصعوبات إلا أن المنصور تمكن من تثبيت الأمن وتوطيد اركان دولته، وبعث منهج الإسلام الصحيح.
- نحن بحاجة إلى قادة أكفاء يقودون المجتمع إلى إصلاح ديني واسع النطاق بإزالة البدع والمنكرات، وإقامة شرع الله، من خلال تطبيق هذه النماذج الحية واقعاً على حياتهم.
- يجب تفعيل جهاز الرقابة العامة الذي يخدم مصالح الأمة، ويقضي على الفساد.
- اختيار البطانة الصالحة الكفؤة التي تقدر عملية التغيير والإصلاح في رؤية واضحة، وليست بطانة متكسبة تسعى لتحقيق مصالحها ولو على حساب أمتها ووطنها، وفق فقه المحاسبة.
- نحن بحاجة إلى دراسات خاصة تركز على طبقات المصلحين والمجددين في العالم الإسلامي عبر عصوره المختلفة، ممن تركوا بصمات واضحة، واتخذوا مناهج وطرق حياتية، مكنتهم من بلوغ أهدافهم الكبيرة، وذلك كي يكونوا قدوة للأجيال القادمة، أمثال:

محمد بن علي بن عبد الله بن العباس.

عبد الله بن ياسين الجزولي.

يوسف بن تاشفين.

سيف الدين الباخرزي.

أبو المعالي ناصر الدين بركة خان بن جوجي بن جنكيس خان.

محمد بن عثمان فودى الفولاني.

محمد بن إدريس السنوسي.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**

أولاً- المراجع العربية:

ابن الآبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي. (1415هـ). *التكملة لكتاب الصلة*. تحقيق: عبد السلام الهراس. (د. ط). لبنان: دار الفكر.

ابن الآبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي. (1406هـ). *تحفة القادم*. تحقيق: إحسان عباس. ط2. (د. م): دار الغرب الإسلامي.

ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن محمد الشيباني. (1417هـ). *الكامل في التاريخ*. تحقيق: عمر عبد السلام التدمري. ط1. بيروت: دار الكتاب العربي.

الإدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله بن الحسني الطالبي. (1419هـ). *نزهة المشتاق في اختراق الآفاق*. ط1. بيروت: عالم الكتب.

أرسلان، شكيب. (1355هـ). *الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية*. (د. ط). فاس: المكتبة التجارية الكبرى.

أشباخ، يوسف. (1958م). *تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين*، (ترجمة: محمد عبد الله عنان). القاهرة: مؤسسة الخانجي (العمل الأصلي نشر في عام 1821م).

الأشتر، صالح. (1998م). *معركة الأرك 591هـ*. (د. ط). القاهرة: مؤسسة الإسراء.

الأصبهاني، قوام السنة أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل القرشي. (1414هـ). *الترغيب والترهيب*. تحقيق: أيمن ابن صالح بن شعبان. ط1. القاهرة: دار الحديث.

ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي. (د. ت). *عيون الأنباء في طبقات الأطباء*. تحقيق: نزار رضا. (د. ط). بيروت: دار مكتبة الحياة.

الأغا، حسام حلمي يوسف. (1428هـ). *الأوضاع الاجتماعية في فلسطين زمن الحروب الصليبية (690-492هـ)* (رسالة ماجستير غير منشورة). الجامعة الإسلامية-غزة، فلسطين.

الأنطاكي، يحيى بن سعيد بن يحيى. (1990م). *تاريخ الأنطاكي المعروف بصلة تاريخ أوتيخاء*. تحقيق: عمر عبد السلام التدمري. ط1. لبنان: جروس برس.

الأوسي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري المراكشي. (2012م). *الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة*. تحقيق: بشار عواد معروف، محمد بن شريفة، إحسان عباس. ط1. تونس: دار الغرب الإسلامي.

الباعوني، محمد بن احمد بن ناصر. (871هـ). *تحفه الظرفاء في تواريخ الملوك والخلفاء*. باريس: المكتبة الوطنية.

بالنثيا، آنخل جنثالث. (1955م). *تاريخ الفكر الأندلسي*، (ترجمة حسين مؤنس). بورسعيد: مكتبة الثقافة الدينية. (العمل الأصلي نشر في عام 1928م)

بامخرمة، أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد بن علي الهِجراني الحضرمي الشافعي. (1428هـ). *قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر*. تحقيق: بو جمعة مكري، خالد زواري. ط1. جدة: دار المنهاج.

البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل. (1422هـ). *الجامع المسند الصحيح من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه*. تحقيق: محمد زهير الناصر. ط1. (د. م): دار طوق النجاة.

برهان الدين، أبو الوفا إبراهيم بن محمد بن خليل الطرابلسي الحلبي الشافعي. (1988م). *الاغتباط بمن رمي من الرواة بالاختلاط*. تحقيق: علاء الدين علي رضا. ط1. القاهرة: دار الحديث.

بروفنصال، لافي. (1941م). *مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية*. (د. ط). رباط الفتح: مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية.

بريان، الفيكونت دو شاتو. (1924م). *آخر بني سراج*، (ترجمة شكيب أرسلان). مصر: مطبعة المنار. (العمل الأصلي نشر في عام 1897م)

البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي. (2009م). *البحر الزخار*. تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، عادل بن سعد، صبري عبد الخالق الشافعي. ط1. المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم.

البشاري، أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي. (1411هـ). *أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم*. ط3. القاهرة: مكتبة مدبولي.

ابن بشكوال، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم الغرناطي. (1429هـ). *صلة الصلة*. تحقيق: شريف أبو العلا العدوى. ط1. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.

ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي. (1417هـ). *تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار*. (د. ط). الرباط: أكاديمية المملكة المغربية.

البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب. (1417هـ). *تاريخ بغداد*. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

بك، أحمد عيسى. (1401هـ). *تاريخ البيمارستانات في الإسلام*. ط2. بيروت: دار الرائد العربي.

البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي. (1992م). *المسالك والممالك*. (د. ط). (د. م): دار الغرب الإسلامي.

البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي. (1403هـ). *معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع*. ط3. بيروت: عالم الكتب.

بول، إستانلى لين. (1944م). *قصة العرب في إسبانيا*، (ترجمة: علي الجارم بك). مصر: مطبعة المعارف. (د. ت).

بيجنت، ميشيل، ولي، ريتشارد، ولنكولن، هنري. (2008م). *الدم المقدس والكأس المقدسة*، (ترجمة: محمد الواكد). دمشق: دار الأوائل (د. ت).

البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخرساني. (د. ت). *المدخل إلى السنن الكبرى*. تحقيق: محمد ضياء الرحمن الأعظمي. (د. ط). الكويت: دار الخلفاء.

البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي الخُسْرَوْجِردي الخرساني. (1423هـ). *شعب الإيمان*. تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، مختار أحمد الندوي. ط1. الرياض: مكتبة الرشد.

التادلي، أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجرّاوي التادلي. (1991م). *(الحماسة المغربية) مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب*. تحقيق: محمد رضوان الداية. ط1. بيروت: دار الفكر المعاصر.

الترمذي، الحكيم أبو عبدالله محمد بن علي ابن الحسن. (د. ت). نوادر الأصول في أحاديث الرسول. تحقيق: عبد الرحمن عميرة. (د. ط). بيروت: دار الجيل.

تقي الدين، ابن النجار أبو البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي الحنبلي. (1418). *مختصر التحرير شرح الكوكب المنير*. تحقيق: محمد الزحيلي، نزيه حماد. ط2. (د. م): مكتبة العبيكان.

التكروري، أبو العباس أحمد بابا بن أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد التنبكتي السوداني. (2000م). *نيل الابتهاج بتطريز الديباج*. تحقيق: عبد الحميد عبد الله الهرامة. ط2. ليبيا: دار الكاتب.

ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الدمشقي. (د. ت). *الحسبة في الإسلام أو وظيفة الحكومة الإسلامية*. ط1. (د. م): دار الكتب العلمية.

ابن جبير، أبو الحسين محمد بن أحمد الكناني الأندلسي. (د. ت). *رحلة ابن جبير*. (د. ط). بيروت: دار ومكتبة الهلال.

جدو، فاطمة الزهرة. (1429هـ). *السلطة والمتصوفة في الأندلس عهد المرابطين والموحدين "479هـ – 635هـ"* (رسالة ماجستير غير منشورة). الجزائر، جامعة منتوري قسنطينة.

الجزائري، مبارك بن محمد الميلي. (1406هـ). *تاريخ الجزائر في القديم والحديث*. تحقيق: محمد الميلي. (د. ط). الجزائر: المؤسسة الوطنيّة.

الجزنائي، علي. (1411هـ). *جَنَى زهرة الآس في بناء مدينة فاس*. تحقيق: عبد الوهاب بن منصور. ط2. الرباط: المطبعة الملكية.

الجزيرة الوثائقية. (مخرج). (د. ت). *الأندلسيون* [فيلم]. (د. م): WildFire Television. تاريخ الاطلاع:6 أبريل 2017م، الموقع: (https://www.youtube.com/watch?v=37LvFmVmdcs).

ابن الجعد، علي بن الجعد بن عبيد الجوهري البغدادي. (1410هـ). *مسند ابن الجعد*. تحقيق: عامر أحمد حيدر. ط1. بيروت: مؤسسة النادر.

جلاب، حسن. (1995م). *الدولة الموحدية (أثر العقيدة في الأدب)*. ط3. مراكش: المطبعة والوراقة الوطنية.

ابن واصل، أبو عبد الله جمال الدين محمَّد بن سالم بن نصرالله المازني التميمي الحموي. (1377هـ). *مفرج الكروب في أخبار بني أيوب*. تحقيق: جمال الدين الشيال، حسنين محمد ربيع، سعيد عبد الفتاح عاشور. (د. ط). القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية.

الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد. (1412هـ). *المنتظم في تاريخ الملوك والأمم*. تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

جيروم، طارو وجان. (1349هـ). *أزهار البساتين في أخبار المغرب والأندلس على عهد المرابطين والموحدين*، (ترجمة أحمد بلافريج، محمد الفاسي). السعودية: طبعة الرباط. (د. ت)

الجيوسي، سلمى الخضراء. (1998م). *الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس*. ط1. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

الحاكم، أبو عبدالله ابن البيع محمد بن عبدالله بن محمد النيسابوري. (1411هـ). المستدرك على الصحيحين. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

أبو حامد، عماد الدين محمد بن محمد الأصفهاني. (1423هـ). *البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان*. تحقيق: عمر عبد السلام تدمري. ط1. بيروت: المكتبة العصرية.

ابن حبان، أبو حاتم محمد بن أحمد التميمي. (1408هـ). *الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان*. تحقيق: شعيب الأرنؤوط. ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة.

حتامله، محمد عبده. (1420هـ). *الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة*. (د. ط). الأردن: مطابع الدستور التجارية.

حتامله، محمد عبده. (1422هـ). *الاعتداءات الإفرنجية (الصليبية) على ديار العرب في الأندلس "حرب متواصلة على الإسلام"*. (د. ط). الأردن: (د. م).

الحجي، عبد الرحمن علي. (1402هـ). *التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة (92هـ – 897هـ)*. ط2. دمشق: دار القلم.

الحربي، عاتق بن غيث بن زوير بن زاير بن حمود بن عطية بن صالح البلادي. (1402هـ). *معجم الْمَعَالِمِ الْجُغْرَافِيَّةِ فِي السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ*. ط1. مكة المكرمة: دار مكة.

حركات، إبراهيم. (1420هـ). *المغرب عبر التاريخ*. (د. ط). (د. م): الدار البيضاء.

حسن، حسن إبراهيم. (1416هـ). *تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي*. ط14. بيروت: دار الجيل.

حسن، حسن علي. (1980م). *الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس "عصر المرابطين والموحدين"*. ط1. مصر: مكتبة الخانجي.

حسين، حمدي عبد المنعم محمد. (1993م). *مدينة سلا في العصر الإسلامي دراسة في التاريخ السياسي والحضاري*. (د. ط). الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة.

الحريري، محمد عيسى. (1408هـ). *تاريخ المغرب الإسلامي والأندلسي في العصر المريني (610هـ – 869هـ)*. ط2. الكويت: دار القلم.

الحكيم، أبي الحسن علي بن يوسف. (1378هـ). الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة. تحقيق: حسين مؤنس. *مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، 6* (2-1)، 83-59.

حمادة، محمد ماهر. (1406هـ). *الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس وشمال إفريقية (64هـ – 897هـ)*. ط2. بيروت: مؤسسة الرسالة.

الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي. (1414هـ). معجم *الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب*. تحقيق: إحسان عباس. ط1. بيروت: دار الغرب الإسلامي.

الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي. (1995م). معجم البلدان. ط2. بيروت: دار صادر.

الحميدي، أبو بكر عبد الله بن الزبير بن عيسى بن عبيد الله القرشي الأسدي المكي. (1996م). *مسند الحميدي*. تحقيق: حسن سليم أسد الدَّارَانيّ. ط1. دمشق: دار السقا.

الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم. (1980م). *الروض المعطار في خبر الأقطار*. تحقيق: إحسان عباس. ط2. بيروت: مؤسسة ناصر للثقافة.

الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم. (1408هـ). *صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار*. تحقيق: لافي بروفنصال. ط2. بيروت: دار الجيل.

ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد ابن محمد الشيباني. (1421هـ). *مسند الإمام أحمد بن حنبل*. تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد. ط1. (د. م): مؤسسة الرسالة.

بن حوقل، أبو القاسم محمد البغدادي الموصلي. (1938م). صورة الأرض. (د. ط). بيروت: دار صادر أفست ليدن.

حومد، أسعد. (1988م). *محنة العرب في الأندلس*. ط2. بيروت: المؤسسة العربية.

الخالدي، خالد يونس عبد العزيز. (1999م). *اليهود في الدولة العربية الإسلامية في الأندلس (92-897هـ)*. غزة: دار الأرقم.

ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله. (1889م). *المسالك والممالك*. (د. ط). بيروت: دار صادر أفست ليدن.

خطاب، محمود شيت. (1424هـ). *قادة فتح الأندلس*. ط1. (د. م): مؤسسة علوم القرآن.

ابن الخطيب، أبو عبد الله لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد الغرناطي الأندلسي. (1399هـ). *الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية*. تحقيق: سهيل زكار، عبد القادر زمانه. ط1. المغرب: الدار البيضاء.

ابن الخطيب، أبو عبد الله لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد الغرناطي الأندلسي. (1424هـ). *أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام*. تحقيق: سيد كسروي حسن. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن الخطيب، أبو عبد الله لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد الغرناطي الأندلسي. (1424هـ). *الإحاطة في أخبار غرناطة*. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن الخطيب، أبو عبد الله لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد الغرناطي الأندلسي. (1423هـ). *معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار*. (د. ط). القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.

ابن خلدون، أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمد الحضرمي الإشبيلي. (1408هـ). *ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر*. تحقيق: خليل شحادة. ط2. بيروت: دار الفكر.

ابن خلدون، أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمد الحضرمي الإشبيلي. (1425هـ). *رحلة ابن خلدون*. تحقيق: محمد بن تاويت الطَّنجي. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم البرمكي. (د. ت). *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*. تحقيق: إحسان عباس. (د. ط). بيروت: دار صادر.

أبو خليل، شوقي. (1979م). *الأرك بقيادة يعقوب المنصور الموحدي*. ط1. دمشق: دار الفكر.

أبو الخيل، محمد بن إبراهيم بن صالح الحسين. (1419هـ). *جهود علماء الأندلس في الصراع مع النصارى خلال عصري المرابطين والموحدين (483هـ - 640هـ)*. ط1. السعودية: دار أصداء المجتمع.

الدارمي، أبو محمد عبدالله بن عبد الرحمن بن الفضل السمرقندي. (1412هـ). *مسند الدارمي*. تحقيق: حسين سليم الداراني. ط1. السعودية: دار المغني.

أبو داوود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأسدي. (د. ت). *سنن أبي داوود*. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. (د. ط). بيروت: المكتبة العصرية.

الدرة، عبد القادر علي أحمد. (1430هـ). *العلماء الشهداء في الأندلس (400هـ - 897هـ)* (رسالة ماجستير غير منشورة). الجامعة الإسلامية–غزة، فلسطين.

ابن دُقْماق، صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي القاهري. (1420هـ). *نزهة الأنام في تاريخ الإسلام*. تحقيق: سمير طبارة. ط1. بيروت: المكتبة العصرية.

دندش، عصمت عبد اللطيف. (1408هـ). *الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني (510هـ – 546هـ)*. ط1. بيروت: دار الغرب الإسلامي.

الدواداري، أبو بكر بن عبد الله بن أيبك. (1428هـ). *كنز الدرر وجامع الغرر*. تحقيق: بيرند راتكه، إدوارد بدين، محمد السعيد جمال الدين، جونهيلد جراف، اريكا جلاسِن، دوروتيا كرافولسكي، صلاح الدين المنجد، سعيد عبد الفتاح عاشور، أُولْرِخ هارمان، هانس رُوبرت رويمر. ط1. (د. م): دار عيسى البابي الحلبي.

ابن أبي دينار، أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني. (1286هـ). *المؤنس في أخبار أفريقية وتونس*. ط1. تونس: مطبعة الدولة التونسية.

الذنون، عبد الحكيم. (1408هـ). *آفاق غرناطة*. ط1. دمشق: دار المعرفة.

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز. (1413هـ). *تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام*. تحقيق: عمر عبد السلام التدمري. ط2. بيروت: دار الكتاب العربي.

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز. (1419هـ). *تذكرة الحفاظ*. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز. (1427هـ). *سير أعلام النبلاء*. (د. ط). القاهرة: دار الحديث.

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز. (د. ت). *العبر في خبر من غبر*. تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول. (د. ط). بيروت: دار الكتب العلمية.

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز. (1382هـ). *ميزان الاعتدال في نقد الرجال*. تحقيق: علي محمد البجاوي. ط1. بيروت: دار المعرفة.

رزوق، محمد. (د. ت). *الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16-17*. (د. ط). (د. م): الدار البيضاء.

أبو رميله، هشام. (1404هـ). *علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس*. ط1. الأردن: دار الفرقان.

الروياني، أبو بكر محمد بن هارون. (1416هـ). *مسند الروياني*. تحقيق: أيمن علي أبو يماني. ط1. القاهرة: مؤسسة قرطبة.

ريبيرا، خوليان. (1994م). *التربية الإسلامية في الأندلس أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية*، (ترجمة: الطاهر أحمد مكى). مصر: دار المعارف. (العمل الأصلي نشر في عام 1981م)

ابن أبي زرع، علي بن عبد الله الفاسي. (1396هـ). *الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس*. (د. ط). الرباط: دار المنصور.

الزركشي، أبي عبد الله محمد بن إبراهيم. (1386هـ). *تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية*. تحقيق: محمد ماضور. ط2. تونس: المكتبة العتيقة.

الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي. (2002م). *الأعلام*. ط15. (د. م): دار العلم للملايين.

ابن زيدان، عبد الرحمن بن محمد السجلماسي. (1429هـ). *إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس*. تحقيق: علي عمر. ط1. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.

زين الدين، أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان الحازمي الهمداني. (1415هـ). *الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة*. تحقيق: حمد بن محمد الجاسر. (د. ط). (د. م): دار اليمامة.

سالم، السيد عبد العزيز. (1997م). *قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس*. (د. ط). الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة.

السامرائي، خليل إبراهيم، وطه، عبد الواحد ذنون، ومطلوب، ناطق صالح. (2000م). *تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس*. ط1. ليبيا: دار الكتاب الوطنية.

سبط ابن الجوزي، أبو المظفر شمس الدين يوسف بن قِزْأُوغلي بن عبد الله. (1434هـ). *مرآة الزمان في تواريخ الأعيان*. تحقيق: محمد بركات، كامل محمد الخراط، عمار ريحاوي، محمد رضوان عرقسوسي، أنور طالب، فادي المغربي، رضوان مامو، محمد معتز كريم الدين، زاهر إسحاق، محمد أنس الخن، إبراهيم الزيبق. ط1. دمشق: دار الرسالة العالمية.

السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين. (1413هـ). *طبقات الشافعية الكبرى*. تحقيق: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو. ط2. (د. م): هجر للطباعة والنشر والتوزيع.

سراج الدين، أبو حفص عمر بن المظفر بن الوردي البكري القرشي المعري الحلبي. (1428هـ). *خريدة العجائب وفريدة الغرائب*. تحقيق: أنور محمود زناتي. ط1. القاهرة: مكتبة الثقافة الإسلامية.

السرجاني، راغب الحنفي. (1432هـ). *قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط*. ط1. القاهرة: مؤسسة اقرأ.

بن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى الأندلسي. (1987م). *رايات المُبرَّزين وغايات المميزين*. تحقيق: محمد رضوان الداية، ط1. دمشق: دار طلاس.

بن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى الأندلسي. (1955م). *المغرب في حلى المغرب*. تحقيق: شوقي ضيف. ط3. القاهرة: دار المعارف.

السلاوي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن خالد بن محمد الناصري. (د. ت). *الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصا*. تحقيق: جعفر الناصري، محمد الناصري. (د. ط). (د. م): الدار البيضاء.

سلسلة التاريخ الإسلامي، صدى التقوى للإنتاج الإعلامي بالرياض. (منتج). (الإصدار 96). *سلسلة التاريخ السياسي للمغرب والأندلس للدكتور أحمد بن يوسف الدعيج التميمي* [برنامج مسجل]. تاريخ الإطلاع: م، الموقع: (التأريخ-السياسي-للمغرب-والأندلس/https://ar.islamway.net/collection/3985).

ابن سمعون، أبو الحسين الواعظ محمد بن أحمد بن إسماعيل بن عنبس البغدادي. (1423هـ). *أمالي ابن سمعون الواعظ*. تحقيق: عامر حسن صبري. ط1. بيروت: دار البشائر الإسلامية.

السَّمْلالي، العباس بن إبراهيم السَّمْلالي. (1413هـ). *الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام*. تحقيق: عبد الوهاب بن منصور. ط2. الرباط: المطبعة الملكية.

السُّوْدُوْنِي، أبو الفداء زين الدين قاسم بن قُطْلُوْبَغَا الجمالي الحنفي. (1432هـ). *الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة*. تحقيق: شادي بن محمد بن سالم آل نعمان. ط1. صنعاء: مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية.

السوسي، محمد المختار بن علي بن أحمد الإلغي. (1404هـ). *سوس العالمة*. ط2. المغرب: الدار البيضاء.

السويدان، طارق. (1426هـ). *الأندلس التاريخ المصور*. ط1. الكويت: شركة الإبداع الفكري.

السويسي، عبد الله. (1399هـ). *تاريخ رباط الفتح*. (د. ط). الرباط: دار المغرب.

سيسالم، عصام سالم. (1984م). *جزر الأندلس المنسية التاريخ الإسلامي لجزر البليار (89هـ - 685هـ)*. ط1. بيروت: دار العلم للملايين.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. (د. ت). *الدر المنثور*. (د. ط). بيروت: دار الفكر.

أبي شامة، أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي. (1418هـ). *الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية*. تحقيق: إبراهيم الزيبق. ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة.

ابن شبة، أبو زيد عمر بن زيد بن عبيدة النميري. (1399هـ). *تاريخ المدينة لابن شبة*. تحقيق: فهيم محمد شلتوت. (د. ط). (د. م): (د. ن).

شراب، محمد بن محمد حسن شُرَّاب. (1411هـ). *المعالم الأثيرة في السنة والسيرة*. ط1. دمشق: دار القلم.

ابن شمائل، صفيّ الدين عبد المؤمن بن عبد الحق القطيعي البغدادي الحنبلي. (1412هـ). *مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع*. ط1. بيروت: دار الجيل.

ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم العبسي. (1409هـ). *الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار*. تحقيق: كمال يوسف الحوت. ط1. الرياض: مكتبة الرشد.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله. (1420هـ). *الوافي بالوفيات*. تحقيق: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى. ط1. بيروت:، دار إحياء التراث.

الصَّلاَّبي، عَلي محمد محمد. (د. ت). *دولة الموحدين*. (د. ط). عمان: دار البيارق.

الصَّلاَّبي، عَلي محمد محمد. (1427هـ). *فقه التمكين عند دولة المرابطين*. ط1. القاهرة: مؤسسة اقرأ.

الصَّلاَّبي، عَلي محمد محمد. (1429هـ). *صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس*. ط1. بيروت: دار المعرفة.

الضبي، أبو جعفر أحمد بن يحيى بن أحمد. (1387هـ). *بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس*. (د. ط). القاهرة: دار الكتاب العربي.

ضياء الدين، أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي. (1420هـ). *الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما*. تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش. ط3. بيروت: دار خضر.

الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي. (د. ت). *المعجم الكبير*. تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي. ط2. القاهرة: مكتبة بن تيمية.

الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي. (د. ت). *المعجم الأوسط*. تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني. (د. ط). القاهرة: دار الحرمين.

الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي. (1405هـ). *مسند الشاميين*. تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي. ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي. (1387هـ). *تاريخ الرسل والملوك*. ط2. بيروت: دار التراث.

الطيالسي، أبو داوود سليمان بن داوود بن الجارود البصري. (1419هـ). *مسند أبي داوود الطيالسي*. تحقيق: محمد التركي. ط1. مصر: دار هجر.

ابن أبي عاصم، أبو بكر أحمد بن عمرو بن الضحاك الشيباني. (1980م). *كتاب السنة*. تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني. ط1. (د. م): المكتب الإسلامي.

العبادي، أحمد مختار. (2000م). *صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس*. ط1. الإسكندرية: منشأة المعارف.

عبد اللطيف، عبد الشافي محمد، وحسن، حسن علي، وسالم، عبد الرحمن، وعبد الرؤوف، عصام الدين، وجمال الدين، محسن، وباشا، عبد المقصود عبد الحميد، وجمال الدين، عبد الله، وحرب، محمد، وعبد الحليم، رجب محمد، موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي: الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي.

عبد الجبار، صهيب. (2014م). *المسند الموضوعي الجامع للكتب العشرة*. (د. ط). (د. م): (د. ت).

عبد الجبار، صهيب. (2014). *الجامع الصحيح للسنن والمسانيد*. (د. ط). (د. م): (د. ت).

عبود، امحمد. (1989م). *مباحث في التاريخ الأندلسي ومصادره*. (د. ط). الرباط: مطبعة عكاظ.

العثماني، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن غازي المكناسي. (1371هـ). *الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون*. (د. ط). الرباط: مكتبة الأمنية.

ابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي الحسني الأنجري الفاسي الصوفي. (1419هـ). *البحر المديد في تفسير القرآن المجيد*. تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان. (د. ط). القاهرة: الناشر حسن عباس زكي.

ابن عذارى، أبو عبد الله أحمد بن محمد المراكشي. (1406هـ). *البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب*. تحقيق: محمد الكتاني، محمد زنيبر، محمد بن تاويت، عبد القادر رزمامة. ط1. بيروت: دار الغرب الإسلامي.

العراقي، وابن السبكي، والزبيدي. (1408هـ). *تخريج أحاديث إحياء علوم الدين*. تحقيق: أبي عبد الله مَحمُود بِن مُحَمّد الحَدّاد. ط1. الرياض: دار العاصمة للنشر.

العزيزي، الحسن بن أحمد المهلبي. (د. ت). *المسالك والممالك*. تحقيق: تيسير خلف. (د. ط). (د. م): (د. ن).

ابن عسكر، أبو عبد الله، وابن خميس، أبو بكر. (1420هـ). *أعلام مالقة*. تحقيق: عبد الله المرابط الترغي. ط1. بيروت: دار الغرب الإسلامي.

العسيري، أحمد معمور. (1417هـ). *موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام (تاريخ ما قبل الإسلام) إلى عصرنا الحاضر (1417 هـ =1997م)*. ط1. الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية.

ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العَكري الحنبلي. (1406هـ). *شذرات الذهب في أخبار من ذهب*. تحقيق: محمود الأرناؤوط، عبد القادر الأرناؤوط. ط1. دمشق: دار ابن كثير.

عماد الدين أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب. (د. ت). *المختصر في أخبار البشر*. ط1. مصر: المطبعة الحسينية المصرية.

عمران، محمود. (1991م). *حضارة أوروبا في العصور الوسطى*. (د. ط). بيروت: دار النهضة.

عنان، محمد عبد الله. (1417هـ). *الآثار الأندلسية الباقية في أسبانيا والبرتغال*. ط2. القاهرة: مكتبة الخانجي.

عنان، محمد عبد الله. (2001م). *دولة الإسلام في الأندلس عصر الموحدين*. (د. ط). مصر: جمعية الرعاية المتكاملة.

عنان، محمد عبد الله. (1991م). *تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة*. ط1. القاهرة: مؤسسة المختار.

عناني، محمد زكريا. (1999م). *تاريخ الأدب الأندلسي*. (د. ط). مصر: دار المعرفة.

عناني، محمد زكريا. (2000م). *شعر ابن مجبر الأندلسي*. ط1. بيروت: دار الثقافة.

بن العياشي، محمد. (2012م، 20 مارس). *قضية استنجاد صلاح الدين الأيوبي بالموحدين*. تاريخ الاطلاع: 17 يوليو 2017م، الموقع:(آراء-وتحليلات/دراسات-وأبحاث/قضية-استنجاد-صلاح-الدين-الأيوبي-بالموحدين/https://www.alislah.ma).

العينى، بدر الدين. (1431هـ). *عِقْدُ الجُمَان في تاريخ أهل الزمان*. تحقيق: محمود رزق محمود. ط2. القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية.

الغِبْرِيني، أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد. (1979م). *عنوان الدّراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السَّابعة ببجايَة*. تحقيق: عادل نويهض. ط2. بيروت: دار الآفاق الجديدة.

الغزي، كامل بن حسين بن محمد بن مصطفى البالي الحلبي. (1419هـ). *نهر الذهب في تاريخ حلب*. ط2. حلب: دار القلم.

أبو الفضل، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني. (2002م). *لسان الميزان*. تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة. ط1. (د. م): دار البشائر الإسلامية.

ابن فضل الله، شهاب الدين أحمد بن يحيى القرشي العدوي العمري. (1423هـ). *مسالك الأبصار في ممالك الأمصار*. ط1. أبو ظبي: المجمع الثقافي.

الفقي، عصام عبد الرؤف. (د. ت). *تاريخ المغرب والأندلس*. (د. ط). القاهرة: مكتبة نهضة الشرق.

ابن الفقيه، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني. (1416هـ). *البلدان*. تحقيق: يوسف الهادي. (د. ط). بيروت: عالم الكتب.

ابن الفوطي، أبو الفضل كمال الدين عبد الرزاق بن أحمد الشيباني. (1416هـ). *مجمع الآداب في معجم الألقاب*. تحقيق: محمد الكاظم. ط1. إيران: وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي.

قاضي المارِسْتان، أبو بكر محمد بن عبد الباقي بن محمد الأنصاري الكعبي. (1422هـ). *أحاديث الشيوخ الثقات (المشيخة الكبرى)*. تحقيق: الشريف حاتم بن عارف العوني. ط1. (د. م): دار عالم الفوائد.

قجة، محمد حسن. (1405هـ). *محطات أندلسية دراسات في التاريخ والأدب والفن الأندلسي*. ط1. جدة: الدار السعودية.

القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد النمري. (1415هـ). *جامع بيان العلم وفضله*. تحقيق: أبي الأشبال الزهيري. ط1. السعودية: دار بن الجوزي.

القزويني، زكريا بن محمد بن محمود. (د. ت). *آثار البلاد وأخبار العباد*. (د. ط). بيروت: دار صادر.

القضاعي، أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكمون المصري. (1407هـ). *مسند الشهاب*. تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي. ط2. بيروت: مؤسسة الرسالة.

ابن القطان، أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي الحميري الفاسي. (1433هـ). *إِحْكَامُ النَّظَرِ فِي أَحْكَامِ النَّظَرِ بِجَاسَّةِ البَصَرِ*. تحقيق: إدريس الصمدي. ط1. دمشق: دار القلم.

قطب، محمد علي. (د. ت). *مذابح وجرائم محاكم التفتيش في الاندلس*. (د. ط). (د. م): (د. ن).

ابن القلانسي، أبو يعلى حمزة بن أسد بن علي بن محمد التميمي. (1403هـ). *تاريخ دمشق*. تحقيق: سهيل زكار. ط1. دمشق: دار حسان.

القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القاهري. (د. ت). *صبح الأعشى في صناعة الإنشاء*. (د. ط). بيروت: دار الكتب العلمية.

القِنَّوجي، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري. (1428هـ). *التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول*. ط1. قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

كاتب جلبي، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني. (2010م). *سلم الوصول إلى طبقات الفحول*. تحقيق: محمود عبد القادر الأرناؤوط. (د.ط). إسطنبول: مكتبة إرسيكا.

الكتاني، علي بن محمد المنتصر بالله. (1426هـ). *انبعاث الإسلام في الأندلس*. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

الكتاني، محمد عَبْد الحَيّ بن عبد الكبير ابن محمد الحسني الإدريسي. (1982م). *فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات*. تحقيق: إحسان عباس. ط2. بيروت: دار الغرب الإسلامي.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري الدمشقي. (1418هـ). *البداية والنهاية*. تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي. ط1. (د. م): دار هجر.

كحالة، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني الدمشقي. (د. ت). *معجم المؤلفين*. (د. ط). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الكرخي، أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري. (2004م). *المسالك والممالك*. (د. ط). بيروت: دار صادر.

كريم، عبد الكريم. (2011م، 24 يونيو). *صلاح الدين الأيوبي ويعقوب المنصور الموحدي*. تاريخ الاطلاع: 15 يوليو 2017م، الموقع: (https://groups.google.com/forum/#!topic/fayad61/86mcuYpC3XE).

الكلاباذي، أبو بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب البخاري الحنفي. (1420هـ). *بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار*. تحقيق: محمد حسن إسماعيل، أحمد فريد المزيدي. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

كولان، ج. س. (1980م). *الأندلس*، (ترجمة إبراهيم خورشيد، عبد الحميد يونس، حسن عثمان). القاهرة: دار الكتاب المصري. (د. ت)

ابن ماجه، أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني (د. ت). *سنن بن ماجه*. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. (د. ط). (د. م): دار إحياء الكتب العربية.

مارس، جيمس. (2009م). *الحكم بالسر "التاريخ السري بين الهيئة الثلاثية والماسونية والأهرامات الكبرى"*، (ترجمة: محمد إدلبي). دمشق: دار الأوائل (د. ت).

ماكنزي، نورمان. (1999م). *الجمعيات السرية*، (ترجمة: إبراهيم إبراهيم). القاهرة: دار الشروق (د. ت).

مالك، مالك بن أنس بن مالك المدني. (1425هـ). *الموطأ*. تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي. ط1. أبو ظبي: مؤسسة زايد بن سلطان.

حدود العالم من المشرق إلى المغرب. تحقيق: السيد يوسف الهادي. (1423هـ). القاهرة: الدار الثقافية.

أبو المحاسن، جمال الدين يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي. (د. ت). *النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة*. ط1. مصر: دار الكتب.

مخلوف، محمد بن محمد بن عمر بن علي بن سالم. (1424هـ). *شجرة النور الزكية في طبقات المالكية*. تحقيق: عبد المجيد خيالي. ط1. لبنان: دار الكتب العلمية.

المدني، أبو إسحاق إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير الأنصاري الزرقي. (1418هـ). *حديث علي بن حجر السعدي عن إسماعيل بن جعفر المدني*. تحقيق: عمر بن رفود بن رفيد السّفياني. ط1. الرياض: مكتبة الرشد.

المراكشي، محيي الدين عبد الواحد بن علي التميمي. (1426هـ). *المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين*. تحقيق: صلاح الدين الهواري. ط1. بيروت: المكتبة العصرية.

المراكشي، محيي الدين عبد الواحد بن علي التميمي. (1997م). *وثائق المرابطين والموحدين*. تحقيق: حسين مؤنس. ط1. بورسعيد: مكتبة الثقافة الدينية.

مراكشي مجهول. *الاستبصار في عجائب الأمصار*. (1986م). بغداد: دار الشئون الثقافية.

المروزي، أبو عبدالله محمد بن نصر بن الحجاج. (1408هـ). *السنة*. تحقيق: سالم أحمد السلفي. ط1. بيروت: مؤسسة الكتاب الثقافية.

المروزي، أبو عبدالله محمد بن نصر بن الحجاج. (1406هـ). *تعظيم قدر الصلاة*. تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي. ط1. المدينة المنورة: مكتبة الدار.

المريني، عبد الحق. (1997م). *الجيش المغربي عبر التاريخ*. ط5. الرباط: مطبعة المعارف الجديدة.

مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب. (2000م). *تجارب الأمم وتعاقب الهمم*. تحقيق: أبو القاسم إمامي. ط2. طهران: سروش.

مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج القسيري النيسابوري. (د. ت). *المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ*. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. (د. ط). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

مصطفى، شاكر. (1990م). *الأندلس في التاريخ*. (د. ط). دمشق: وزارة الثقافة.

المطوي، محمد العروسي. (1406هـ). *السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي*. (د. ط). بيروت: دار الغرب الإسلامي.

ابن المظفر، أبو المعالي ناصر الدين محمد بن عمر المظفر بن الأيوبي المنصور. (د. ت). *مضمار الحقائق وسر الخلائق*. تحقيق: حسن حبشي. (د. ط). القاهرة: عالم الكتب.

المغلوث، سامي بن عبد الله بن محمد. (1433هـ). *أطلس تاريخ الدولة العباسية*. ط1. الرياض: مكتبة العبيكان.

مقديش، محمود بن سعيد. (1988م). *نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار*. تحقيق: علي الزواري، محمد محفوظ. ط1. بيروت: دار الغرب الاسلامي.

المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد. (1417هـ). *نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب*. تحقيق: إحسان عباس. ط3. بيروت: دار صادر.

ابن المقريء، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن علي بن عاصم بن زاذان الأصبهاني الخازن. (1419هـ). *المعجم لابن المقرئ*. تحقيق: أبي عبد الرحمن عادل بن سعد. ط1. الرياض: مكتبة الرشد.

المقريزي، أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر الحسيني العبيدي. (1418هـ). *المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار*. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

المقريزي، أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر الحسيني العبيدي. (1418هـ). *السلوك لمعرفة دول الملوك*. تحقيق: محمد عبد القادر عطا. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

المقريزي، أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر الحسيني العبيدي. (د. ت). *اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء*. تحقيق: جمال الدين الشيال، محمد حلمي محمد أحمد. ط1. (د. م): المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي.

المكتبة الشاملة، موقع الموسوعة الشعرية: معجم الشعراء العرب.

المكناسي، أحمد بن القاضي. (1393هـ). *جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس*. (د. ط). الرباط: دار المنصور.

ملين، محمد رشيد. (1416هـ). *عصر المنصور الموحدي "الحياة السياسية والفكرية والدينية في المغرب" (595-580هـ)*. ط2. الرباط: المطبعة الملكية.

المنجم، إسحاق بن الحسين. (1408هـ). *آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان*. ط1. بيروت: عالم الكتب.

المنوني، محمد، ورزوق، محمد، وبن عبود، أمحمد، وبوتشيش، إبراهيم القادري، وفاغية، السعدية، والطاهري، أحمد. (1412هـ). *التاريخ الأندلسي من خلال النصوص*. ط1. الدار البيضاء: شركة المدارس.

المنوني، محمد. (1397هـ). *العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين*. ط2. الرباط: دار المغرب.

المنوني، محمد. (1989م). *حضارة الموحدين*. ط1. المغرب: دار توبقال.

مؤنس، حسين. (1405هـ). *رحلة الأندلس حديث الفردوس الموعود*. ط2. جدة: الدار السعودية.

مؤنس، حسين. (2004م). *معالم تاريخ المغرب والأندلس*. (د. ط). (د. م): مكتبة الأسرة.

موسى، محمد بن حسن بن عقيل. (1415هـ). *استجابات إسلامية لصرخات أندلسية*. ط1. جدة: دار الأندلس الخضراء.

ابن الموقت، محمد بن محمد بن عبد الله المراكشي. (1432هـ). *السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية*. تحقيق: أحمد متفكر. ط3. مراكش: مؤسسة آفاق.

ابن ناصر الدين، شمس الدين محمد بن عبد الله بن محمد ابن أحمد بن مجاهد القيسي الدمشقي الشافعي. (1993م). *توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم*. تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي. ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة.

النجار، ليلى أحمد. (1409هـ). *المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي "دراسة تاريخية وحضارية" (580هـ-595هـ)* (رسالة دكتوراه غير منشورة). جامعة أم القرى -مكة المكرمة، السعودية.

أبو ندى، محمود محمد. (1426هـ). *الدور الجهادي للعلماء في الأندلس (422هـ- 609هـ)* (رسالة ماجستير غير منشورة). الجامعة الإسلامية-غزة، فلسطين.

أبو نعيم، أحمد بن عبدالله بن أحمد الأصبهاني. (1394هـ). *حلية الأولياء وطبقات الأصفياء*. (د. ط). مصر: دار السعادة.

نغش، محمد. (د. ت). الرسائل الحربية في عصر الدولة الأيوبية. *مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة*، *59*(59)، 165-170.

نويهض، عادل. (1400هـ). *مُعجَمُ أعلام الجزائِر – مِن صَدر الإسلام حَتّى العَصر الحَاضِر*. ط2. بيروت: مؤسسة نويهض الثقافية.

نويهض، عادل. (1409هـ). *معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر»*. تحقيق: حسن خالد. ط3. بيروت: مؤسسة نويهض الثقافية.

الهروي، أبو الحسن علي بن أبي بكر بن علي. (1423هـ). *الإشارات إلى معرفة الزيارات*. ط1. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.

الهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان (د. ت). *المقصد العلي في زوائد أبي يعلى الموصلي*. تحقيق: سيد كسروي حسن. (د. ط). بيروت: دار الكتب العلمية.

وات، مونتغمري. (1998م). *في تاريخ إسبانيا الإسلامية*، (ترجمة: محمد رضا المصري). بيروت: شركة المطبوعات (د. ت).

ابن الوردي، أبو حفص زين الدين عمر بن مظفر بن عمر بن محمد ابن أبي الفوارس المعري الكندي. (1417هـ). *تاريخ ابن الوردي*. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

اليافعي، أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي. (1417هـ). *مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان*. تحقيق: خليل منصور. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

اليعقوبي، أبو يعقوب أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح. (1422هـ). *البلدان*. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن أبي يعلى، أبو الحسين محمد بن محمد. (د. ت). *طبقات الحنابلة*. تحقيق: محمد حامد الفقي. (د. ط). بيروت: دار المعرفة.

اليعمري، برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون. (د. ت). *الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب. تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور*. (د. ط). القاهرة: دار التراث.

ثانياً– المراجع الأجنبية

A. Huici Miranda. (1956). *Las grandes batallas de la Reconquista durante las invasions africanas (almoravides، almohades y benimerines)*، Madrid، CSIC.

Altamira. R. (1949). *A history of Spain from the beginnings to the present day*. D. Van Nos- trand commpany. Canand. Ltd.

Barbour. N. (1965)،. *AL-Andalus en las cronicas inglesas*. Thames and Hudson lt. londnn

Hirschberg. J. W. (1974). *A history of the Jews in north Africa*. (2ND edition). Transiated from the hebrew. Leiden.

Madrid magazine. (1965). *Campana de Alarcos*. Egypt، A. Huici Miranda

O،callaghan. F. J. (1975). *A history of medieval Spain*، Cornell University، Ithaca، Newyork.

Painter.S. (1954) A history of the middle ages. 284 – 1500، Newyork 1954.

Scott. S. P. (1904). *A history of the moorish empire in Europe* philadelphia، london .

الملاحق

الملحق الأول:
كتاب صلاح الدين إلى المنصور

كتب القاضي الفاضل عن السلطان «صلاح الدين يوسف بن أيوب» إلى المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن، أحد خلفائهم في سنة خمس وثمانين وخمسمائة، يستجيشه على الروم الفرنج القاصدين بلاد الشام والديار المصرية، وهو:

فتح الله بحضرة سيدنا أمير المسلمين، وسيد العالمين، وقسيم الدنيا والدّين، أبواب الميامن، وأسباب المحاسن، وأحلّه من كفايته في الحرم الآمن، وأنجزه من نصرة الحق ما الله له ضامن، وأصلح به كلّ رأي عليه الهوى رائن، ومكّن له في هذه البسيطة بسطه، وزاده بالعلم غبطه، حتّى يكون للأنبياء بالعلم وللأرض بالعزم وارثا، وحتّى يشيّد بحادث قديما من مجده الذي لا يزال بغضّ الحديث حادثا.

كان من أوائل عزمنا وفواتح رأينا عند ورودنا الديار المصرية مفاتحة دولة سيدنا، وأن نتيمّن بمكاتبتها، ونتزيّن بمخاطبتها، وننهض إليها أماثل الأصحاب، ونستسقي معرفتها استسقاء السّحاب، وننتجعها بالخواطر ونجعل الكتب رسلها، وأيدي الرسل سبلها، ونمسك طرفا من حبل الجهاد يكون بيد حضرة سيدنا العالية طرفه، ونمسح غرّة سبق وارثها ووارث نورها سلفه، ونتجاذب أعداء الله من الجانبين، لا سيما بعد أن نبنا عنه نيابتين في نوبتين؛ فالأولى تطهير الأرضين المصريّة واليمنيّة من ضلالة أغضت عيون الأيّام على قذاها، وأنامت عيون الأنام بائعة يقظتها بكراها، ونيابة ثانية في تطهير بيت المقدس ممن كان يعارض برجسه تقديسه، ويزعج ببناء ضلاله تأسيسه، وما كان إلا جنّة إسلام فخرج منها المسلمون خروج أبيهم آدم من الجنّة، وأعقبهم فيها إبليس الكفر وما أجارته مما أعقبه اللّعنة، وما كانت لنا بذلك قوّة بل لله القوّة، ولا لنا على الخلق منّة بل لله المنّة.

ولما حطّت لدين الكفر تيجان، وحطّمت لذويه صلبان، وأخرس الناقوس الأذان، ونسخ الإنجيل القرآن، وفكّت الصخرة من أسرها، وخفّ ما كان على قلب الحجر الأسود بخفّة ما كان على ظهرها؛ وذلك أن يد الكفر غطّتها وغمرتها، فلله الحمد أن أحرمت الصخرة بذلك البنيان المحيط، وطهّرها ماطر من دم الكفر وما كان ليطهّرها البحر المحيط، فهنالك غلب الشرك وانقلب صاغرا، واستجاش كافر من أهله كافرا، واستغضب أنفاره النافرة، واستصرخ نصرانيّته المتناصرة، وتظاهروا علينا وإنّ الله مولانا، وطاروا إلينا زرافات ووحدانا، فلم يبق طاغية من طواغيهم، ولا أثفيّة من أثافيهم، إلا ألجم وأسرج، وأجلب وأرهج، وخرج وأخرج، وجاد بنفسه أو بولده، وبعدده وبعدده، وبذات صدره وبذات يده، وبكتائبه برّا، وبمراكبه بحرا، وبالأقوات للخيل والرّجال، والأسلحة والجنن لليمين والشّمال، وبالنقدين على اختلاف صنفيهما في الجمع، وائتلاف وصفيهما في النّفع، وأنهض أبطال الباطل، من فارس وراجل، ورامح ونابل، وحاف وناعل، ومواقف ومقاتل، كلّ خرج متطوّعا، وأهطع مسرعا، وأتى متبرّعا، ودعا نفسه قبل أن يستدعى، وسعى إلى حتفها قبل أن يستسعى، حتّى ظننّا أنّ في البحر طريقا يبسا، وحتّى تيقّنّا أن ما وراء البحر قد خلا وعسا، وقلنا: كيف نترك، وقد علم أنه يدرك، وزادت هذه الحشود المتوافية، وتجافت

عنها الهمم المتجافية، وكثرت إلى أن خرجت من سجن حصرها، ومستقرّ كفرها، وبقيّة ثغرها– وهو صور– فنازلت ثغر عكّا في أسطول ملك بحره، وجمع سلك برّه– فنهضنا إليه، ونزلنا عليهم وعليه، فضرب معنا مصافّ قتّلت فيه فرسانه، وجدّلت شجعانه، وخذلت صلبانه، وساوى الضرب بين حاسر القوم ودارعهم، وبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم، فهنالك لاذوا بالخنادق يحفرونها، وإلى الستائر ينصبونها، وأخلدوا إلى الأرض متثاقلين، وحملوا أنفسهم على الموت متحاملين، وظاهروا بين الخنادق، وراوحوا بين المجانق، وكلما يجنّ القتل من عددهم مائة أوصلها البحر ممن يصل وراءه بألف، وكلّما قلّوا في أعيننا في زحف، قد كثروا فيما يليه من الزّحف، ولو أن دربة عساكرنا في البحر كدربتها في البر، لعجّل الله منهم الانتصاف واستقلّ واحدنا بالعشرة ومائتنا بالألف. وقد اشتهر خروج ملوك الكفّار في الجمع الجمّ، والعدد الدّهم، كأنّهم إلى نصب يوفضون، وعلى نار يعرضون، ووصولهم على جهة القسطنطينية– يسّر الله فتحها– على عزم الائتمام إلى الشام في منسلخ الشتاء ومستهلّ الصيف، والعساكر الإسلامية لهم تستقبل، وإلى حربهم تنتقل، فلا يؤمن على ثغور المسلمين أن يتطرّق العدوّ إليهم وإليها، ويفرغ لها ويتسلّط عليها، والله من ورائهم محيط. وإذا قسمت القوّة على تلقّي القادم وتوقّي المقيم، فربّما أضرّ بالإسلام انقسامها، وثلمه والعياذ بالله انثلامها.

ولما مخض النظر زبده، وأعطى الرأي حقيقة ما عنده، لم نر لمكاثرة البحر إلا بحرا من أساطيله المنصورة فإنّ عددها واف، وشطرها كاف، ويمكنه– أدام الله تمكينه– أن يمدّ الشام منه بعدّ كثيف، وحدّ رهيف، ويعهد إلى واليه أن يقيم إلى أن يرتبع ويصيف، ويمكنه أن يكفّ شطرا لأسطول طاغية صقلّيّة ليحصّ جناح قلوعه أن تطير، ويعقل عباب بحره أن يغير، ويعتقله في جزيرته، ويجري إليه قبل جريرته، فيذهب سيدنا وعقبه بشرف ذكر لا تردّ به المحامد على عقبها، ويقيم على الكفر قيامة يطلع بها شمس النصر من مغربها، فإذا نفذ طريقه وعلم الناس بموفده، أوردوا وأصدروا في مورده، وشخص المسلم والكافر: هذا ينتظر بشرى البدار، وهذا يستطلع لمن تكون عقبى الدار، وخاف وطأة من يصل من رجال الماء من وصل من رجال النار. ولو بزقت عليهم بازقة غربيّة لأغرقهم طوفانها، ولو طلعت عليهم جارية بحريّة لنعقت فيهم بالشّتات غربانها.

وما رأينا أهلا لهذه العزمة إلا حضرة سيدنا أدام الله صدق محبة الخير فيه، إذ كان منحه عادة في الرضى به وقدرة على الإجابة، ورغبة في الإنابة، ولاية لأمر المسلمين، ورياسة للدّنيا والدين، وقياما لسلطان التوحيد القائم بالموحّدين، وغضبا لله ولدينه، وبذلا لمذخوره في الذبّ عنه دون ما عوده، والآن فقد خلا الإسلام بملائكته، لما خلا الكفر بشياطينه، وما أجّلت السوابق إلا لإطلاقها، ولا أثّلت الذخائر إلا لإنفاقها، وقد استشرف المسلمون طلوعها من جهته المحروسة جارا من الأساطيل تغشى البحار، وليالي من المراكب تركب من البحر النّهار، وإذا خفقت قلوعها خفقت للقلاع قلوب، وإذا تجافت جنوبها عن الموج تجافت من الملاعين جنوب، فهي بين ثغر كفر تعتقله وتحصره، وبين ثغر إسلام تفرّج عنه وتنصره، يكون بها مصائب عند المسلمين وتظل قلائد المشركين لغربان بحره طرائد، ويمضي سيف الله الذي لا يعدم في كل زمان فيعلم معه أنّ سيف الله خالد، أعزّ الله الإسلام بما يزيد حضرة سيدنا من

عزّها، فيما مدّ عليها من ظلها، وبما يسكنه من حرزها، فيما يبسط على الأعداء بها من بأسها وينزل بهم من رجزها، وبما يجرّده من سيوفها التي تقطع في الكفر قبل سلّها وهزها.

وقد أوفدناه على باب حضرة سيدنا، وهو الداعي المسمع، والمبلّغ المقنع، والمجمع المستجمع، علمناه أمرا يسرا، وبوأناه الصدر فكان وجها، وأودعناه السّرّ فكان صدرا[1].

الملحق الثاني:
شرح الحالة الديبلوماسية التي مضت في مصر، والموقف من خطاب المنصور بأمير المؤمنين

نُسْخَة كتاب كتبه القَاضِي الْفَاضِل ونقلته من خطه لِابْنِ منقذ يَأْمُرهُ فِيهِ بِالسَّفرِ إِلَى الْمغرب بِأَمْر الْملك النَّاصِر صَلَاح

انظر تفاصيل مدح كتاب صلاح الدين ليعقوب الموحدي، ويأمر رسوله بن منقذ أن يعظم أحوال القوم وعاداتهم في رحلته ويجالسهم بما يحبوه، وأخذ صلاح الدين يشرح في كتابه الانتصارات التي وفقه الله سبحانه وتعالى إليها على الروم بعد حطين وفتح بيت المقدس والشام ومصر، ثم يذكر ما يعده الصليبيين في حملتهم الثالثة واجتماع ملوكهم لحرب الإسلام، وأنهم بحاجة لمساعدة بحرية عاجلة من الأساطيل البحرية لقطع الطريق على أساطيل الأعداء الصليبيين.

وَإِن سُئِلَ عَن المملوكين يوزبا وقراقوش المفسدين في بلاد المغرب فهما ممن تخلف عن الجهاد ومعاذ الله أَن نأمر من يُفْسد فِي الأَرْض {إِن أُرِيد إِلَّا الْإِصْلَاح مَا اسْتَطَعْت}، وأما جند النّوبَة المصرية فالقوم ممن راسلوا الْكفَّار وأطمعوهم فِي تَسْلِيم الديار، وَكتب فِي 28 شعْبَان سنة 586هـ، والصليبيين استجابوا لنصرة بعضهم وحضروا للقتال براً وبحراً لمساعدة إخوانهم المهزومين بالسلاح والمال والنفس، وأخذ يشرح محاولة اقتحامهم لعكا، وتكالبهم على المسلمين وما يصلهم من الأمداد والأعداد، وأخذ الناصر صلاح الدين يطلب ويستغيث المنصور الموحدي وهو يفخم شأنه ويعظم حضرته ويجل إمامته وسلطانه، بأن يمده بالسفن ويذكره أمر الله ويستصرخه الإسلام، ويذكر له رسوله المرسل بالأمر عبد الرحمن بن منقذ، وكان قد بعث معه بهدية.. وقد توجه من الإسكندرية في 13 رمضان 586هـ، وتقابل مع المنصور في 20 ذي الحجة، وانفصل عن مراكش ثم عاد إلى الإسكندرية فِي 28 جُمَادَى الْآخِرَة سنة 588هـ.

لم يحصل من جِهَة سُلْطَان المغرب مَا التمس مِنْهُ النجدة وَبَلغنِي أَنه عز عَلَيْهِم كَونه لم يُخَاطب بأمير الْمُؤمنِينَ على جاري عَادَتهم وَقد كَانَ سُلْطَانا عادلا مظْهرا للشريعة غازيا.

---

(1) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء (ج6/ 525–529)؛ ابن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب (ج2/ 496–499).

وَقد مدحه أَيْضا شمس الدّين ابْن منقذ هَذَا الْمُرْسل إِلَيْهِ من جِهَة السُّلْطَان بقصيدة مِنْهَا

(إِلَيْك أَمِير الْمُسلمين وَلم تزل ... إِلَى بابك المأمول تزجي الرَّوَاحِل)

(فَلَا زلت للعلياء والجود ثَانِيًا ... تبلغك الْأَيَّام مَا أَنْت آمل)

دارت مفاوضات طويلة بين المملوك –الرسول– والأمير نجم الدين تمخض عنها إرساله مرة أخرى لاستدراك الموقف وبعثه بهدية من السلطان الناصر صلاح الدين إلى أمير المؤمنين المنصور يعقوب على أن تكون مخاطبة وليست كتابة، فإن الكتابة حجة وتعني تنازل الدولة الأيوبية عن الدعوة لخلافة بني العباس إلى الدعوة لخلافة الموحدين، وعلى هذا سار الوفاق، لكن انقطعت الأخبار في ذلك ولم يدرى ما الذي حصل فيما بعد...

والأرجح أنه لم يمضي الأمر في ذلك كما يرى الباحث إذ أن تطور الأحداث في الشام والمغرب لم تعد مساعدة المنصور خصوصاً بعد سقوط عكا ذات جدوى[1].

الملحق الثالث:

شرح أوضاع الكتب الثلاثة التي أرسلها صلاح الدين الأيوبي إلى المنصور الموحدي، والمواقف الديبلوماسية من ذلك:

كتب الإستغاثة:

كتب السلطان صلاح الدين إلى الخليفة الموحدي بالمغرب:

أرسل السلطان صلاح الدين إلى المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن، الخليفة الموحدي بالمغرب، ثلاث رسائل المقصود منها جميعها، استنجاد صلاح الدين بجيوش الخليفة في الحرب ضد الصليبيين، وفي أثناء قتاله معهم حول عكا.

اثنتان من هذه الرسائل بقلم القاضي الفاضل، الأولى منها سنة 586هـ، ثم أرسل الرسالة الثالثة في نفس السنة، ولكن هذه المرة لم تكن برأي القاضي الفاضل مما جعله يحرر رسالة إلى السلطان صلاح الدين بشأنها، ويبين ما لا يرتضيه فيها.

ويعقب هذه الرسائل رسالة بقلم القاضي الفاضل، مرسلة من السلطان صلاح الدين إلى شمس الدولة بن منقذ، سفيره إلى الخليفة الموحدي بالمغرب ينهى إليه أخبار القتال حول عكا[2].

---

(1) أبي شامة، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية (ج4/ 190–211).

(2) نغش، الرسائل الحربية في عصر الدولة الأيوبية (مج59/165–170).

الملحق الرابع:
الرسالة الأولى

يبدأ القاضي الفاضل الرسالة بالدعاء للخليفة الموحدي، وينعته بسيدنا أمير المؤمنين، وسيد العالمين، وقسيم الدنيا والدين، ثم يبين السلطان صلاح الدين غرضه منها، وهو أن يشترك الخليفة الموحدي معه في الجهاد، ويفتخر بأمجاده في تطهير الأرضين المصرية واليمنية من الضلالة وكذلك تطهيره بيت المقدس من الصليبيين الذين كانوا يحتلونه، ويدنسون أرضه، فهناك غلب الشرك، وأنقلب صاغراً، واستجاش كافر من أهله كافراً، واستغضب أنفاره النافرة، واستصرخ نصرانيته المتناصرة.

فهم يجودون بأنفسهم وأولادهم، ويمدون الحملة الصليبية بأموالهم، كل خرج متطوعاً، وأهطع مسرعاً، وأتى متبرعاً، ودعا نفسه قبل أن يستدعى، وسعى إلى حتفها قبل أن يستسعى، حتى ظننا أن في البحر طريقاً يبساً، وحتى تيقنا أن ما وراء البحر قد خلا وعسا.

وهنا يهجم عليهم جيش السلطان صلاح الدين ويفتك بهم، ويضطرهم إلى اللجوء إلى الخنادق، وإلى نصب الستائر، ولكنه كل ما قتل منهم مائة، وصلت النجدة بألف.

ثم يصف السلطان صلاح الدين خوفه من تكاثر الإمدادات لهم من البلاد الغربية، فيقول: " لا يؤمن على ثغور المسلمين أن يتطرق العدو إليهم وإليها، ويفرغ لها ويتسلط عليها والله من ورائهم محيط.

وإذا قسمت القوة على تلقى القادم وتوقى المقيم، فربما أضر بالإسلام انقسامها، وثلمه والعياذ بالله انثلامها.

وهو يمجد قوة المغرب البحرية، فمن ذلك قوله: "فلو بزقت فيهم بازقة غربية لأغرقهم طوفانها، ولو طلعت عليهم جارية بحرية، لنعقت فيهم بالشتات غربانها.

وفي نهاية هذه الرسالة يمجد السلطان صلاح الدين الخليفة المغربي، ويستثير العاطفة الدينية فيه، ويعقد مقارنة بين أسطول المسلمين وأسطول الصليبيين، وهو يخشى أن ينتصر الكفر على الإسلام، ويدعو الله أن ينصر المسلمين بما يمدهم الخليفة المغربي من أسطوله البحري، ومدده العسكري[1].

الملحق الخامس:
الرسالة الثانية

يكرر القول فيها عن أمجاده السالفة الذكر، ولكن ببعض الإسهاب من أول وصوله إلى مصر، وإقامة الجمعة وعقد الجماعة فيها، وغزواته في مصر، التي كانت مقدمة لملك الشام الإسلامي باجتماع الكلمة عليه، ومقدمة لملك الشام الفرنجي بانقياد المسلمين له، واتفاق الملوك المجاورين على طاعته،

(1) نغش، الرسائل الحربية في عصر الدولة الأيوبية (مج166/59).

وكذلك تفصيل غزواته ضد الفرنج وكسرهم الكسرة الكبرى في بيت المقدس، إلى غير ذلك من أخذ الثغور، وافتتاح البلاد، وإثخان القتل فيهم والأسر لهم.

ثم يصف خروج النجدات الصليبية في كثرتها وقوتها ومنعتها، وغناها ومسارعتها ومبادرتها، وأنه لا يمضي يوم إلا مع قوة تتجدد، وميرة تصل، وأموال واسعة تخرج، ومعونات كثيرة تحمل.

ويشير إلى أنهم حفروا خندقاً حول معسكرهم من البحر إلى البحر، وأداروا حولهم ومن وراء الخندق سوراً مستوراً بالستائر، ورتبوا على أبواب هذا السور جماعات مزودة بأدوات الحصار التي أخرجوها من مراكبهم.

وأنهم اغتنموا أوقاتاً لم تكن العساكر فيها مجموعة وارتادوا ساعات لم تكن الأُهُبُ فيها مأخوذة، فقد انتقل معظم الجيش الصلاحي إلى الخروبة في 3 رمضان سنة 585 هـ بقصد إعادة ترتيب الجيش وتنظيمه وتقويته، أو لحلول رمضان شهر الصيام، أو لمجيء الشتاء بأمطاره وبرده! أو لغيبة الملك العادل بعساكره المصرية، أو للحمى التي أصابت السلطان صلاح الدين، ثم يحكي للخليفة الموحدي أن أمر العدو قد تطاول، وأن خطبه قد تمادى لوصول النجدات المستمرة إليه، ومنها الحملة التي وفد على رأسها ملك الألمان في حشود كبيرة وأموال كثيرة.

وبعدها يبين له حاجته إليه في تطويق العدو والقضاء عليه فيقول: "إن هذا العدو لو أرسل الله عليه أسطولاً قوياً مستعداً يقطع بحره، ويمنع ملكه لأخذنا العدو إما بالجوع والحصر، أو برز فأخذناه بيد الله تعالى التي بها النصر.

والسلطان صلاح الدين يطلب منه المساعدة إما بالرجال أو بالمال إذا تعذرت المساعدة بالأسطول فيقول: " وإن كانت دون الأسطول موانع: إما من قلة عدة، أو من شغل هناك[1].

بمهمة، أو بمباشرة عدو، ماتحصن منه العورة أو قد لاحت منه الفرصة، فالمعونة ما طريقها واحدة، ولا سبيلها مسدودة، ولا أنواعها، محصورة تكون تارة بالرجال وتارة بالمال1. ويلي ذلك تمجيد للخليفة الموحدي ويستثير فيه حمية الإسلام، ويعقد مقارنة بين الكفار في حربهم لنصرة الكفر، والمسلمين في حربهم لنصرة الإسلام، وأن أهل الجنة أولى بقتال أهل النار، وأنه يطلب نجدة مغربية بحرية، لما للمغاربة في البحر من قوة ضاربة.

وتختلف الرسالة الثانية عن الأولى في أن السلطان صلاح الدين يريد أن يزيل أسباب التوتر في العلاقات بين المغاربة والدولة الصلاحية، وهو يوصى رسوله بأن يشرح للخليفة الموحدي براعه الدولة الصلاحية مما نسب إليها، وقد سبق الإشارة إليه في الكلام عن الوصايا[2].

---

(1) نغش، الرسائل الحربية في عصر الدولة الأيوبية (مج167/59).

(2) نغش، الرسائل الحربية في عصر الدولة الأيوبية (مج168/59).

الملحق السادس:

الرسالة الثالثة

جاء فيها بعد التحية التي زاد فيها السلطان صلاح الدين وأفاض، تحديد ما فتحه من بلاد الشام، كما حدد الباقي منها في يد الصليبيين وهى: ثغر طرابلس، وصور، ومدينة أنطاكية، وهو يرجو الله أن يفك أسرها.

ثم يشير إلى النجدات التي لبت صرخة الصليبيين في الشام، فأخرت فتح بقية البلاد التي في أيديهم، ويذكر مجيء ملك الألمان إليهم في البر والبحر بأعداد مهولة.

ويقول: "إن عدة الأعداء مائة ألف أو يزيدون، وأنه حاربهم بأصدق عزيمة، حتى أصبحوا لا يستطيعون قتال الثغر، لأنهم محصورون أشد الحصر، غير أنهم خندقوا أو سوروا".

وخرج ملك الألمان قاصداً الشام، فبعث إليه صلاح الدين من يلقاه، ويضطره إلى تغيير مساره، سالكاً مسلكاً وعراً، فأدركه الموت غرقاً، وبقي له ولد هو الآن المقدم والمؤخر، وقائد الجمع المكسر، فيعود إلى عكا في البحر تهيباً أن يسلك البر.

وقبل أن ينهى صلاح الدين رسالته يقول: "كان المتوقع من تلك الدولة العالمية، والعزمة الفادية، مع القدرة الوافية، والهمة المهدية الهادية، أن يمد غرب الإسلام المسلمين بأكثر مما أمد به غرب الكفار الكافرين فيملأها عليهم جواري كالأعلام، ومدنا في اللجج سوائر كأنها الليالي مقلعة بالأيام، تطلع علينا معشر الإسلام آمالاً، وتطبع على الكفار آجالاً"[1].

وكان سفير السلطان صلاح الدين، أو الممثل الشخصي له على حد قولنا الآن إلى ملك المغرب، هو الأمير أبو العزم عبد الرحمن بن منقذ، وقد ورددت في الرسالة كلمة تشيد بمكانته، وعلو منزلته، مما سبق الإشارة إليه في الوصايا، وصحبت هذه الرسالة هدية، وفصلت محتوياتها.

وتختم هذه الرسالة بخاتمة طويلة لم نعهد مثلها فيما قبل سواء في المكاتبات المرسلة إلى الخليفة العباسي أو الخليفة المغربي، ونصها: "والسلام الصادر عن القلب السليم، والود الصميم والعهد الكريم، على حضرة الكرم العلية، وشدة السيادة الجلية، سلام مودة ما وفد الغرب قبلها مثلها، ورسالة ما خطرت إلى أن نفذت وراءها المحبة رسلها، وليصل السلام ورحمة الله وبركاته، ورضوانه وتحياته، إن شاء الله تعالى[2].

---

(1) نغش، الرسائل الحربية في عصر الدولة الأيوبية (مج59/168).

(2) نغش، الرسائل الحربية في عصر الدولة الأيوبية (مج59/169).

رسالة إلى سفير السلطان صلاح الدين في المغرب:

أرسل القاضي الفاضل عن السلطان صلاح الدين إلى شمس الدين ابن منقذ في المغرب ينهى إليه أخبار القتال حول عكا، فيخبره أن عدة من قتل على عكا من الفرنج تجاوز الخمسين ألفاً، وأن ملكي فرنسا وإنجلترا وملوكا آخرين أسرعوا لنجدة الصليبيين في قوة هائلة، فيها سفن الواحدة كأنها مدينة وفيها الخيول والخيالة.

ويصور له ثبات المقاتلين المسلمين أمام هذه الجيوش الكبيرة فيقول:" فما وهنًّا لما أصابنا في سبيل الله وما ضعفنا، ولا رجعنا وراءنا ولا انصرفنا، بل نحن بمكاننا ننتظر أن يبرزوا فنبارزهم، ويخرجوا فنناجزهم، وينشروا فنطويهم

وينبثوا فنزويهم، وأقمنا على طرفهم، وخيمنا على مخنقهم، وأخذنا بأطراف خندقهم "3 ولكنه يريد منه أن يبلغ المغاربة أن الجيوش العربية في المشرق العربي في حاجة إلى نجدتهم، حتى يقفوا في مواجهة هذه الدول المجتمعة على حربهم، الراغبة في الاستيلاء على بلادهم.

ثم يقول في نهاية رسالته: "والأمير يبلغ ما بلغه من خطب الإسلام وخطوبه، ويقوم في البلاغ يوم الجمعة مقام خطيبه"[1]، وهذه العبارة تدل على أن الدولة الأيوبية كانت تتبع أسلوب الإذاعة لقضاياها ليس في داخل البلاد فحسب، بل على المستوى الخارجي، وذلك بغرض الحصول على تأييد مادي ومعنوي من الشعوب الأخرى، وعلى الصعيد الشعبي في خطبة يوم الجمعة[2].

(1) نغش، الرسائل الحربية في عصر الدولة الأيوبية (مج59/169).

(2) نغش، الرسائل الحربية في عصر الدولة الأيوبية (مج59/170).

الملحق السابع:

شرح الرموز الموجودة في خرائط موقعة الأرك في الملاحق التالية

الرمز	تفسير الرمز
	يعقوب المنصور الموحدي
	الأذفونش الثامن ملك قشتالة
	الكونت دون بيدرو فرناندیث دي كاسترو
	وضعية الثبات في المعركة
	وضعية الدفاع في المعركة، وصد الهجمات
	وضعية الهجوم والاصطدام العسكري
	وضعية الهجوم والانتصار العسكري
	الوقوع في الأسر أو الاستسلام
	التحكم والسيطرة على المنطقة

الملحق الثامن:

أوضاع الجيوش وأقسامها قبل بدء معركة الأرك

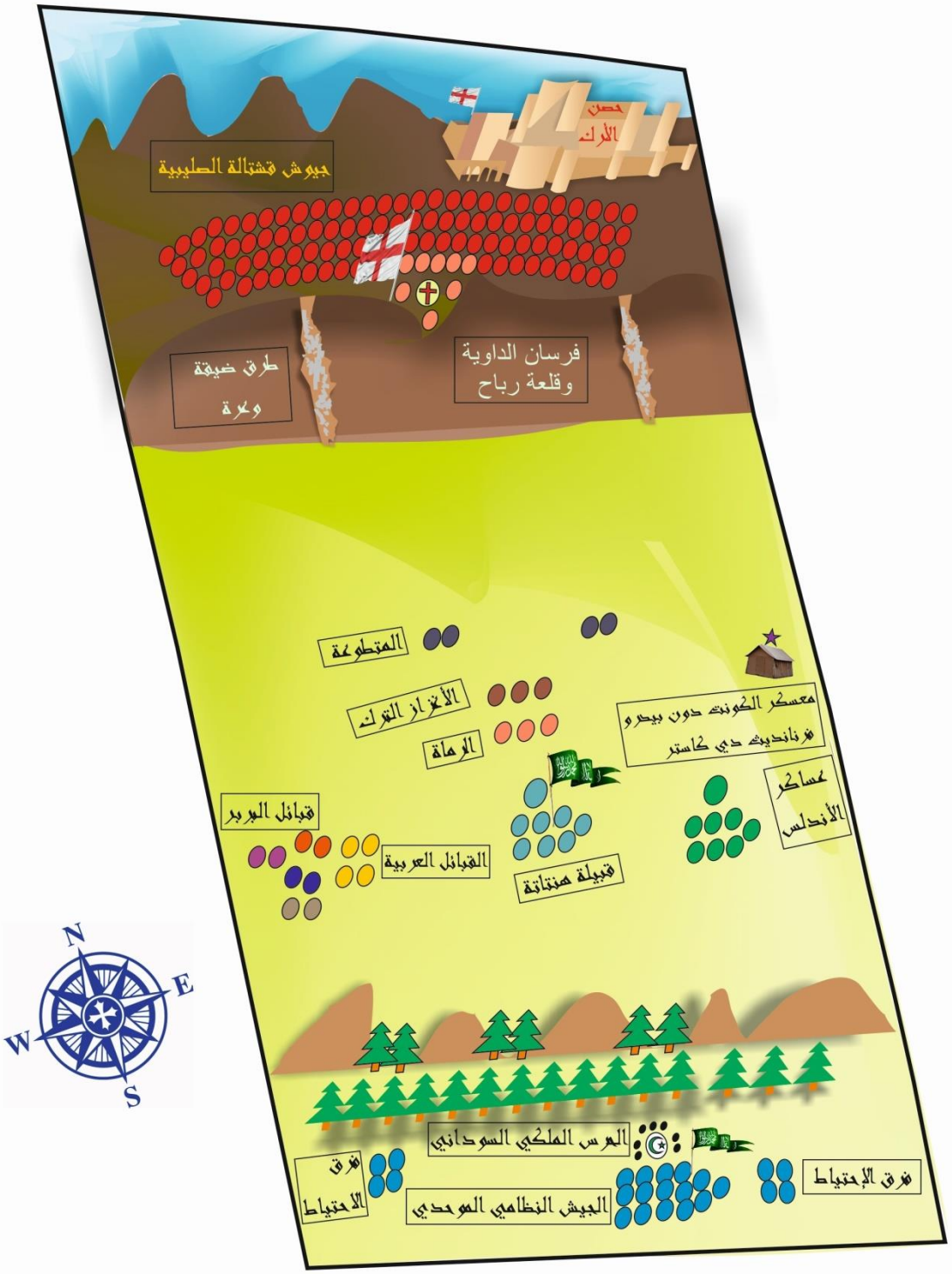

الملحق التاسع:

الحملة العسكرية الثانية لكتيبة النخبة القشتالية في معركة الأرك

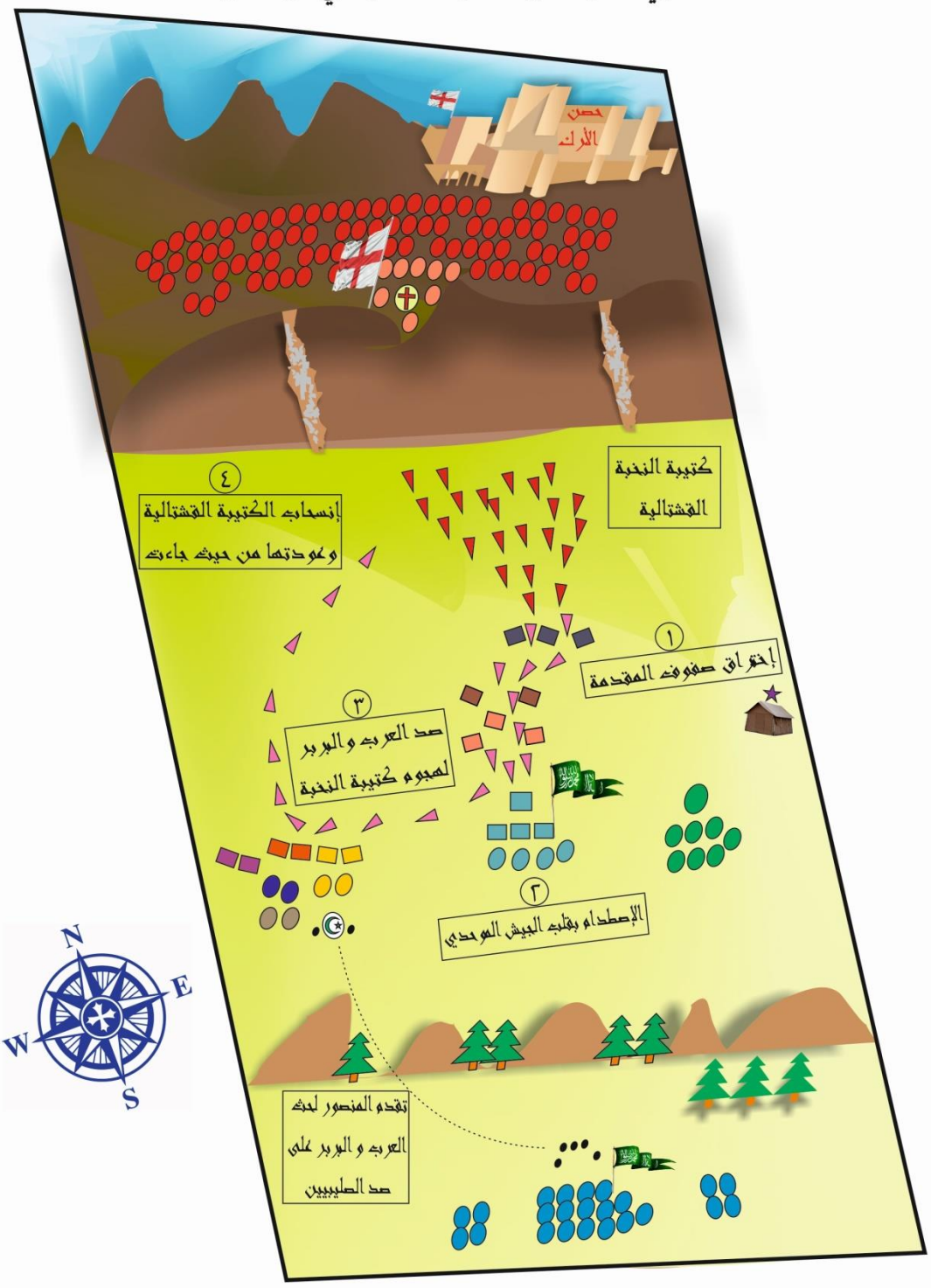

الملحق العاشر:

الحملة العسكرية الثالثة لكتيبة النخبة القشتالية في معركة الأرك

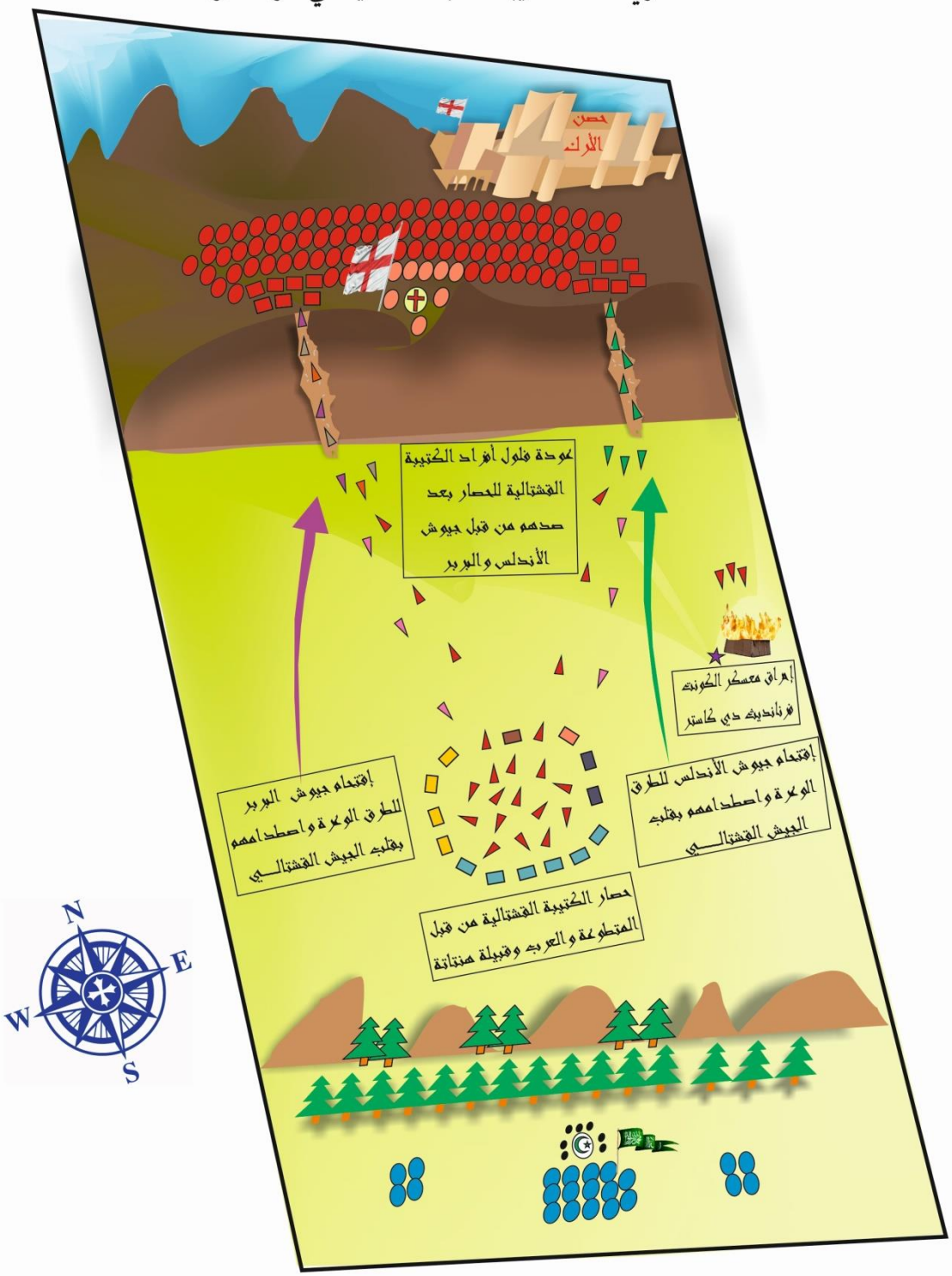

الملحق الحادي عشر:

نهاية معركة الأرك وانتصار الموحدين (المرحلة الأولى)

الملحق الثاني عشر من إعداد الباحث /

الملحق الثاني عشر:

نهاية المعركة وانتصار الموحدين (الموحلتين الثانية والثالثة)

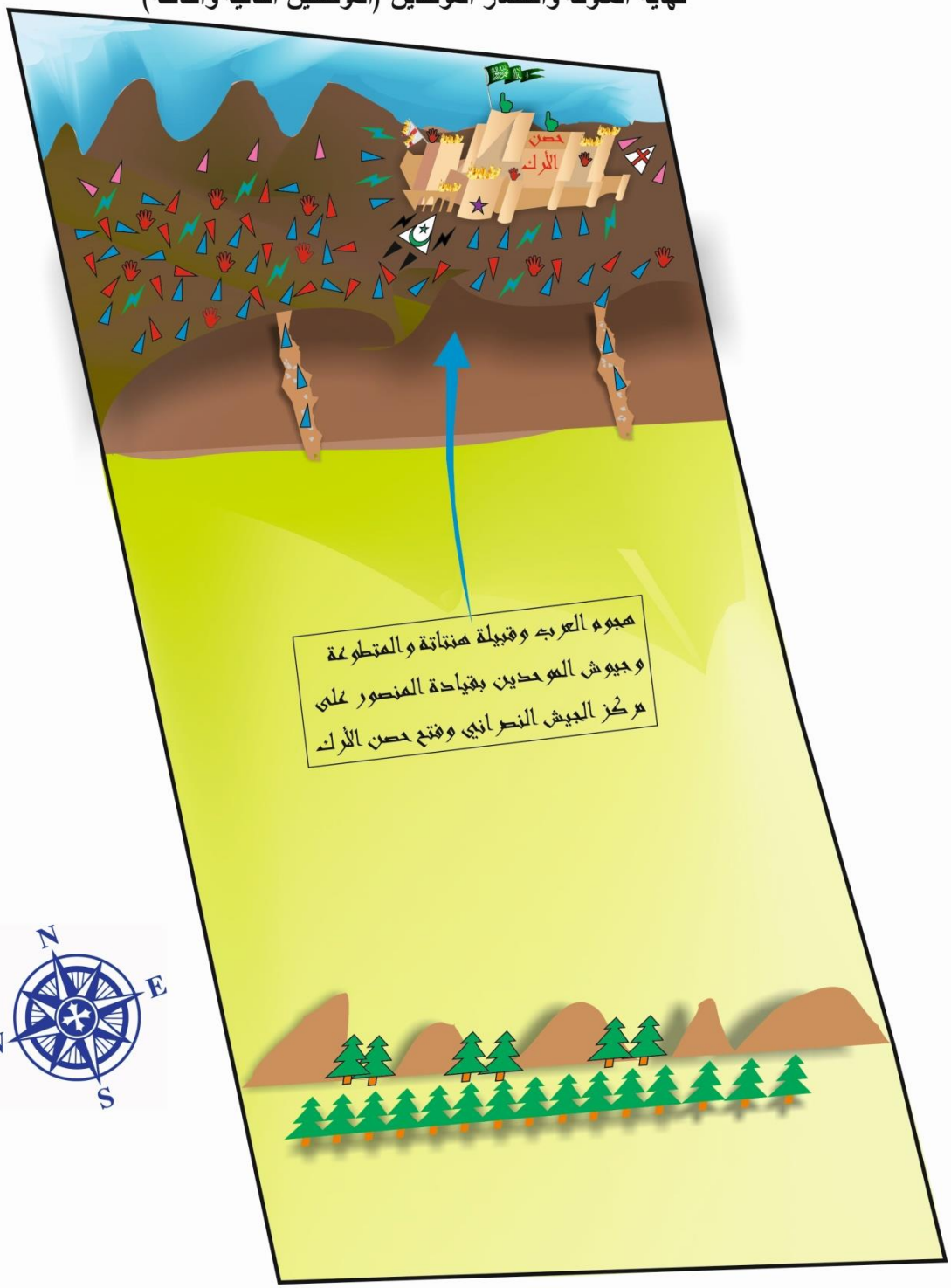

"تَمَّ بِحَمْدِ اللهِ جَلَّ جَلَالُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ"

الملحق الثالث عشر:

جيوش الموحدين بقيادة المنصور تخترق قلب الأندلس

المغلوث: أطلس تاريخ الدولة العباسية، ص368.

الملحق الرابع عشر:

صورة حقيقية لساحة موقعة الأرك

ساحة معركة الأرك حيث كان يوم «الأرك» من الأيام العظيمة لدولة الإسلام بالأندلس، أعادت ذكرى الزلاقة وانتصارات «الحاجب المنصور»، والجدير بالذكر أن «ألفونسو الثامن» من شدة غروره وثقته بالنصر، قد اصطحب معه في جيشه مجموعة من التجار اليهود بأموالهم لشراء أسرى المسلمين، فصاروا هم وأموالهم غنيمة للمسلمين.

المغلوث: أطلس تاريخ الدولة العباسية، ص369.

تمت الدراسة بحول من الله وتوفيقه وتسديده، فهو الذي بنعمته تتم الصالحات، فله الحمد في الدين والدنيا والآخرة، والله عز وجل نسأله القبول والتوفيق لكل ما ينفعنا لخدمة المسلمين ونهضة أمتنا..